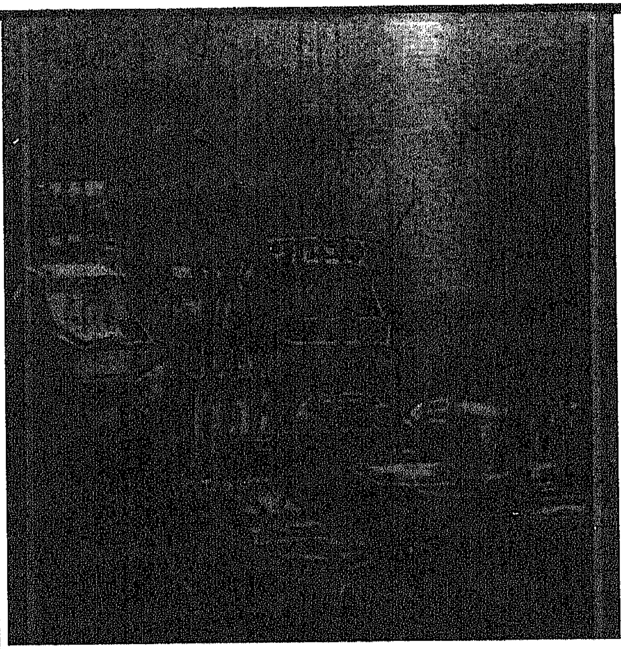


إيرنست

همنجواي



رواية

ترجمة : سمير عزت نصار

دار النسر للنشر والتوزيع / عمان ـ الأردن

أن تملك وألا تملك

* إسم المؤلف : إيرنست همنجواي
* إسم المترجم : سـمير عزت نصـار
* إسم الكتاب : أن تملك وألاّ تملك
* الطبعة العربية الثانية : ١٩٩٦
* الناشر : دار النسر للنشر والتـوزيع / عمّـان ـ الأردن
* التوزيع : دار النسر للنشر والتوزيع
* التنضيد والإخراج : دار النسر للنشر والتوزيع

ERNEST HEMINGWAY
To Have and Have Not

Penguin Books : 1955

إيرنست همنجواي (١٨٩٩ ـ ١٩٦١) جائزة نوبل ١٩٥٤ .

ولد ايرنست همنجواي في أوك بارك ـ إلينوى في ٢١ يوليو ١٨٩٩ في بيته في كيتشوم ـ ايداهو في ٢ يوليو ١٩٦٢ قبل عيد ميلاده الثاني والستين بوقت قصير .

كان والده طبيباً ، وأمه مدرسة موسيقى . وقد كان مشغوفاً بالرياضة والصيد . بدأ في الكتابة حينما كان في المدرسة الثانوية . في ١٩٧١ . وبعد أن ترك المدرسة ، قرر ألا يدخل الجامعة وشغل منصب مندوب في كانساس ستي ستار . وحين دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في ١٩١٧ ، حاول التطوع في الجيش ، لكنه رفض بسبب ضعف نظره . فتطوع للعمل كسائق سيارة إسعاف مع الصليب الأحمر وأرسل الى إيطاليا في إبريل ١٩١٨ . وأصيب بقذيفة نمساوية في رجله لكنه استطاع حمل جندي جريح بالرغم من ذلك وعاد به تحت وابل من طلقات الرشاشات ليصل الى مركز القيادة قبل أن ينهار ، فمنح ميدالية الحكومة الإيطالية .

وعاش همنجواي في باريس ، كعبة أدباء وفناني العالم بشكل عام وأدباء وفناني أمريكا بوجه خاص ، حيث شجعه كتاب أمريكيون مغتربين من بينهم إزرا باوند (١٨٨٥ ـ ١٩٧٢) وجيرترود شتاين (١٩٧٤ ـ ١٩٤٦) ، فأصدر أول كتاب له : **ثلاث قصص وعشر قصائد** ، باريس ١٩٣٢ ونشر مجموعته القصصية **في زماننا** في باريس ١٩٢٤ ثم أتبع تلك المجموعة برواية **دفقات الربيع** وهي روايمة هجائية ساخرة ، يقلد فيها أسلوب شيروود أندرسون على شكل نقيض porody . وفي عام ١٩٢٦ ، نشر رواية : **الشمس تشرق أيضاً** (وتعرف بـ **مهرجان** في طبعتها الإنجليزية) ، وهي قصة تصور ضياع وعقم وعجز جيل ما بعد الحرب العالمية يالأولى .

وبعد نشره روايتة **الرجل العجوز والبحر** (١٩٥٢) ، بدأ نجمه يعلو ، وأحرزت قصته نجاحاً فورياًه وكانت عاملاً من العوامل التي أدت الى منحه جائزة نوبل للآداب في ١٩٥٤ .

بعد ذلك أصيب نتيجة لتحطم طائرة كان يستقلها في نفس السنة بينما كان يقوم برحلة صيد في أفريقيا ، وأخذت صحته تسوء أكثر فأكثر ، وفشل علاجه من شفائه من اكتئاب حاد ، مما أدى الى أن يطلق النار على نفسه في ١٩٦١ في بيته في آيداهو . فطويت صفحة حياة أديب كان شغل العالم كله منذ أن بدأت شهرته تطبق الآفاق قبل منتصف هذا القرن حتى وقت وفاته .

إيرنست همنجواي

أن تملك وألّا تملك

رواية

(طبعة ثانية منقّحة)

ترجمة : **سمير عزت نصّـار**

دار النسر للنشر والتوزيع
هاتف ٦٥٩٤٦٠ ص.ب ٩١٠٥٨٦ عمّـان ١١١٩١

الجزء الأول

هاري مورجان

الربيع

فصل ١

أنتم تعرفون كيف تكون الحال في الصباح الباكر في هافانا والمتشردون العاطلون عن العمل لا يزالون نائمين وهم يتكئون على جدران المباني ؛ حتى قبل مرور عربات الثلج لتوزيعه على الحانات ؟ حسناً ، عبرنا الميدان قادمين من رصيف الميناء متجهين إلى مقهى لؤلؤة سان فرانسيسكو لتناول القهوة ، ولم يكن هناك سوى متسول واحد مستيقظ راح يشرب من النافورة . لكن ثلاثتهم كانوا في انتظارنا حين دخلنا المقهى .

جلسنا فاقترب منا أحدهم .

قال : " حسناً ؟ "

قلت له : " لا أستطيع القيام بها . كان بودي القيام بها كخدمة . لكنني أخبرتكم الليلة الماضية بأنني لا أستطيع " .

ـ " يمكنك تحديد سعرك " .

ـ " ليس الأمر كذلك . لا أستطيع القيام بها . ذلك كل ما في الأمر " .

كان الآخران قد اقتربا ووقفا هناك والحزن بادٍ عليهما . كانا شخصين حسني الهيئة حقاً وكنت أود إسداء هذا المعروف لهما .

قال الشخص الذي يتكلم إنجليزية جيدة : " ألف للقطعة " .

قلت له : " لا تشعرني بتأنيب الضمير . أقول لكم صادقاً إنني لا أستطيع القيام بها " .

ـ " عندما تتغير الظروف فيما بعد ، سيعني لك هذا الكثير " .

ـ " أعرف هذا . أنا معكم قلباً وقالباً . لكنني لا أستطيع " .

ـ " لـمَ لا ؟ "

ـ " أنا أكسب رزقي من القارب . إذا فقدته فقدت رزقي " .

ـ " بالمال تشتري قارباً آخر " .

ـ " ليس في السجن " .

لابد أنهم ظنوا أن كل ما أحتاج إليه هو المساومة ، فقد واصل ذلك الشخص الكلام .

ـ " ستقبض ثلاثة آلاف دولار ، قد يعني لك هذا الكثير فيما بعد . لن

يستمر هذا الوضع على ما هو عليه ، أنت تعرف " .

قلت : " إسمع . لا يهمني مَنْ هو رئيس الجمهورية هنا ، لكنني لا أنقل إلى الولايات المتحدة أي شيء يتكلم " .

قال أحد الثلاثة ولم يكن قد تكلم من قبل : " تعني أننا سنتكلم ؟ " كان غاضباً .

ـ " قلتُ أي شيء يتكلم " .

ـ" أترى أننا لِنجواس لارجاس lenguas largas ؟ "

ـ " لا " .

ـ " أتعرف مَنْ يكون الـ لِنجوا لارجا lengua larga ؟ "

ـ " نعم . شخص طويل اللسان " .

ـ " أتعرف ما نفعله به ؟ "

قلت : " لا تكن خشناً معي . عرضتم عليّ عرضاً . ولم أعرض عليكم شيئاً " .

قال الرجل الذي أدار الحديث سابقاً للرجل الغاضب : " إخرس يا بانشو " .

قال بانشو : " قال إننا سنتكلم " .

قلت : " إسمع . قلت إنني لن أنقل أي شيء يتكلم . خمرة في أكياس لا تتكلم . قناني الدمجانات لا تتكلم . هناك أشياء أخرى لا تتكلم . الرجال يتكلمون " .

قال بانشو بمزاج سيء تماماً : " هل يتكلم الصينيون ؟ "

قلت له : " يتكلمون ، لكنني لا أفهمهم " .

ـ " إذن فأنت لن تقوم بها ؟ "

ـ " الوضع كما أخبرتكم به ليلة أمس . لا أستطيع " .

قال بانشو : " لكنك لن تتكلم ؟ "

أثار الشيء الوحيد الذي لم يفهمه سوء مزاجه . وأظن أن خيبة الأمل أثارته أيضاً . فلم أجبه .

سأل وهو لا يزال سيء المزاج : " أنت لست لنجوا لارجا ، أليس كذلك ؟ "

ـ " لا أظن هذا " .

ـ " ما هذا ؟ تهديد ؟ "

قلت له : " إسمع ، لا تكن خشناً إلى هذا الحد في مثل هذا الوقت المبكر من الصباح . أنا متأكد من أنك قطعت رقاب كثير من الناس . وأنا لم أتناول

فهوتي بعد " .

ـ " إذن فأنت متأكد من أنني قطعت رقاب ناس ؟ "

قلت : " لا . ولا يهمني هذا أدنى اهتمام . ألا تقوم بعمل دون أن تغضب ؟ "

قال : " أنا غاضب الآن . وأود أن أقتلك " .

قلت : " أوه ، جحيم ، لا تتكلم كثيراً جداً " .

قال الرجل الأول : " هيا يا بانشو " . ثم قال لي : " آسف جداً . ليتك تنقلنا " .

ـ " أنا آسف أيضاً . لكنني لا أستطيع " .

شرع ثلاثتهم بالسير نحو الباب ، وراقبتهم يخرجون . كانوا شباناً حسني الهيئة ، يرتدون ملابس جيدة ؛ ولا يعتمر أي منهم قبعة ، وبدا أن لديهم مالاً وفيراً . تحدثوا كثيراً عن المال ، على أية حال ، تكلموا بلغة إنجليزية يتكلم بها الكوبيون الذين لديهم مال .

بدا إثنان منهم كأخوين ، وكان الآخر ، بانشو ، أطول منهما قليلاً ، لكنه بدا من نفس الصنف من الشباب . فهو ، كما تعرفون ، نحيل ، جيد الملابس لامع الشعر . لم أتصور أنه لئيم كما بدا من كلامه . أظن أنه عصبي جداً .

ما أن استداروا خارجين من الباب ليتجهوا يميناً ، حتى رأيت سيارة مغلقة تعبر الميدان نحوهم . كان أول ما حدث هو سقوط لوح زجاج ، ثم هشمت الطلقة بعض صف القناني على حائط خزانة العرض على اليمين . سمعت البندقية تنطلق ، بوب ، بوب ، بوب ، وتهشمت قناني على طول الجدار .

قفزت إلى خلف حاجز المشرب على الجانب الأيسر ورأيت ما يجري من فوق حافته . توقفت السيارة ، وربض شخصان الى جوارها . كان أحدهما يحمل بندقية ثومبسون . والآخر يحمل رشاشاً قصير الماسورة . كان حامل الـ ثومبسون زنجياً . والآخر يرتدي وزرة سائق بيضاء .

انطرح أحد الفتيان الثلاثة على رصيف المشاة ، ووجهه إلى الأسفل ، خارج النافذة الكبيرة التي تهشمت . ووقف الآخران خلف إحدى عربات ثلج بيرة تروبيكال التي توقفت أمام مشرب كنارد المجاور . سقط أحد حصاني عربة الثلج على الأرض بأعنته وهو يرفس ، بينما راح الآخر يشيح برأسه بعيداً .

أطلق أحد الفتيان النار من ركن العربة الخلفي ، فارتدت الطلقة بعيداً عن

رصيف المشاة . أطل الزنجي حامل الـ تومي برأسه على الشارع وأطلق وابلاً من الرصاص على مؤخرة العربة من الأسفل ومن المؤكد أن واحداً سقط على الأرض ، سقط نحو رصيف المشاة وقد استقر رأسه فوق حافة الشارع . تخبط هناك واضعاً يديه فوق رأسه ، فأطلق السائق رصاصة من رشاشة ، بينما راح الزنجي يعبىء بندقيته بخزان رصاص جديد ؛ لكن الرصاصة طاشت . كنت ترى علامات الطلقات على رصيف المشاة كأنها قطع فضة متناثرة .

جر الشخص الآخر الرجل الذي أصيب عند مؤخرة العربة وسحبه من رجليه إلى ما وراء العربة ، ورأيت الزنجي يخفض وجهه إلى الأسفل نحو الرصيف ليطلق عليهما وابلاً آخر من الرصاص . ثم رأيت بانشو العجوز يدور حول ركن العربة ويخطو في نطاق حماية الحصان الذي كان لا يزال واقفاً . خطا بعيداً عن الحصان ووجهه أبيض كملاءة قذرة ، وأصاب السائق بمسدس الـ لوجير الضخم الذي يحمله ؛ وقد أمسك به بكلتا يديه ليمنع اهتزازه . أطلق مرتين فوق رأس الزنجي ، وقد اقترب منه ثم خفض تسديده .

أصاب اطاراً في السيارة ، فقد رأيت التراب يتطاير مندفعاً على الشارع عندما خرج الهواء منه ، ومن مسافة عشرة أقدام أصابه الزنجي في بطنه ببندقية الـ تومي ، بما لابد أنها آخر طلقة فيها ، فقد رأيته يرمي بها على الأرض ، وجلس بانشو العجوز على الأرض بصعوبة ثم ارتمى منبطحاً على وجهه . حاول أن ينهض وهو لا يزال يتمسك بمسدس الـ لوجير ، لكنه لم يستطع رفع رأسه ، حينذاك أخذ الزنجي الرشاش المرتكز على مقود السيارة قرب السائق ، وفجر رأسه . يا له من زنجي .

شربت جرعة سريعة من أول قنينية رأيتها مفتوحة لكنني لم أعرف نوعها حتى الآن . فقد أثار كل ما جرى الكدر في نفسي . إنزلقت مبتعداً من وراء حاجز المشرب وعبرت إلى الخارج من المطبخ الخلفي وانتهيت الى الخارج تماماً . درت بأمان حول الميدان ولم ألقِ حتى نظرة واحدة على الجمهور الذي أخذ يتوافد مسرعاً ويتجمع أمام واجهة المقهى ثم عبرت البوابة وخرجت إلى رصيف الميناء وركبت القارب .

كان الذي استأجر قاربي ينتظرني فيه . فأخبرته بما جرى .

سألني جونسون ، الشخص الذي استأجرنا : " أين إدي ؟ "

ـ " لم أره بعد أن بدأ إطلاق النار " .

ـ " أتظن أنه أصيب ؟ "

ـ " يا للجحيم ، لا . لقد أخبرتك بأن الطلقات الوحيدة التي دخلت المقهى كانت تلك التي أصابت خزانة العرض . ذلك حين كانت السيارة تسير خلفهم . حين أصابا الشخص الأول أمام النافذة تماماً . وقد تقدما من زاوية على هذا النحو ـ "

قال : " تبدو متأكداً تماماً " .

قلت : " كنت أراقب " .

ثم ، وحين رفعت نظري في تلك اللحظة ، رأيت إيدي يتقدم على الرصيف ، وقد بدا أطول وأوسخ من أي وقت آخر . مشى وقد اتصلت مفاصله بعضها ببعض إتصالاً خاطئاً .

ـ " ها هو " .

بدا إدي في حال سيئة جداً . وهو لا يبدو في حال حسنة في الصباح الباكر أبداً ؛ لكنه بدا الآن في حال سيئة جداً .

سألته : " أين كنت ؟ "

ـ " على أرضية المشرب " .

سأله جونسون : " هل رأيت ما جرى ؟ "

قال إدي له : " لا تتكلم عما جرى يا مستر جونسون . يثير في نفسي الغثيان مجرد التفكير فيما جرى " .

قال له جونسون : " يحسن أن تشرب شراب " . ثم قال لي : " حسناً ، هل سننطلق ؟ "

ـ " ذلك يعتمد عليك " .

ـ " أي نوع من الأيام سيكون اليوم ؟ "

ـ " تماماً كالأمس تقريباً ، ربما أفضل " .

ـ " للننطلق إذن " .

ـ " حسناً ، حالما يصل الطعم " .

أبحرنا بهذا الطائر منذ ثلاثة أسابيع للصيد في الخليج ولم أر شيئاً من ماله حتى الآن خلا مائة دولار أعطانيها لأدفعها للقنصل ولتخليص الإجراءات الرسمية ودفع الرسوم وشراء بعض الديدان وتعبئة القارب بالبنزين قبل أن نعبر الميناء . وكنت أقدم كل عدة الصيد بينما استأجر هو القارب مقابل خمسة وثلاثين دولاراً في اليوم الواحد . كان ينام في فندق ويأتي إلى القارب كل صباح . وقد حصل لي إدي على هذا المستأجر فكان علي أن أحمله معي . وكنت أعطيه أربعة دولارات في اليوم .

قلت لـ جونسون : " يجب أن أضع بنزيناً فيه " .

ـ " حسناً " .
ـ " سأحتاج إلى بعض المال لذلك " .
ـ " كم ؟ "
ـ " ثمانية وعشرون سنتاً للجالون الواحد . يجب أن أضع أربعين جالوناً على أية حال . أي : أحد عشر دولاراً وعشرين سنتاً " .

أخرج خمسة عشر دولاراً .

سألته : " هل تريد أن تحسب الباقي لشراء البيرة والثلج ؟ "

قال : " ذلك حسن ، أخصم الباقي مما أنا مدين به لك " .

كنت أفكر في أن ثلاثة أسابيع مدة طويلة لتركه دون أن يسدّد حسابه ، لكنه إذا كان رجلاً أميناً ، فأي فرق سيشكل هذا ؟ كان يجب أن يدفع الحساب كل أسبوع على أية حال . لكنني تركته يتراكم مدة شهر لكي آخذ مالي بعدئذ . كانت غلطتي ، لكنني كنت مسروراً لرؤيتي القارب يعمل في البداية . لكن هذا الرجل راح ، وفي الأيام القليلة الأخيرة فقط ، يثير أعصابي في العمل ، ومع ذلك لم أرغب في قول شيء له خشية أن يتركني . لو كان أميناً ، لكانت الحال أفضل كلما طالت مدة استئجاره القارب .

سألني وهو يفتح الصندوق : " أتشرب قنينة بيرة ؟ "

ـ " لا ، شكراً " .

في تلك اللحظة تماماً ، وصل الزنجي الذي أحضر الطعم الى الرصيف ، فطلبت من إدي أن يستعد للإنطلاق بالقارب .

صعد الزنجي إلى القارب ومعه الطعم ، فانطلقنا وبدأنا نخرج من المرفأ ، وراح الزنجي يثبت سمكتين من الأسقمري ؛ مدخلاً الشص في فميهما ليخرجه من خياشيمهما ، شاقاً جنبيهما ثم مدخلاً الشص في جنبيهما الآخرين ثم مخرجاً إياه منهما ، رابطاً الفم ومغلقاً إياه على وصلة الطعم بالخيط حتى لا ينزلق الطعم ويفلته وليجر الطعم بسلاسة دون أن يدوم .

إنه زنجي أسود حقيقي ، ماهر وكئيب ، تحيط برقبته سبحة تعويذة تحت قميصه ، ويعتمر قبعة قش قديمة . وما يجب أن يفعله في القارب هو النوم وقراءة الجرائد . لكنه يثبت الطعم بمهارة وسرعة .

سألني جونسون : " ألا يمكنك تثبيت طعم على هذا النحو يا قبطان ؟ "

ـ " نعم يا سيدي " .
ـ " لِمَ تأخذ زنجياً للقيام بهذا ؟ "

قلت له : " حين تجري السمكة الكبيرة أمامك ، سترى " .

ـ " ما الفكرة ؟ "

ـ " يستطيع الزنجي تثبيت الطعم أسرع مما أثبته أنا " .
ـ " ألا يستطيع إدي هذا ؟ "
ـ " لا يا سيدي " .
ـ " يبدو لي أنها نفقات غير ضرورية " . كان يعطي الزنجي دولاراً واحداً في اليوم . وكان الزنجي يقضي كل ليلة يرقص الرمبا . وها أنا أراه نعسانا الآن .

قلت له : " إنه ضروري " .

مررنا حينذاك بمراكب شراعية وحيدة الصواري مع عرباتها حاملة الأسماك وقد رست أمام جزر كابانيا بينما رست الزوارق لتصطاد سمك الضأن عند قاع الصخور قرب جزيرة مورو ، فقدتُ القارب إلى الخارج حيث يرسم الخليج خطاً داكناً . ودلّى إدي الجاذبين الكبيرين ووضع الزنجي الأطعم في ثلاث قصبات .

كان التيار يصل إلى غور عمقه حوالي ستمائة قدم ، وحين وصلنا إلى حافته صرتَ تراه يندفع اندفاعاً أرجوانياً بدوامات منتظمة تقريباً. هب نسيم شرقي خفيف مقترباً منه ورأينا الكثير من الأسماك الطائرة ، تلك الأسماك الكبيرة ذات الأجنحة السوداء التي تبدو ، وهي تبحر بعيداً ، كصورة لِندبيرج وهو يعبر المحيط الأطلسي .

كانت تلك الأسماك الطائرة أفضل علامة توجد هناك . وكنتَ ترى في آخر مدى الرؤية أعشاب الخليج الذابلة الصفراء تلك في بقع صغيرة مما يعني أن التيار الرئيسي موجود هناك وأن هناك طيوراً تعمل فوق سرب من أسماك التونة الصغيرة . فتراها قافزة ؛ أسماك تونا صغيرة فقط تزن الواحدة منها رطلين . قلت لجونسون : " أنزل صنارتك في أي وقت تريد " .

أحاط نفسه بحزامة وثبت عدة الصيد ومد القصبة الكبيرة وعليها بكرة من نوع هاردي تلف ستمائة ياردة من خيط ستة وثلاثين . التفت إلى الخلف ورأيت الطعم يدور بسلاسة ويثب متقدماً إلى الأمام على الموجات الصغيرة ، فيغوص الجاذبان ويقفزان . وسرنا بالسرعة المناسبة تقريباً ووجهت القارب الى داخل التيار .

قلت له : " أبقِ عقب القصبة في الحلقة على الكرسي . فلا تكون القصبة ثقيلة على نحو ما هي عليه . أبقِ الساحب بعيداً حتى يمكنك تخفيف الضغط على السمكة حين تعلق . فإذا علقت السمكة والساحب مشدود فانها سترجك وتلقي بك من فوق القارب " .

كان لابد أن أذكر له نفس الشيء كل يوم ، لكنني لم أكن أبالي بذلك .

فمجموعة واحدة من بين خمسين مجموعة ممن يستأجرون القارب تلم بذلك . وحينما يلمون بذلك ، يتصرفون بغباء طيلة نصف الوقت فيرغبون في استعمال خيط غير قوي قوة كافية للأسماك بسمكة ضخمة .

سألني : " كيف يبدو هذا اليوم ؟ "

قلت له : " لا يوجد أفضل منه " . كان يوماً رائعاً حقاً .

سلمت الزنجي عجلة القيادة وطلبت منه أن يبقى القارب على طول حافة التيار في اتجاه الشرق وعدت إلى حيث يجلس جونسون يراقب طعمه وهو يتقافز مندفعاً إلى الأمام .

سألته : " تريدني أن أنزل قصبة أخرى ؟ "

قال : " لا أظن هذا . أريد أن أعلق أسماكي بالصنارة وأصارعها وأجرها إلى البر بنفسي " .

قلت : " حسناً . أتريد أن ينزل إدي الصنارة ويسلمها لك فتتمكن من الإمساك بسمكة بالشص إذا علقت " .

قال : " لا . أفضل أن أبقي قصبة واحدة في الماء " .

ـ " حسناً " .

كان الزنجي لا يزال يخرج القارب من الخليج حين نظرت فرأيت أنه رأى بقعة أسماك طائرة تندفع خارجة من الماء أمامنا على مسافة قصيرة من أعلى التيار . وبالنظر إلى الخلف ، رأيت هافانا وقد بدت رائعة تحت الشمس بينما راحت سفينة تخرج في تلك اللحظة تماماً من المرفأ أمام جزيرة مورو .

قلت له : " أظن أن الفرصة ستسنح لك لقتال سمكة اليوم يا مستر جونسون " .

قال : " حان الوقت لذلك ، كم مضى علينا ونحن نخرج ؟ "

ـ " ثلاثة أسابيع مع اليوم " .

ـ " تلك مدة طويلة نقضيها في الصيد " .

قلت له : " إنها أسماك مسلية . وهي لا توجد هنا إلاّ حين تأتي إلى هنا . لكنها حين تأتي ، تأتي بأعداد كبيرة . وهي تأتي دائماً . وإذا لم تأتِ الآن ، فلن تأتِ أبداً . القمر في الطور الصحيح . والتيار جيد وسيهب علينا نسيم عليل " .

ـ " كانت هناك بعض الأسماك الصغيرة حين حضرنا إلى هنا في البداية " .

قلت : " نعم . وكما أخبرتك . ستقل الأسماك الصغيرة وتختفي قبل أن تأتي الأسماك الكبيرة " .

ـ " لكُم أنتم قباطنة قوارب الإيجار نفس الخط . فالوقت إما مبكر على الموسم أو متأخر عنه ، أو أن الريح ليست مناسبة أو أن القمر في الطور الخاطىء . لكنكم تقبضون المال مهما كانت الظروف " .

قلت له : " حسناً ، عادة ما يكون الوقت أبكر من اللازم أو متأخراً أكثر من اللازم وغالباً ما تكون الريح في اتجاه خاطىء . وحتى يحل يوم مناسب ، فتظل فيه على الشاطىء بلا مستأجر " .

ـ " لكنك ترى أن اليوم مناسب ؟ "

قلت له : " حسناً ، لقد مر علي اليوم ما يكفي . لكنني على استعداد لأن أؤكد بأنك ستنال الكثير " .

قال : " آمل هذا " .

بدأنا الصيد . واتجه إدي الى المقدمة وتمدد . ووقفت أنا أراقب ظهور ذيل . بينما ظل الزنجي يغفو بين الحين والآخر وأنا أراقبه أيضاً . أنا متأكد من أنه قضى ليالٍ رائعة .

سألني جونسون : " ألديك مانع باحضار قنينة بيرة لي يا قبطان ؟ "

قلت : " لا مانع يا سيدي " . ونبشت بين الثلج لأخرج له قنينة باردة .

سأل : " ألا تريد واحدة ؟ "

قلت : " لا يا سيدي . سأنتظر حتى الليل " .

فتحت القنينة وكنت أمدها اليه حين رأيت هذا اللوطي البني ، بحربة أطول من ذراعك مغروسة فيه يندفع برأسه وكتفيه خارج الماء وينقض على سمكة الأسقمري تلك . بدا عرض استدارته بعرض زند منشار .

صحت : " أرخِ الخيط له " .

قال جونسون : " لم يبلعه " .

ـ " توقف إذن " .

ستصعد السمكة من الأعماق وتخطىء الطعم . عرفت أنها ستستدير وتتجه نحو الطعم مرة أخرى .

ـ " إستعد لترخيه لها في اللحظة التي تمسك بالطعم " .

ثم رأيتها تظهر من الخلف تحت الماء . كنتَ ترى زعانفها مفتوحة على سعتها كأجنحة أرجوانية وخطوطها الأرجوانية مرسومة على لونها البني . تقدمت كغواصة وأطلت زعنفتها العلوية وكنتَ تراها تشق الماء . ثم تقدمت خلف الطعم تماماً وقد أطل رمحها خارجاً من الماء تماماً كذلك ، كأنه يهتز فوق الماء .

قلت : " دعه يدخل في فمها " . أبعد جونسون يده عن بكرة الحبل وبدأت البكرة تئز واستدارت سمكة الـ مارلين العجوز وغطست فرأيت كامل طولها يلمع فضياً زاهياً وهي تستدير وتسبح بالعرض وتتجه مبتعدة بسرعة نحو الشاطىء .

قلت : " إسحب قليلاً . ليس كثيراً " .

لف خيط الجر .

قلت له : " ليس كثيراً جداً " . رأيت الخيط يميل جانباً . قلت : " أقفل البكرة واسحب السمكة بقوة . يجب أن تشد عليها . وهي ستقفز على أية حال " .

لف جونسون الخيط وعاد الى القصبة .

قلت له : " حاصرها . ألصق الخيط بها . أضربها نصف دزينة من الضربات " .

ضربها بضع مرات أخرى بقوة ، فانحنت القصبة نصفين وبدأت البكرة تسرسع بصوتها وأطلت السمكة من الماء ، وهي تقفز قفزة مباشرة طويلة ، بووم ، وتلمع لمعاناً فضياً في الشمس وترذذ الماء كأن حصاناً رمي فيه من فوق جرف .

قلت له : " خفف على السحب " .

قال جونسون : " لقد أفلتت " .

قلت له : " الجحيم هي . خفف ضغط سحبك بسرعة " .

رأيت المنحنى في الخيط ، وفي المرة التالية التي قفزت فيها السمكة وصلت الى مؤخرة القارب واتجهت نحو البحر . ثم ظهرت ثانية وهشمت الماء فابيض ، ورأيتها عالقة بالشص من جانب فمها . ظهرت الخطوط عليها بوضوح . كانت سمكة فضية رائعة زاهية اللون الآن ، مقضبة باللون الأرجواني ، وحجمها الدائري حجم زند خشب .

قال جونسون : " فلتت " . كان الخيط مرتخياً .

قلت : " لف الخيط . إنها عالقة بالشص جيداً " . وصحت بالزنجي : " أطلق القارب بأقصى سرعة آلته " .

أطلت السمكة مرة ، ومرتين ، متيبسة كعمود ، وكامل طولها يقفز مباشرة نحونا ، قاذفة الماء عالياً في كل مرة تصدم فيها الماء . إنشدّ الخيط ورأيتها تتجه نحو الشاطىء ثانية ثم رأيتها تستدير .

قلت : " ستجري الآن . لو ظلت عالقة بالشص فسأطاردها . خفف شدّك عليها . يوجد الكثير من الخيط " .

اتجهت سمكة الـ مارلين العجوز نحو الشمال الغربي كما تفعل كل الأسماك الكبيرة ، هل هي عالقة يا أخي ! بدأت تقفز قفزات طويلة وتعالى الرذاذ في كل مرة كما يتعالى من اندفاع قارب سريع في البحر . تبعناها ، مبقين إياها داخل المنطقة التي أدور حولها . أخذت عجلة القيادة واستمررت بالصراخ على جونسون طالباً منه أن يبقي سحبه خفيفاً ويلفّ البكرة بسرعة . فجأة ، رأيت قصبته ترتج وخيطه يرتخي . لن يبدو مرتخياً إلاّ إذا رأيت جذب بطن الخيط في الماء . لكنني عرفت ذلك .

قلت له : " أفلتت " .

ظلت السمكة تقفز وتابعت القفز إلى أن اختفت عن الأنظار . كانت سمكة رائعة حقاً .

قال جونسون : " لا أزال أحس بها تجذب " .

ـ " ذلك هو ثقل الخيط " .

ـ " لا أستطيع لفّه إلاّ بصعوبة . لعلها ماتت " .

قلت : " أنظر إليها . إنها لا تزال تقفز " . كنت تراها على بعد نصف ميل وهي لا تزال تقذف نفثات ماء .

أحسست بسحبه للخيط . وكان قد لفه حتى الآخر باحكام . ولم يعد يمكنك إخراج أي خيط من البكرة . فقد ينقطع .

ـ " ألم أخبرك بأن تبقي سحبك خفيفاً ؟ "

ـ " لكنها استمرت في أخذ الخيط " .

ـ " يعني ؟ "

ـ " لذلك شددت الخيط " .

قلت له : " إسمع ، إذا لم تعطها خيطاً حين تعلق بالشص على ذلك النحو ، فهي تقطعه . فلا يوجد خيط يصمد أمامها . إنْ طلبته هي فلابد أن تعطيها إياه . ويجب أن تبقي السحب خفيفاً . لا يبقي صيادو السمك المحترفون الخيط مشدوداً حين يصطادون حتى وهم يصطادون بحربونة . وما يجب أن نفعله هو أن نستعمل القارب لمطاردتها حتى لا تأخذ الخيط كله حين تجري . وبعد أن تجري تغطس وحينذاك تشدّ الخيط وتسحبه وترجعه اليك " .

ـ " إذن لو أنها لم تقطع الخيط لأمسكتُ بها ؟ "

ـ" كانت ستتاح لك فرصة " .

ـ " ما كانت تستطيع تحمل ذلك ، أليس كذلك ؟ "

ـ " تستطيع أن تفعل أشياء كثيرة . لن يبدأ القتال ضدها إلاّ بعد أن

تجري " .

قال : " حسناً ، لنصطد واحدة أخرى " .

قلت له : " لابد أن تلف ذلك الخيط على البكرة أولاً " .

كنا قد أعلقنا تلك السمكة وضيّعناها دون أن نوقظ إدي . وها إدي العجوز يعود إلى مؤخرة القارب الآن .

قال : " ما الأمر ؟ "

كان إدي عامل قوارب ماهراً ذات مرة قبل أن يصبح مخموراً ، لكنه لم يعد الآن ذا نفع على الإطلاق . نظرت اليه وهو يقف هناك طويلاً غائر الوجنتين بفم مرتخ وقد التصقت تلك المادة البيضاء في زوايا عينيه وذبل شعره في الشمس . عرفت أنه استيقظ وفيه لهفة مميتة للشراب .

قلت له : " يحسن أن تشرب قنينة بيرة " . أخرج قنينة من الصندوق وشربها .

قال : " حسناً يا مستر جونسون . أظن أنه يحسن أن أنهي غفوتي . ممنون جداً على البيرة يا سيدي " . يا لإدي ، لم تعن له السمكة شيئاً .

حسناً ، أعلقنا سمكة أخرى عند حوالي الظهر وقفزت فالتةً من الشص . كنت ترى الشص يرتفع ثلاثين قدماً في الجو حين قذفته .

سأل جونسون : " ما الخطأ الذي ارتكبته الآن ؟ "

قلت : " لا شيء . قذفت هي بالشص فقط " .

قال إدي وقد استيقظ ليشرب قنينة بيرة أخرى . " مستر جونسون ، مستر جونسون ، أنت سيء الحظ ، قد تكون محظوظاً مع النساء . مستر جونسون ، ما رأيك لو خرجنا الليلة ؟ " ثم عاد وتمدد مرة أخرى .

في حوالي الساعة الرابعة وبينما نحن نعود مقتربين من الشاطىء ضد التيار المندفع كقناة طاحونة ، والشمس على ظهورنا ؛ عضت أضخم سمكة مارلين سوداء رأيتها في حياتي طعم جونسون . كنا قد أخرجنا سمكة جبّار ريش من البحر واصطدنا أربع سمكات من أسماك التونا الصغيرة تلك ، فوضع الزنجي إحداها في شصة لتكون طعماً . وانجرت بتثاقل كبير ، لكنها أثارت رذاذاً هائلاً وهي تندفع في أثر القارب .

نزع جونسون عدة الصيد عن بكرة اللف ليتمكن من وضع القصبة على ركبتيه لأن ذراعيه تعبتا وهما تمسكان بها في نفس الوضع طيلة الوقت . ولأن يديه تعبتا من الإمساك ببكرة اللف والطعم الضخم يسحبها ، لف الخيط حين لم أكن أراقبه . لم أعرف بأنه كان قد لف الخيط . كما لم يعجبني إمساكه بالقصبة بتلك الطريقة ، لكنني كرهت أن أواصل نقده وتعنيفه طيلة الوقت .

إضافة إلى أنه لن يكون هناك أي خطر بعد أن يبتعد الخيط ويمتد خارج الماء . لكنها كانت طريقة صيد قذرة .

كنت أدير عجلة القيادة مبحراً بالقارب على حافة التيار ونحن نواجه معمل الإسمنت القديم حيث يكون الماء عميقاً وأنتَ على ذلك القرب من الشاطىء وحيث تثور تدويات ويوجد الكثير من الأطعم دائماً . ثم رأيت رذاذاً كالذي تثيره قنبلة أعماق وسيفاً وعيناً وفكاً سفلياً مفتوحاً ورأساً أسود أرجوانياً ضخماً لسمكة مارلين سوداء . كانت الزعنفة العلوية بارزة كلها من الماء وتبدو عالية علو سفنية كاملة التجهيز ، كما كان ذيلها المنجلي كله ظاهراً من الماء فيما كانت تهشم سمكة التونا تلك . كان منقارها باستدارة مضرب بيسبول ومنحرفاً ، وحين أمسكت بالطعم ، شقت المحيط شقاً عريضاً . كانت أرجوانية سوداء صلبة ولها عين بحجم زبدية حساء . كانت هائلة الحجم . وأنا واثق من أنها تزن ألف رطل .

صحت بجونسون لأطلب منه إعطاءها الخيط ، لكن ، وقبل أن أتمكن من النطق بكلمة ، رأيت جونسون يرتفع في الهواء عن كرسيه كما لو أن رافعة رفعته ، وقد أمسك مدة ثانية فقط بتلك القصبة والقصبة تنحني كقوس ، وعندئذ ضربه عقب القصبة في بطنه وتناثرت عدة الصيد على ظهر القارب .

كان قد لفّ خيط السحب بقوة ، وعندما جذبته السمكة ، رفعته عن كرسيه ولم يستطع التمسك به . كان عقب القصبة تحت إحدى رجليه والقصبة على حجرة . لو كان ربط عدة الصيد بالكرسي ، لكانت السمكة قد سحبته كذلك .

أوقفت محرك القارب وعدت إلى مؤخرته . كان يجلس هناك ممسكاً ببطنه حيث خبطه عقب القصبة .

قلت له : " أظن أن هذا يكفي اليوم " .

قال لي : " ماذا كانت ؟ "

قلت : " مارلين سوداء " .

ـ " كيف حدث هذا ؟ "

قلت : " يمكنك حساب ذلك . تكلّف بكرة اللف مائتان وخمسون دولاراً . وهي تكلّف الآن أكثر وكلفتني القصبة خمسة وأربعين دولاراً . وهناك أقل من ستمائة ياردة خيط ستة وثلاثين " .

عند ذلك خبطه إدي على ظهره وهو يقول : " مستر جونسون ، أنت غير محظوظ . لم أر ذلك يحدث من قبل طيلة حياتي " .

قلت له : " إخرس يا مخمور " .

قـال إدي : " أقـول لك يا مـستر جـونسـون إن ذلك أندر حادث رأيته في حياتي " .
قال جونسون : " ماذا أفعلِ إن علقت سمكة مثل تلك في صنارتي " .
قلت له : " تلك مـا أردتَ قتالها بنفسك " . كنـت سيء المزاج جداً .
قـال جونسون : " إنها كبيرة جداً . لماذا ، لابد أنها عقاب " .
قلت : " إسمع . سمكة كتلك قد تقتلك " .
ـ " إنهم يصطادونها " .
ـ " الذين يعـرفـون كـيف يصيدون الأسماك يصطادونها . لكن ، لا تفكر بأنهم لا يتلقون عقاباً " .
ـ " رأيت صـورة لفتاة تمسك بواحدة " .
قلت : " هذا مـؤكـد ، وهي لا تزال تصطاد السـمك . لقد بلعت الطعم وأخـرجـوا أمـعـاءها وحملوها إلى قـمـة القـارب وماتت . أنا أتكلم عن صيدها حين تعلق من فمها " .
قـال جـونسـون : " حـسناً ، إنها أسماك كـبيرة جـداً ، إذا لم يكن صيدها ممتعاً ، فلِمَ أصطادها ؟ "
قـال إدي : " ذلك صحيح يا مستر جونسون . إن لم يكن صيدها ممتعاً ، فلِمَ اصطيـادها ؟ "إسـمع يا مـستر جـونسـون ، لقد طرقت المسمار على رأسه هنـاك . إن لم يكن ممتعـاً ـ فلِمَ القيام باصطيادها ؟ "
كنت لا أزال مـهـتـزاً من رؤية تلك السـمكة كما كنت أحس بغـثيان شديد بسـبب أدوات الصيـد ، فلم أسـمـعهما . طلبت من الزنجي أن يوجه القارب نحـو جـزيرة مـورو . لم أقل لهما أي شيء بينما جلسـا همـا هنا ، إدي في أحد الكراسي وقنينة بيرة في يده وجـونسـون يحمل قنينة أخرى .
قـال لي بـعـد وهـلـة : " يـا قـبـطان ، أتسـمح بإعـداد كأس طويلة من الويسكي والصـودا والثلج ؟ "
أعـددتها له دون النطق بكلمـة ، ثم أعـددت لنفسي كأسـاً حقيقية . كنت أفكر بأن هذا الـ جـونسون قد بدأ الصيد منذ خمسة عشر يوماً ، وانتهى بتعليق سـمكة يسـتـغـرق صائد سمك محترف سنة حتى يعلقها ، ثم ضيع السمكة ، وضـيع عـدة صيـدي الثـقـيلة ، وعـرض نفـسه للسخرية ثم جلس في منتهى القناعـة وراح يشرب مع مخمور .
حين نزلنا إلى الرصـيف والزنجي يقف هناك منتظراً ، قلـت : " ماذا عن الغد ؟ "
قـال جـونسون : " لا أظن ذلك ، لقد كدت أمل من هذا النوع من صيد

السمك " .

ـ " أتريد أن تدفع للزنجي لتسريحه ؟ "

ـ " كم أنا مدين له ؟ "

ـ " دولار . أعطه إكرامية إذا أردت " .

وهكذا أعطى جونسون الزنجي دولاراً وقطعتي عملة كوبية بقيمة عشرين سنت لكل منهما .

سألني الزنجي وهو يريني قطعتي العملة المعدنية : " لِـمَ هاتان ؟ "

قلت له بالإسبانية : " إكرامية . لقد انتهى عملك . إنه يعطيك هاتين القطعتين " .

ـ " لا أحضر غداً ؟ "

ـ " لا " .

أخذ الزنجي كرة خيط القنب الذي يستعمله في ربط الأطعم وأخذ نظارته السوداء ، ثم اعتمر قبعته القش وذهب دون أن يقول لنا وداعاً . كان زنجياً لا يحسب لأي منا كبير حساب .

ـ " متى سنسوي الحساب يا مستر جونسون ؟ "

قال جونسون : " سأذهب إلى البنك في الصباح . يمكننا تسوية كل الحساب بعد الظهر " .

ـ " أتعرف عدد الأيام ؟ "

ـ " خمسة عشر " .

ـ " لا . ستة عشر يوماً مع اليوم ، ويوم للخروج ويوم للعودة ، المجموع ثمانية عشر يوماً ، ثم هناك القصبة وبكرة اللف والخيط اليوم " .

ـ " عدة الصيد على حسابك " .

ـ " لا يا سيدي . ليس كذلك إذا ضيّعتها على ذلك النحو " .

ـ " لقد دفعت أجرة استئجارها يومياً . هي على حسابك " .

قلت : " لا يا سيدي . لو كسرتها سمكة ولم يكن ذلك لغلطة ارتكبتَها أنت ، لأختلف الأمر . لقد ضيعت تلك العدة لإهمالك " .

ـ " جذبتها السمكة من بين يدي " .

ـ " لأنك شددت السحب ولم تضع القصبة في حلقتها " .

ـ " ليس لك حق تغريمي ثمن تلك العدة " .

ـ " إن أنت استأجرت سيارة ودفعت بها من فوق جرف ، ألا تظن أن من واجبك دفع تعويض عنها " .

قال : " لن أدفع إن كنت فيها " .

قـال إدي : " ذلك رائع جـداً يا مـستر جـونسـون . أنتَ فهمتَ ، أليس كـذلك يا قـبطان ؟ لو كـان فـيـهـا لقتل . ولما كان عليه أن يدفع . ذلك رأى صائب " .

لم أولِ المـخـمـور أي انتبـاه . قلت لجـونسـون : " أنت مـدين لي بمائتين وخمسـة وتسـعين دولاراً مـقابل القصبة والبكرة والخيط " .

قـال : " لـيـس هذا حق . لكن ، إذا كـانت هذه هي طريقـتك في رؤية الموضوع فلِمَ لا نقسم الفرق بيننا ؟ "

ـ " لاَ يـمـكنني شراء بديل لها بمـبلغ يقل عن ثلاثمائة وسـتين دولاراً . لن أغـرّمك ثمن الخـيط . فـسـمكة كـهـذه قد تنزع كل خيوطك ولا تكون الغلطة غلطتك . لو كان هنا شخص آخر غير المخمور لبين لك كم أنا منصف لك . أنا أعـرف أنه يبـدو مـبلغـاً كبيراً ، لكنه كان مبلغاً كبيراً الذي اشتريت به عدة الصـيـد أيضـاً . لا يمكنك صـيـد سـمكة كـهـذه بلا أفضل عدة صيد يمكن شراؤها من السـوق " .

قـال لـه إدي : " مـسـتر جـونسـون ، يقـول إنني مخمـور . ربمـا أكـون مخمـوراً ، لكنني أقول لك إنه على حق . إنه على حق وهو معقول " .

قـال جونسون أخيراً : " لا أريد أن أسبب أية مصاعب . سأدفع ثمنها ، مـع أنـنـي لا أرى نـفس رأيك . أي أن هناك ثمانيـة عشر يومـاً بسـعـر خمسـة وثلاثين دوراً في اليـوم ومـائتين وخمسـة وتسـعين دولاراً كمبلغ إضافي " .

قلت له : " أعطيـتني مـائة . سأقـدم لك قائمة بما صرفته وسأخصم ثمن الديدان الباقية . وما اشتريته من مؤن عند المجيء والذهاب " .

قال جونسون : " ذلك معقول " .

قـال إدي : " إسـمع يا مستر جونسون ، لو عرفت الطريقة التي يحاسبون بها غـريبـاً عـادةً لعرفتَ أن حسابه أكثر من معقول . أتعرف كيف حاسبك ؟ إنه حسـاب استثنائي . القبطان يعاملك كما لو كنتَ أمه " .

ـ " سأذهب إلى البنك غـداً وسأحضر إلى هنا بعـد الظهـر . ثم سأستأجر القارب بعد غد " .

ـ " يمكنك العـودة معنا فتوفر أجرة القارب " .

قـال : " لا . سأوفر الوقت بقارب الأجرة " .

قلت : " حسناً ، ما رأيك بكأس ؟ "

قال جونسون : " حسناً ، لا مشاعر سيئة الآن ، أليس كذلك ؟ "

قـلـت لـه : " لا يـا سـيـدي " . وهكذا جلس ثلاثتنا هناك في مـؤخـرة القـارب وشربنا جـرعات كبيرة من الويسكي بالصودا والثلج معاً .

في اليوم التالي ، أمضيت طيلة الصباح منشغلاً بالقارب ، فغيرت الزيت في قاع القارب وقمت بعمل أو بآخر . وعند الظهر ، ذهبت إلى المدينة وتناولت الطعام في مطعم صيني حيث تتناول وجبة مقابل أربعين سنتاً ، ثم اشتريت بعض الحاجات لأخذها إلى البيت إلى زوجتي وبناتي الثلاث . تعرفون : عطر ، مروحتان وثلاثة من تلك الأمشاط الكبيرة . حين انتهيت ، توقفت في حانة دونوفان وشربت كأس بيرة وتحدثت مع الرجل العجوز ثم عدت ماشياً إلى أرصفة سان فرانسسكو ، وتوقفت في ثلاثة أو أربعة محلات لأشرب بيرة في الطريق . اشتريت لـ فرانكي قنينتين من مشرب كَنارد ووصلت إلى ظهر المركب وأنا في أحسن حال . حين وصلت إلى ظهر المركب كان ما بقى لدي أربعين سنتاً فقط . صعد فرانكي الى القارب معي ، وبينما كنا نجلس وننتظر جونسون شربت قنينتيّ بيرة باردة من صندوق الثلج مع فرانكي .

لم يظهر إدي طيلة الليل أو النهار لكنني كنت أعرف أنه سيطلّ إن عاجلاً أو آجلاً ، حالما ينضب رصيده . أخبرني دونوفان بأنه أتى الى محله ليلة أمس لوهة قصيرة والتقى بجونسون ، كما واصل إدي الشرب على الحساب . انتظرنا ، ثم بدأت استغرب عدم مجيء جونسون . لقد تركت لهم خبراً في الرصيف أطلب فيه منهم أن يخبروه بأن يأتي إلى القارب ويصعد إلى ظهره وينتظرني فيه لكنهم قالوا لي بأنه لم يحضر . مع ذلك تصورت أنه بقي ساهراً في الخارج الى ساعة متأخرة ، ولعله لم يستيقظ من نومه إلاّ حوالي الظهر . كانت المصارف تظل مفتوحة حتى الساعة الثالثة والنصف . ورأينا الطائرة تطير مبتعدة ، وحوالي الخامسة والنصف ، لم أعد أحسّ بالاطمئنان وبدأت أحس بقلق شديد .

في الساعة السادسة ، أرسلت فرانكي إلى الفندق ليتأكد من أن جونسون كان هناك . كنت لا أزال أظن أنه ربما كان في الخارج وقد ارتبط بموعد أو أنه ربما يكون لا يزال في الفندق في حال سيئة لا تسمح له في أن يستيقظ . ظللت أنتظر وأنتظر حتى تأخر الوقت كثيراً . لكنني بدأت أحس بالقلق الشديد لأنه كان مديناً لي بثمانمائة وخمسة وعشرين دولاراً .

مضى على مغادرة فرانكي حوالي ما يزيد على نصف ساعة بقليل . وحين رأيته قادماً ، كان يمشي مسرعاً وهو يهز رأسه .

قال : " رحل بالطائرة " .

حسناً . على هذا النحو كان الوضع . القنصلية مغلقة . كان لدي أربعون سنتاً ، والطائرة تكون قد وصلت إلى ميامي الآن على أية حال . لم

أكن أستطيع حتى إرسال برقية . يا له من إنسان ، مستر جونسون ذلك ، حسناً . الغلطة غلطتي . كان لابد أن أعرف الوضع على نحو أفضل .

قلت لـ فرانكي : " حسناً ، يمكننا شرب قنينة باردة أيضاً . لقد اشتراها مستر جونسون " . كانت قد بقيت ثلاث قنانٍ من بيرة تروبكال .

كان فرانكي مستاء قدر استيائي . لم أعرف كيف يمكنه أن يكون كذلك ، لكنه بدا كذلك . فقد واصل ضربي على ظهري وهز رأسه .

هكذا هي الحال . لقد أفلست . خسرت خمسمائة وخمسين دولاراً من تأجير القارب ولا أستطيع استبدال عدة الصيد بثلاثمائة وخمسين دولاراً أخرى . فكرت : كم سيسر ذلك الوضع بعض أفراد تلك العصابة المتسكعين على الرصيف . من المؤكد أن هذا سيسر بعض المحارات . فقد رفضت أمس ثلاثة آلاف دولار لإيصال ثلاثة غرباء إلى الجزر الواطئة . إلى أي مكان ، لإخراجهم من البلاد فقط .

حسناً . ما الذي سأفعله الآن ؟ لا أستطيع إدخال الشراب الى المرفأ فلابد أن يكون لديك مال لشرائه إضافة الى أنه لم يعد يدر أي مال . المدينة تفيض به ، وليس هناك من أحد يشتريه . لكنني سأكون ملعوناً إنْ أنا عدت إلى البيت خالي الوفاض لأتضور جوعاً طيلة الصيف في تلك البلدة . إضافة إلى أن لي أسرة . لقد دفعت رسوم التخليص حين دخلت الخليج . فأنت تدفع للسمسار مقدماً فيدخلك ويخلصك من الرسوم . جحيم ، ليس لدي حتى ما يكفي لشراء بنزين القارب . إنها نغمة جحيمية حقاً . يا لك من إنسان يا مستر جونسون .

قلت : " لابد من تحميل شيء يا فرانكي . لابد من كسب بعض المال " .

قال فرانكي : " سأعمل على هذا " . إنه يتسكع في منطقة المرفأ ويقوم ببعض الأعمال المتفرقة ، وهو أصم تماماً ويشرب الكثير من الشراب كل ليلة . لكنك لن ترى رجلاً أخلص وأطيب منه . لقد عرفته منذ أن بدأت إدارة عملي هناك . وقد اعتاد على تقديم يد العون إليّ في تحميل قاربي مرات عديدة . وحين كففت عن تحميل البضائع وأخذت أؤجر القارب وأخرج به لصيد أسماك أبي سيف في كوبا ، كنت أراه يتسكع على الرصيف وحول المقهى . إنه يبدو أبكم وهو يبتسم عادة بدلاً من أن يتكلم ، وذلك لأنه كان أصماً .

سأل فرانكي : " تحمل أي شيء ؟ "

قلت : " بالتأكيد . ليس لدي خيار الآن " .

ـ " أي شيء ؟ "
ـ " بالتأكيد " .
قال فرانكي : " سأعمل على هذا . أين ستكون ؟ "
قلت له : " سأكون في بيرلا . لابد أن آكل " .
ففي مشرب بيرلا يمكنك أن تتناول وجبة مقابل خمسة وعشرين سنتاً . فكل شيء في قائمة الطعام مقابل عشر الدولار ما عدا الحساء ، فالحساء مقابل خمسة سنتات . سرت مع فرانكي متجهين إلى هناك ، فدخلت مشرب بيرلا بينما واصل هو سيره . قبل أن يتابع السير ، صافحني وخبطني على ظهري مرة أخرى .
قال : " لا تقلق . أنا فرانكي ؛ سياسة كثيرة . عمل كثير . شُرْب كثير . لا مال . لكن صديق كبير . لا تقلق " .
قلت : " إلى اللقاء يا فرانكي . لا تقلق أنت يا فتى " .

فصل ٢

دخلت مشرب بيرلا وجلست إلى طاولة . كانوا قد ثبتوا ألواح زجاج جديدة في النافذة التي كسرت ، كما كانت خزانة العرض قد أصلحت . وكان في المشرب الكثير من الإسبان يشربون أمام حاجز المشرب ، وبعضهم يتناولون الطعام . بينما لعب الدومينو يجري على إحدى الطاولات . تناولت حساء بازيلاء سوداء ويخنة لحم بقر مع بطاطا مسلوقة مقابل خمسة عشر سنتاً . أوصلت قنينة بيرة هاتوي المبلغ إلى ربع دولار . حين تكلمت مع النادل عن إطلاق النار ، لم يقل شيئاً . لقد كانوا كلهم فزعين جداً .

أكملت الوجبة وجلست مسترخياً ودخنت سيجارة وأرحت ذهني من القلق . ثم رأيت فرانكي يدخل من الباب وخلفه شخص . فكرت لنفسي : حمَل أصفر . إنه حمل أصفر إذن .

قال فرانكي : " هذا هو السيد سِنج " . وابتسم . لقد كان سريعاً جداً ، وكان يعرف هذا .

قال السيد سنج : " كيف حالك ؟ "

يكاد يكون السيد سنج أنعم شيء رأيته في حياتي . إنه صيني بلا شك ، لكنه يتكلم كأي رجل إنجليزي ، ويلبس بذلة بيضاء على قميص حريريّ وربطة عنق سوداء وإحدى قبعات باناما التي يبلغ ثمن الواحدة منها مائة وخمسة وعشرون دولاراً

سألني : " سنشرب بعض القهوة ؟ "

ـ " إذا شربت أنت " .

قال السيد سنج : " شكراً . نحن وحدنا تماماً هنا ؟ "

قلت له : " ما عدا كل من في المقهى " .

قال السيد سنج : " هذا مؤكد . لديك قارب ؟ "

قلت : " ثمانية وثلاثون قدماً . كيرماث مائة حصان " .

قال السيد سنج : " آه ، تخيلت أنه شيء أكبر " .

ـ " يحمل مائتين وخمساً وستين حقيبة دون أن يمتلىء " .

ـ " أيهمك تأجيره لي ؟ "

ـ " أية شروط ؟ "
ـ " لا داعي لذهابك . سأزوده بقبطان وطاقم بحارة " .
قلت : " لا . أذهب فيه أينما يذهب " .
قال السيد سنج : " أرى هذا " . قال لفرانكي : " أتسمح أن تتركنا وحدنا ؟ " بدا فرانكي مهتماً كالسابق ، وابتسم له .
قلت : " هو أصم . لا يفهم الكثير من اللغة الإنجليزية " .
قال السيد سنج : " أرى هذا . أنت تتكلم الإسبانية . أخبره بأن ينضم إلينا فيما بعد " .
أشرت لـ فرانكي بابهامي . نهض واقفاً واتجه إلى حاجز المشرب .
قلت : " أنت لا تتكلم الإسبانية ؟ "
قال السيد سنج : " أوه ، نعم . ما هي الظروف التي ستجعلك الآن ـ جعلتك تفكر . . . "
ـ " أنا مفلس " .
قال السيد سنج : " أرى هذا . هل القارب مدين بأية أموال ؟ هل يمكن أن تقام دعوى ضده ؟ "
ـ " لا " .
قال السيد سنج : " تمام . كم عدد مواطنيّ البؤساء الذين يمكن للقارب أن يتسع لهم ؟ "
ـ " تعني ، ينقلهم ؟ "
ـ " ذلك ما أعنيه " .
ـ " الى أين ؟ "
ـ " رحلة يوم " .
قلت : " لا أعرف . يمكن أن يحمل دزينة رجال إذا لم تكن معهم أمتعة " .
ـ " لن تكون معهم أمتعة " .
ـ " إلى أين تريد نقلهم ؟ "
قال السيد سنج : " سأترك هذا لك " .
ـ " تعني أين سأرسو بهم ؟ "
ـ " ستوصلهم حتى تورتوجاس حيث ستلتقطهم سفينة سكونة " .
قلت : " إسمع . في تورتوجاس منارة على جزيرة لوجيرهِد وفيها جهاز لاسلكي يستقبل ويرسل " .
قال السيد سنج : " تمام . سيكون إرساؤهم هناك سخيفاً جداً

بالتأكيد " .
ـ " ثم ماذا ؟ "
ـ " قلتَ إنك ستوصلهم إلى هناك . ذلك ما تتطلبه رحلتهم البحرية " .
قلت : " نعم " .
ـ " سترسو بهم في أي مكان يمليه عليك حسن تقديرك " .
ـ " هل ستصل الـ سكونة إلى تورتوجاس لأخذهم ؟ "
قال السيد سنج : " طبعاً لا . يا للسخف " .
ـ " كَمْ لكل رأس ؟ "
قال السيد سنج : " خمسون دولاراً " .
ـ " لا " .
ـ " كيف ترى خمسة وسبعين دولاراً ؟ "
ـ " كم تأخذ على الرأس ؟ "
ـ " أوه ، هذا خارج الموضوع تماماً . أنت ترى ، هناك أوجه متعددة ، أو يمكنك القول زوايا كثيرة لإصداري التذاكر . لا يتوقف الأمر على ذلك فقط " .

قلت : " نعم . وما هو مفروض أن أقوم به لا يُدفع مقابله أيضاً ، إيه ؟ "

قال السيد سنج : " أرى وجهة نظرك تماماً . لنقل مائة دولار للقطعة ؟ "

قلت : " إسمع ، أتعرف كم سأقضي في السجن إذا أمسكوا بي وأنا أقوم بهذا ؟ "

قال السيد سنج : " عشر سنوات . عشر سنوات على الأقل . لكن ، لا يوجد سبب يؤدي إلى ذهابك إلى السجن يا عزيزي القبطان . فأنت ستتعرض للمخاطرة مرة واحدة فقط ـ حين تحمل ركابك . ويترك كل شيء آخر إلى حسن تصرفك " .
ـ " وإذا عادوا وحمّلوك مسؤولية الفشل ؟ "
ـ " ذلك سهل جداً . سأتهمك أمامهم بأنك خنتني . سأعطيهم تعويضاً جزئياً ثم أشحنهم على قارب آخر . إنهم يعرفون أنها رحلة صعبة طبعاً " .
ـ " ماذا بشأني ؟ "
ـ " أظن أن لابد أن أبعث بكلمة إلى القنصلية " .
ـ " أرى هذا " .
ـ " ألف ومائتا دولار ليس مبلغاً يمكن الإستهانة به في الوقت الحالي يا

قبطان " .
ـ " متى سآخذ المال ؟ "
ـ " مائتا دولار حين توافق وألف حين تحمّل " .
ـ " لنفترض أنني هربت بالمائتين ؟ "
ابتسم : " لا يمكنني فعل شيء طبعاً . لكنني أعرف أنك لن تفعل شيئاً كهذا يا قبطان " .
ـ " أمعك المائتان ؟ "
ـ " طبعاً " .
ـ " ضعها تحت الطبق " . ووضعها .
قلت : " حسناً . سأدفع رسوم المرفأ صباحاً ، وسأنطلق خارجاً عند حلول الظلام . والآن أين سنحمل ؟ "
ـ " كيف ستكون باكوراناو ؟ "
ـ " حسناً . هل حدّدت هذا المكان ؟ "
ـ " طبعاً " .
قلت : " والآن ، بالنسبة للتحميل . تضيئون نورين ، أحدهما فوق الآخر ، عند لسان البر . سأدخل حين أرى النورين . فتخرج في زورق ، ونحمل من الزورق . تأتي أنت نفسك وتحضر المال . لن آخذ أي شخص قبل أن أستلم المبلغ " .
قال : " لا . نصف المبلغ عندما نبدأ التحميل والنصف الآخر عندما ننتهي " .
قلت : " حسناً . ذلك معقول " .
ـ " إذن فكل شيء مفهوم ؟ "
قلت : " أظن هذا . لا أمتعة ولا سلاح . لا مسدسات ولا سكاكين ولا أمواس ؛ لا شيء . يجب أن أعرف عن ذلك " .
قال السيد سنج : " ألا تثق بي يا قبطان ؟ ألا ترى أن مصالحنا متطابقة ؟ "
ـ " عليك أن تتأكد من ذلك ؟ "
قال : " أرجو ألا تحرجني . ألا ترى كيف تتطابق مصالحنا ؟ "
قلت له : " حسناً . في أي وقت ستكون هناك ؟ " .
ـ " قبل منتصف الليل " .
قلت : " حسناً . أظن أن ذلك هو كل شيء " .
ـ " كيف تريد المبلغ ؟ "

ـ " بالمئات مناسب لي " .

نهض واقفاً فراقبته وهو يخرج . إبتسم فرانكي له وهو يخرج . لم ينظر السيد سنج إليه . كان صينياً ناعم المظهر بلا شك . يا له من صينيّ .

إقترب فرانكي من الطاولة . قال : " حسناً ؟ "

ـ " أين تعرفت على السيد سنج ؟ "

قال فرانكي : " إنه يشحن صينيين . عمل كبير " .

ـ " كم مضى عليك وأنت تعرفه ؟ "

قال فرانكي : " أمضى هنا سنتين . شخص آخر شحنهم قبلة . قتله أحدهم " .

ـ " أحدهم سيقتل السيد سنج أيضاً " .

قال فرانكي : " بالتأكيد . لِمَ لا ؟ كثير من الأعمال الكبيرة " .

قلت : " يا له من عمل " .

قال فرانكي : " عمل كبير . إشحن الصينيين فلا تعود أبداً . كتب صينيون آخرون رسائل تقول إن كل شيء رائع " .

قلت : " مدهش " .

ـ " هذا النوع من الصينيين كتابة لا يعرفون . الصينيون يعرفون الكتابة أغنياء . لا يأكلون شيئاً . يعيشون على الأرز . مائة ألف صيني هنا . فقط ثلاث نساء صينيات " .

ـ " لماذا ؟ "

ـ " الحكومة لا تسمح " .

قلت : " وضع جهنمي " .

ـ " أنت تقوم بعمل ؟ "

ـ " ربما " .

قال فرانكي : " عمل جيد . أفضل من السياسة . مال كثير . أعمال كثيرة كبيرة " .

قلت له : " تشرب قنينة بيرة ؟ "

ـ " لم تعد قلقاً ؟ "

قلت : " لا ، جحيم . أعمال كبيرة كثيرة . ممتن كثيراً " .

قال فرانكي : " حسناً " ، وربت على ظهري . " يسعدني هذا أكثر من لا شيء . كل ما أريده أن تكون سعيداً . الصينيون عمل كبير ، إيه ؟ "

ـ " مدهش " .

قال فرانكي : " يسعدني هذا " . رأيت أنه يكاد يبكي ، فقد كان سعيداً

لأن كل شيء سار على ما يرام ، فربت على ظهره . يا له من فرانكي .
كان أول ما فعلته في الصباح هو الإتصال بالسمسار وطلبت منه أن يخلّص معاملاتنا الرسمية . أراد قائمة بطاقم البحارة فأخبرته بأنني لا أستخدم أي بحار .
ـ " ستبحر وحيداً يا قبطان ؟ "
ـ " ذلك صحيح " .
ـ " ماذا جرى لمساعدك ؟ "
قلت له : " مخمور طيلة الوقت " .
ـ " من الخطر جداً الإبحار وحيداً " .
قلت : " مسافة تسعين ميلاً فقط . أترى أن رفقة مخمور على ظهر قارب سيّغير من الأمر شيئاً " .
أبحرت بالقارب إلى رصيف ستاندارد أويل عبر المرفأ وملأت كلا الخزّانين تماماً . كانا يستوعبان حوالي مائتي جالون حين أملأهما تماماً . كرهت أن أشتري البنزين بسعر ثمانية وعشرين سنتاً للجالون الواحد لكنني لم أعرف أين يمكنني أن أذهب .
منذ أن قابلت الصينيّ وأخذت المال ، ظللت قلقاً على العمل . لا أظن أنني نمت طيلة الليل . وأبحرت بالقارب إلى رصيف سان فرانسسكو وهناك على الرصيف ، كان إدي ينتظرني .
قال لي : " مرحباً يا هاري " ، ولوّح بيده . رميت حبل مؤخرة القارب له فربطه ، ثم صعد إلى ظهر القارب ؛ وقد بدا أطول وأعمش وأكثر سكراً مما كان في السابق . لم أقل له شيئاً .
سألني : " ما رأيك بذلك الرجل جونسون وهو يهرب على ذلك النحو يا هاري ؟ ماذا تعرف عن ذلك ؟ "
قلت له : " إنزل من هنا . أنت سمّ لي " .
ـ " يا أخي ، ألم أستأ أنا قدر ما استأت أنت تجاه هذا ؟ "
قلت له : " إنزل من القارب " .
استوى على الكرسي متكئاً بظهره عليه فقط ومد رجليه . قال : " سمعت أننا سنبحر اليوم . حسناً ، أظن ألاّ فائدة من البقاء هنا " .
ـ " لن تذهب " .
ـ " ما بك يا هاري ؟ لا معنى لقسوتك عليّ " .
ـ " لا ؟ إنزل عنه " .
ـ " أوه ، هوّن عليك " .

ضربته على وجهه ، ونهضت واقفاً ثم صعدت على الرصيف .
قال : " لم أكن لأفعل مثل ذلك معك يا هاري " .
قلت له : " أنت على حق لعين بأنك لن تفعل ذلك . لن آخذك معي . ذلك كل ما في الأمر " .
ـ " حسناً ، لِـمَ ضربتني ؟ "
ـ " حتى تصدق أنني لن آخذك معي " .
ـ " مـاذا تريدني أن أفعل ؟ أبقى هنا وأتضور جوعاً ؟ "
قلت : " تضـور جـوعـاً حتى الجـحـيم . يمكنك العـودة الى المعـدّية . يمكنك أن تعمل مقابل أجرة نقلك " .
قال : " أنت لا تعاملني معاملة عادلة " .
قلت له : " مَنْ عـاملتـه أنتَ مـعـاملة عـادلة يا مخمور ؟ أنت تخون أمك نفسها " .
كـان ذلك صـحـيـحاً تماماً . لكن مزاجي ساء لضربي له . أنتم تعرفون ما تشـعـرون به حين تضربون سكيراً . لكنني لن آخـذه معي والأمور على ما هي عليه الآن ؛ حتى لو رغبت في أخذه .
شرع يسير مـبـتـعـداً على الرصيف وهو يبدو أطول من يوم بلا إفطار . ثم استدار وعاد .
ـ " ماذا لو سمحت لي بأخذ دولارين يا هاري ؟ "
أعطيتـه ورقة بخمسة دولارات من مال الصيني .
ـ " أعرف أنك صديقي دائماً يا هاري ، لِـمَ لا تأخذني ؟ "
ـ " أنت شؤم " .
قـال : " أنت سيء الحظ فـقط . لا تبـالِ يا صـديقي العـجوز . ستسرك رؤيتك لي مع ذلك " .
بعـد أن حـصل على المال الآن ، ابتـعد بسرعة ، لكنني أقول لك بأنه سمّ حـتى وأنت تراه يمشي . مشى كأن مفاصله وضعت على نحو معكوس .
ذهـبت إلى مشرب بيرلا وقـابلت السـمـسـار ، فأعطاني الأوراق الرسـمـيـة وقـدمت له شراباً . ثم تناولت الغداء ودخل فرانكي .
قـال : " رجـل أعـطـاني هذه لك " . وناولني نوع انبـوب ملفـوف بورقـة ومـربوط بخيط أحمر . بدا كـصـورة فوتوجرافية حين حللت رباطه ، ثم فردته ظاناً أنه قـد يكون صورة أخذها شخص على الرصيف للقارب .
حـسناً ، كـانت صـورة مأخـوذة عن قرب شديد لرأس وصدر زنجي ميت وقـد قطع عنقـه من الأذن إلى الأذن تماماً وخـيط خـيـاطة دقيقة نظيفة ، وعلى

صدره بالإسبانية : " هذا ما نفعله بالـ لنجواس لارجاس/ طويلي اللسان " .
سألت فرانكي : " مَنْ أعطاك إياها ؟ "
أشار إلى ولد إسباني يعمل في الأرصفة وهو يوشك أن يَنفق من السلّ .
كان الولد يقف أمام نضد حاسب لتناول الطعام .
ـ " أطلب منه أن يأتي إلى هنا " .
حضر الولد . قال إن شابين أعطياه الملف في حوالي الساعة الحادية عشرة . وسألاه إنْ كان يعرفني فقال : نعم . ثم أعطاه لـ فرانكي ليعطيني إياه . وقد أعطياه دولاراً حتى يوصله اليّ . قال إنهما حسنا الملبس .
قال فرانكي : " سياسة ؟ "
قلت : " أوه ، نعم " .
ـ " يظنان أنك وشيت للشرطة عن مقابلتك لأولئك الفتيان هنا في ذلك الصباح " .
ـ " أوه ، نعم " .
قال فرانكي : " سياسة سيئة . فعلتَ خيراً برفضك " .
سألت الولد الإسباني : " هل تركا أية رسالة ؟ "
قال : " لا . أن أعطيك تلك فقط " .
قلت لفرانكي : " سأغادر المكان الآن " .
قال فرانكي : " سياسة سيئة . سياسة سيئة جداً " .
جمعت كل الأوراق التي أعطانيها السمسار ولففتها في حزمة ثم دفعت الفاتورة وخرجت من ذلك المقهى وسرت عبر الميدان وخرجت من البوابة ، وقد تملكني سرور عظيم لعبوري المستودع ووصولي إلى الرصيف . لقد روعني الغلامان حقاً . كانا من البلاهة بمكان أن يظنوا أنني وشيت بالفتيان الآخرين . ذلكما الغلامان يشبهان بانشو . حين يفزعان ينفعلان ، وحين ينفعلان يرغبان في قتل أي شخص .
ركبت القارب وسخنت المحرك . وقف فرانكي على الرصيف يراقب . كان يبتسم تلك الإبتسامة الصماء السخيفة . عدت اليه .
قلت : " إسمع . لا تتورط بأية مشكلة حول هذا " .
لم يسمعني . كان لابد أن أصرخ بالكلمات له .
قال فرانكي : " أنا سياسة جيدة " . وفك الحبل لينطلق القارب .

فصل ٣

لوحت لـ فرانكي الذي رمى بالحبل ليستقر على ظهر القارب ، فوجهت القارب إلى خارج مزلق السفن واندفعت به من القناة . كانت سفينة شحن بريطانية تخرج من المرفأ فابحرت إلى جانبها ومررت بها . كانت محمّلة بالسكر حتى أعمق أعماقها وكانت صفائحها صدئة . نظر بحار بريطاني في كنزة زرقاء قديمة إليّ من مؤخرة السفينة وأنا أمر بها . خرجت من المرفأ ومررت بجزيرة مورو ووجهت القارب في مسار جزيرة وست الواطئة ؛ شمالاً . تركت عجلة القيادة وذهبت إلى حيث لففت حبل الربط ثم عدت وثبّت إتجاه سيرها في مسارها ، فانتشرت مدينة هافانا في المؤخرة ، ثم تركتها تتضاءل خلفنا حينما اقتربنا من الجبال .

اختفت جزيرة مورو عن الأنظار بعد وهلة ثم اختفى فندق ناشنال ، وأخيراً رأيت قبة الـ كابتول . لم يكن التيار قوياً بالمقارنة بتيار آخر يوم صدنا فيه بل هب نسيم خفيف فقط . رأيت سفينتين شراعيتين تتجهان نحو هافانا وكانتا تتقدمان من الغرب ، فعرفت أن التيار خفيف .

قطعت التيار الكهربائي وأوقفت المحرك . فلا معنى للتبذير في استهلاك البنزين . سأترك القارب ينساب . حين يحلّ الظلام ، سأرى أنوار جزيرة مورو دائماً ، أو أنوار كوجيمار في حالة ما إذا انساب القارب إلى مسافة بعيدة جداً ، فأوجهه إلى عرض البحر واقترب من باكوراناو . تخيلت الطريقة التي يدفع فيها التيار القارب مسافة الأثني عشر ميلاً في اتجاه باكوراناو عند حلول الظلام وكيف سأرى أنوار باركوا .

حسناً ، أوقفت المحرك وصعدت إلى المقدمة لألقي نظرة حولي . كل ما رأيته هناك هو السفينتان الشراعيتان تتجهان غرباً مبحرتين في عرض البحر ، بينما انتصبت قمة الـ كابيتول بيضاء خلفي خارج حافة البحر . انتشرت بعض أعشاب الخليج في التيار كما حلّقت بعض الطيور وهي تعمل ، لكنها لم تكن كثيرة العدد . جلست معتدلاً على قمة بيت القارب وراقبت ، لكن الأسماك الوحيدة التي رأيتها كانت تلك الأسماك البنية الصغيرة التي اعتادت أن تتجمع حول أعشاب الخليج . أخي ، لا تسمح لأي شخص في أن يقول لك إنه لا

يوجد ماء كثير بين هافانا وجزيرة وِست الواطئة . لقد كنت أنا على حافتها تماماً .

بعد وهلة ، هبطت عائداً إلى قمرة القيادة ، وكان إدي هناك .

ـ " ما الأمر ؟ ماذا حدث للمحرك ؟ "

ـ " تعطّل " .

ـ " لِـمِ لم ترفع الكوة الأرضية ؟ "

قلت : " أوه ، جحيم " .

أتعرفون ما فعله ؟ عاد ثانية وزلق الكوة الأرضية الأمامية وهبط إلى القمرة ونام . كانت معه ربعيتان . كان قد دخل أول حانة رآها واشتراهما منها وأحضرهما وصعد إلى القارب . حين انطلقت ، استيقظ ثم عاد لينام من جديد . وحين أوقفت القارب في الخليج وبدأ القارب يميل قليلاً مع ارتفاع الموج ، أيقظه .

قال : " عرفت أنك ستأخذني معك يا هاري " .

قلت : " سآخذك إلى الجحيم . أنتَ لست حتى في قائمة البحارة . أفكر أن أجبرك على القفز مِن القارب الآن " .

قال : " أنت مزّاح عجوز يا هاري . نحن المحارات لابد أن نتضامن حين تواجهنا المتاعب " .

قلت له : " أنت وفمك . مَنْ يثق بفمك حين تسخن ؟ "

ـ" أنا رجل طيب يا هاري . أختبرني وسترى كم أنا طيب " .

قلت له : " أعطني الربعيتين " . وكنت أفكر في شيء آخر .

أخرجهما فشربت جرعة من القنينة المفتوحة ووضعتها أمامي قرب عجلة القيادة . وقف هناك ونظرت إليه . أحسست بالأسف نحوه ونحو ما أعرفه . يا للجحيم ، لقد عرفته حين كان رجلاً طيباً .

ـ " ما به يا هاري ؟ "

ـ " إنه في حال حسنة " .

ـ " ما الأمر إذن ؟ لِـمَ تنظر إليّ على هذا النحو " .

قلت له وأنا أحس بالأسف نحوه : " يا أخي ، أنت متورط في متاعب كثيرة " .

ـ " ماذا تعني يا هاري ؟ "

قلت : " لا أدري إلى حد الآن . لم أتبين الأمر كله بعد " .

جلسنا هناك لوهلة ولم أعد أرغب في الحديث اليه . ففي اللحظة التي عرفت فيها ما سيجري ، أصبح من الصعب الحديث اليه . ثم هبطت إلى

الجزء السفلي من القارب وأخرجت بندقية المضخة وبندقية وينتشستر ٣٠ ـ ٣٠ اللتين أبقيهما دائماً في الأسفل في القمرة وأضعهما في غلافيهما وأعلقهما من قمة بيت القارب حيث نعلق القصبات عادة ، فوق العجلة تماماً حيث أستطيع الوصول اليهما . وأنا أحفظهما دائماً في غلافين يغلفان كامل طوليهما مصنوعين من صوف غنم مجزوز ، وصوف باطنهما منقوع بالزيت . فتلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكنك بها حمايتهما من الصدأ في القارب .

حللت بندقية المضخة وجربتها عدة مرات ، ثم أعدت تعبئتها وأدخلت رصاصة في الماسورة . وضعت طلقة في بيت النار في بندقية الـ وينتشستر ثم ملأت مخزنها بالرصاص . أخرجت مسدس سمث ويسون ثمانية وثلاثين الخاص الذي كان لديّ حين كنت في قوة الشرطة في ميامي ، من تحت الفرشة ونظفته وزيته وملأته وثبته على حزامي .

سأل إدي : " ما الأمر ؟ ما الأمر بحق الجحيم ؟ "

قلت له : " لا شيء " .

ـ " لِمَ كل هذه الأسلحة النارية اللعينة ؟ "

قلت : " أحملها دائماً في القارب . لأطلق النار على الطيور التي تضايق الأطعم أو لأطلق النار على سمك القرش ، أو للقيام بجولة على طول خط الجزر الواطئة " .

قال إدي : " ما الأمر ، اللعنة ؟ ما الأمر ؟ "

ـ " لا شيء " .

جلست هناك ومسدس الثمانية والثلاثون يرتطم برجلي مع اهتزاز القارب ، ونظرت الى إدي . فكرت في أن من غير المعقول فعل ذلك الآن . فسأحتاج اليه الآن .

قلت : " سنقوم بعمل بسيط . في باكوراناو ، سأخبرك بما سأفعله حين يأزف الوقت " .

لم أرغب في إخباره قبل وقوع الحدث بزمن طويل لأنه سيقلق كثيراً ويفزع فزعاً شديداً فلا يعود نافعاً .

قال : " لن تجد أي إنسان أفضل مني يا هاري . أنا الرجل المناسب لك . أنا معك في أية مهمة " .

نظرت اليه ، كان طويلاً وأعمش ومهزوزاً ، ولم أقل شيئاً .

سألني : " إسمع يا هاري . أتعطيني جرعة واحدة فقط . لا أريد أن أصاب بالقشعريرة " .

أعطيته جرعة وجلسنا معاً في انتظار أن يخيم الظلام . كان غروب الشمس

رائعاً وهب نسيم خفيف عليل ، وحين هبطت الشمس تماماً ، شغّلت المحرك واتجهت بالقارب ببطء نحو البر .

فصل ٤

رسونا على بعد حوالي ميل بعيداً عن الشاطيء في الظلام . كان التيار قد تجدّد مع غروب الشمس ، ورأيته يندفع داخلاً . رأيت نور جزيرة مورو في اتجاه الغرب كما رأيت تألق هافانا ، وكانت الأنوار المقابلة لنا أنوار رنكون وباراكوا . وجهت القارب ضد التيار حتى تجاوزت باكوراناو وكدت أصل إلى كوجمار . ثم تركت القارب ينساب مع التيار . كان الظلام حالكاً لكنني كنت أستطيع تحديد موقعنا جيداً . وأطفأت كل الأنوار .

سألني إدي : " ما الذي سيحدث يا هاري ؟ " بدأ يحس بالفزع مرة أخرى .

ـ " ما الذي تراه ؟ "

قال : " لا أعرف . لقد أقلقتني " . كان على وشك أن يصاب بالقشعريرة وحين اقترب مني انبعثت منه أنفاس كأنفاس buzzard/حِدأة" .

ـ" كم الساعة ؟ "

قال : " سأنزل وأرى " . صعد عائداً وقال إنها التاسعة والنصف .

سألته : " هل أنت جائع ؟ "

قال : " لا . أنت تعرف أنني لا آكل يا هاري " .

قلت له : " حسناً ، يمكنك شرب جرعة " .

بعد أن شرب ، سألته عن حاله . قال إنه في حال حسنة .

قلت له : " سأعطيك جرعتين أخريين بعد فترة وجيزة . أنا أعرف أنك لن تملك أية شجاعة إلاّ إذا شربت الروم ولا يوجد في القارب الكثير منه . لذلك يحسن أن تهوّن عليك " .

سأل إدي : " قل لي ، ما الأمر ؟ "

قلت وأنا أتحدث اليه في الظلام : " إسمع . سنذهب إلى باكوراناو وننقل إثني عشر صينياً . تولّ القيادة حين أطلب منك هذا وافعل ما أطلبه منك . سنحمل الإثني عشر صينياً على ظهر القارب وسنقفل عليهم في أسفل المقدمة . إذهب الى الأمام الآن وأغلق الكوة الأرضية باحكام من

الخارج " .

صعد ورأيته والظلام يظلله . عاد وقال : " هاري ، هل تسمح لي الآن بجرعة من تينك الجرعتين ؟ "

قلت : " لا . أريدك شجاعَ روم . لا أريدك بلا نفع " .

ـ " أنا رجل طيب يا هاري . سترى ذلك " .

قلت : " أنت مخمور ، إسمع سيأتي صيني واحد بأولئك الصينين الإثني عشر . سيدفع لي بعض المال في البداية . وحين يركب كلهم القارب ، سيدفع لي المزيد من المال . حين تراه يناولني المال في المرة الثانية ، إنطلق بالقارب إلى الأمام واتجه إلى عرض البحر . لا تلق بالاً الى ما يحدث . دع القارب يتابع الانطلاق الى عرض البحر مهما حدث . فهمت ؟ "

ـ " نعم " .

ـ " إذا حاول أي صيني الخروج من القمرة أو الخروج من الكوة الأرضية في الوقت الذي نكون فيه في عرض البحر وعلى خط سيرنا ، خذ بندقية المضخة تلك وأطلقها عليه حتى يتراجع بالسرعة التي خرج بها . هل تعرف كيف تستعمل بندقية المضخة هذه ؟ "

ـ " لا . لكنك تستطيع أن تريني ذلك " .

ـ " لن تتذكر ذلك أبداً ، هل تعرف كيف تستعمل الـ ونتِشستر ؟

ـ" إضغط ساحب الأقسام فقط ثم أطلق النار منها " .

قلت : " هذا صحيح . على ألاّ تطلق النار على بدن القارب وتثقبه " .

قال : " يحسن أن تعطيني الجرعة الأخرى تلك " .

ـ " حسناً ، سأعطيك جرعة صغيرة " .

أعطيته جرعة حقيقية . كنت أعرف أنها لن تسكره الآن ؛ فأنا أصبها على كل ذلك الخوف . لكن كل جرعة ستفعل مفعولها لوهلة وجيزة . وبعد أن شرب هذه ، قال كما لو كان سعيداً : " إذن ، سننقل صينيين . حسناً ، لقد قلت دائماً بأنني سأنقل صينيين إذا أفلست في أي وقت " .

قلت له : " لكنك لم تفلس من قبل قط ، إيه ؟ " كان مضحكاً حقاً .

أعطيته ثلاث جرعات أخرى لأحافظ على شجاعته قبل أن تحل الساعة العاشرة والنصف . كان من المسلي مراقبته ، وشغلتني مراقبته عن تفكيري بما سيحدث . لم أتخيل قط كل هذا الإنتظار . كنت قد خططت لمغادرة المكان بعد حلول الظلام ، والإنطلاق خارجاً ، خارج الوهج فقط والإبحار قرب الساحل إلى كوجمار .

قبل الساعة الحادية عشرة بقليل ، رأيت نورين يظهران في لسان البر

انتظرت قليلاً ثم اتجهت بالقارب نحو الشاطىء ببطء . إن باكوراناو خليج صغير كان فيه رصيف كبير لتحميل الرمال . وهناك نهر صغير يندفع إلى البحر حين تفتح الأمطار الحاجز عبر الفوهة . فقد ظل الشماليون يكومون الرمال في الفوهة في الشتاء حتى أغلقوها . واعتادوا أن يدخلوا النهر بسكوناتهم ويحملون الجوافة من النهر كما كانت هناك مدينة . لكن الإعصار أخذها معه واختفت الآن ما عدا بيت واحد بناه بعض الإسبان بعيداً عن الأكواخ التي دمرها الإعصار ، وكانوا يستخدمونه كناد حين يخرجون للسباحة والنزهة من هافانا . وكان هناك بيت آخر يعيش فيه المفوض ، لكنه كان يقع في الخلف بعيداً عن الشاطىء .

لكل مكان صغير مثل ذلك المكان على امتداد الشاطىء مفوّض حكومي ، لكنني تصورت أن الصينيّ لابد أنه يستعمل قاربه وأنه دفع للمفوض . حين دخلنا المكان ، شممت رائحة عنب البحر وتلك الرائحة الحلوة التي تنبعث من الأجمة وأنت تبتعد عن البر .

قلت لإدي : " تقدم إلى الأمام " .

قال : " لن ترتطم بشيء على ذلك الجانب ، فالشعاب تقع على الجانب الآخر وأنت تدخل المرفأ " . أنتم ترون ، لقد كان رجلاً صالحاً ذات يوم .

قلت : " راقب القارب " . ودخلت بالقارب إلى حيث أعرف أنهم يروننا منه . ومع خلو البحر من الموج المزبد ، سيسمعون المحرك . لم أرد الإنتظار في تلك المنطقة وأنا لا أعرف إن كانوا قد رأونا أو لا ، فأومضت بالأنوار الملّونة مضيئاً إياها مرة واحدة ، اللون الأخضر والأحمر فقط ، وأطفأتها . ثم أدرت القارب واتجهت به إلى الخارج وتركته هناك ساكناً في الخارج والمحرك يصدر تكتكة فقط . انطلقت موجة طامية قليلاً تماماً أطبقت على القارب .

قلت لإدي : " عد إلى هنا " ، وأعطيته جرعة حقيقية .

همس لي : " هل ترفع ديك البندقية بابهامك أولاً " . كان يجلس أمام عجلة القيادة الآن ، وكنت قد صعدت إلى الأعلى وفتحت كلا الغلافين وسحبت عقبي البندقيتين حوالي ست بوصات .

- " ذلك صحيح " .

قال : " أوه ، أنت فتى " .

من المؤكد أن ما يفعله الشراب به وسرعة فعله هذا كان مدهشاً .

تمددنا هناك ورأيت النور المنبعث من خلف بيت المفوض من خلال الأجمة . ورأيت النورين في لسان البر يهبطان ، وأحدهما يبتعد دائراً حول

لسان البر . لابد أنهم أطفأوا النور الآخر .

بعد وهلة وجيزة ، رأيت زورقاً يخرج من الخليج الصغير ويتجه نحونا وعليه رجل يجذف . عرفت هذا من طريقة تحركه إلى الأمام والخلف . وعرفت أنه يستعمل مجذافاً كبيراً . سررت كثيراً . فإن كانوا يجذفون على ذلك النحو ، فهذا يعني أنهم يستخدمون رجلاً واحداً .

وصلوا إلى جانب القارب بالطول .

قال السيد سنج : " مساء الخير يا قبطان " .

قلت له : " إقترب من المؤخرة ، وقف بزورقك بالعرض " .

قال شيئاً للفتى الذي كان يجذف لكن ذلك الفتى لم يستطع أن يجذف إلى الخلف ، فأمسكت بحافة زورقهم وجررته إلى المؤخرة . كان في الزورق ثمانية رجال . الصينيون الستة ، والسيد سنج ، والفتى الذي يجذف . بينما كنت أجر الزورق نحو المؤخرة ، كنت أتوقع أن يخبطني شيء على قمة رأسي ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث . إعتدلت وتركت السيد سنج يمسك بالمؤخرة .

قلت : " لنرَ كيف تبدو " .

ناولني اللفة وأخذتها وصعدت بها إلى الأعلى إلى حيث كان إدي يقف أمام عجلة القيادة وأضأت نور صندوق البوصلة . نظرت إلى اللفة مدققاً . بدت لي صحيحة ، فأطفأت النور . كان إدي يرتعد .

قلت له : " صبّ لك جرعة " . ورأيته يمد يده نحو القنينة ويقلبها .

عدت إلى مؤخرة القارب .

قلت : " حسناً ، ليصعد الستة إلى ظهر القارب " .

كان السيد سنج والكوبي الذي يجذف يجدان صعوبة في منع زروقهم من الإرتطام بقاربنا مع الأمواج العارمة القليلة المندفعة حينذاك . سمعت السيد سنج يقول شيئاً باللغة الصينية فراح كل الصينيين في الزروق يتسلقون صاعدين إلى مؤخرة القارب . قلت : " واحداً واحداً " .

قال شيئاً مرة أخرى ، فصعد واحد بعد الآخر من الصينيين الستة إلى مؤخرة القارب . كانوا كلهم بنفس الطول والحجم .

قلت لإدي : " قدهم إلى المقدمة " .

قال إدي : " من هنا يا سادة " . يا إلهي ، عرفت أنه شرب جرعة كبيرة .

قلت عندما دخلوا كلهم : " أقفل القمرة " .

قال إدي : " نعم يا سيدي " .

قال السيد سنج : " سأعود بالآخرين " .
قلت له : " حسناً " .
دفعت زروقهم وأبعدته عن القارب وشرع الفتى المصاحب له يجذف مبتعداً .
قلت لإدي : " إسمع ، أبعد تلك القنينة . أنت شجاع كفاية الآن " .
قال إدي : " طيب يا رئيس " .
ـ " ما بك ؟ "
قال إدي : " هذا ما أحب أن أفعله . قلت إجذبه بابهامك إلى الخلف فقط ؟ "
قلت : " أنت يا مخمور قذر . أعطني جرعة من تلك " .
قال إدي : " كله انتهى . آسف يا رئيس " .
ـ " إسمع . كل ما عليك فعله الآن هو ترقب اللحظة التي يناولني فيها المال ، فتندفع حينذاك بالقارب إلى الأمام " .
قال إدي : " طيب يا رئيس " .
صعدت إلى الأعلى وأخذت القنينة الأخرى وفتاحة سدادة الفلين ونزعتها بها . تناولت جرعة كبيرة وعدت إلى المؤخرة بعد أن أحكمت سد سدادة الفلين ووضعت القنينة خلف جرتين مليئتين بالماء محاطتين بأغصان مجدولة .
قلت لإدي : " ها هو السيد سنج يأتي " .
قال إدي : " نعم يا سيدي " .
تقدم الزورق مجذفاً نحونا .
أوقفه عند مؤخرة القارب وتركتهم يمسكون بالقارب . كان السيد سنج قد أمسك باسطوانة لفافة كنا قد ثبتناها في المؤخرة لزلق السمك الكبير وجره إلى ظهر القارب .
قلت : " ليصعدوا إلى السطح . واحداً واحداً " .
صعد ستة صينيين آخرين مختلفي الأشكال إلى القارب من المؤخرة . قلت لإيدي : " إفتح الطريق إلى الأعلى وقدهم إلى الأمام " .
قال إدي : " نعم يا سيدي " .
ـ " أقفل القمرة " .
ـ " نعم يا سيدي " .
رأيته أمام عجلة القيادة .
قلت : " حسناً يا سيد سنج . لنرَ باقيه " .
وضع يده في جيبه ومدّ المال نحوي . مددت يدي نحوه وقبضت على

معصم يده مع ما فيها من مال ، وحين اقترب من مؤخرة القارب قبضت على حلقه باليد الأخرى . أحسست بالقارب ينطلق ثم يندفع مهتزاً ومسرعاً إلى الأمام ، بينما انشغلت أنا بالسيد سِنج ، فلم أرَ الكوبي الواقف في مؤخرة الزورق ممسكاً بالمجداف ونحن نبتعد عنه والسيد سنج يتخبط وينطنط . كان يتخبط وينطنط على نحو أسوأ من تخبط ونطنطة دلفين عالق برمح صيد .

لويت ذراعه خلف ظهره ورفعته ، لكنني رفعتها الى مسافة بعيدة ، فقد أحسست بها تنهار . حين انكسرت ، أطلق صوتاً ضعيفاً سخيفاً وسقط إلى الأمام وأنا أمسك بحلقه ، فعضني في كتفي . لكنني أسقطت ذراعه حين شعرت بها ترتخي . لم تعد نافعة له على الاطلاق فقبضت على حلقه بكلتا يدي ، يا أخي ، راح السيد سِنج يتخبط كسمكة حقيقية ، وذراعه المرتخية تتطاوح . لكنني أجبرته على الركوع على ركبتيه ، وضغطت بكلا إبهاميّ خلف زمارة رقبته تماماً ، وثنيت رقبته كلها إلى الخلف حتى طقطقت . لا تفكر في أنك لا يمكنك سماعها تطقطق .

ظللت ممسكاً به بهدوء مدة ثانية ، ثم مددته في مؤخرة القارب . فتمدد هناك ووجهه إلى الأعلى ، هادئاً ، في ملابسه الجميلة ، وقدماه داخل قمرة القيادة ؛ ثم تركته .

أخذت المال عن أرضية قمرة القيادة وصعدت بها ووضعتها على نور صندوق البوصلة وعددتها . ثم توليت إدارة عجلة القيادة وطلبت من إدي أن يبحث تحت المؤخرة عن بعض قطع الحديد التي كنت استعملها لإرساء القارب حين كنا نصطاد سمكاً في الأعماق في بقع أو قيعان صخرية حيث لا ترغب في أن تخاطر بمرساة .

قال : " لا أجد شيئاً " . كان فزعاً من أن يبقى وحيداً في الأسفل مع السيد سنج .

قلت له : " أمسك بعجلة القيادة . تابع السير الى عرض البحر " .

صدر صوت حركة لمدة معينة في الأسفل ، لكن أمرهم لم يفزعني .

وجدت قطعتي الحديد اللتين كنت أبحث عنهما ، وكان حديداً عثرت عليه في رصيف الفحم القديم في تورتوجاس . ثم أخذت بعض خيوط الخطاف وربطت قطع حديد كبيرة بكاحلي السيد سنج . وحين أصبحنا على بعد ميلين من الشاطىء ، زلقته ورميت به من فوق القارب . انزلق بسلاسة بعيداً عن الإسطوانة اللفافة . لم أبحث حتى في جيوبه . فلم أحس بالرغبة في العبث به .

كان قد نزف قليلاً من أنفه وفمه ، فغرفت سطل ماء كاد يجرني معه من

فـوق ظهـر القارب في الإتجاه الذي كنا نسير فيه ، ونظفت ظهر المركب بفرشاة قـشط أحضرتها من تحت المؤخرة .
قلتُ لإدي : " خففْ السرعة " .
قالْ إدي : " ماذا سيحدث لو طفا ؟ "
قـلت : " أسـقطتـه إلى حـوالي سـبـعمائة عـمق . إنه ينزل إلى كـل ذلـك العـمق . إنه عـمق بعـيـد الغـور يا أخي . لن يطفـو إلاّ بعـد أن يرفعه الغاز وسـيـدفـعـه التـيار طيلة الوقت كما سيكون طعما للأسماك . لا تقلق على السيد سنج بحق الجحيم " .
سألني إدي : " ما الذي لديك ضده ؟ "
قلت : " لا شيء . كـان أسـهل رجل يمكن التـعـامل مـعـه رأيتـه طيلـة حياتي . ظننت طيلة الوقت أنْ لابد أن يكون هناك خطأ " .
ـ " لماذا قتلته ؟ "
قلت له : " حتى لا أقتل اثني عشر صينياً آخرين " .
قـال : " هاري ، يجب أن تعطيني جـرعة لأنني أحس بأمعائي تصعد إلى فمي . إن رؤية رأسه مرتخياً على ذلك النحو يثير في الغثيان " .
وهكذا أعطيته جرعة .
قال إدي " ماذا عن الصينيين ؟ "
قـلـت لـه : " سـأنـزلهـم بـأسرع وقـت ممكن . قـبـل أن تعـبـق القـمـرة برائحتهم " .
ـ " أين ستنزلهم ؟ "
قلت : " سنذهب بهم إلى الشاطىء الطويل مباشرة " .
ـ " سندخل بالقارب إلى هناك الآن ؟ "
قلت : " بالتأكيد . أدخله الى الشاطىء ببطء " .
اقتربنا من الشـاطىء فـوق الشـعـاب الصخرية ببطء وإلى حيث أرى تلألؤ الشـاطىء . كـان الكثير من الماء يغمر الشعاب الصخرية وكان القاع رملياً كله وينحدر نحو الشاطىء مباشرة .
ـ " سرِ إلى الأمام ، واذكر لي عمق الماء " .
ظل يسبر غـور العـمق بعمود سبر ، مشيراً إلّي طيلة الوقت بالعمود لأتقدم إلى الأمـام . عـاد وأشار الي أن أتوقف ، فاتجهت نحو مؤخرة القارب .
ـ " لديك عمق حوالي خمسة أقدام " .
قـلـت : " علينا أن نرسـو . فـاذا حـدث أي شيء ولم يتـسع وقـتنا لرفع المرساة ، نفلتها أو نقطعها " .

أرخى إدي الحبل ، وثبت القارب تماماً حين توقف القارب عن السحب تماماً . دوم القارب ومؤخرته في اتجاه الشاطىء .

قال : " إنه القاع الرملي ، كما تعرف " .

ـ " كم عمق الماء في المؤخرة ؟ "

ـ " لا يزيد عن خمسة أقدام " .

قلت : " خذ البندقية . كن حذراً " .

قال : " أعطني جرعة " . كان عصبياً جداً .

أعطيته جرعة وأخذ بندقية المضخة . أدرت المفتاح في قفل باب القمرة ، وفتحته ، وقلت : " أخرجوا " .

لم يحدث أي شيء .

ثم أخرج أحد الصينيين رأسه من الباب فرأى إدي واقفاً ومعه بندقية ، فعاد ودس رأسه إلى الداخل .

قلت : " أخرجوا ، لن يؤذيكم أحد " .

لم يحصل أي شيء . الكثير من الكلام باللغة الصينية فقط . قال إدي : " أخرجوا ، أنتم ! " يا إلهي . عرفت أنه شرب القنينة .

قلت له : " ضع تلك القنينة والا قذفت بك خارج القارب " .

قلت لهم : " أخرجوا والا أطلقت عليكم النار في الداخل " .

رأيت أحدهم ينظر الى ركن الباب ، ومن الواضح أنه رأى الشاطىء ، فقد بدأ يثرثر .

ـ قلت : " تقدموا ، وإلا أطلقت النار " .

خرجوا .

أقول لكم الآن : إن ذبح مجموعة من صينيين كأولئك يتطلب جحيماً من رجل دنيء كما أنني متأكد من أن ذلك سيؤدي إلى متاعب كثيرة أيضاً ناهيك عن الفوضى التي ستعم المكان .

خرجوا وكانوا فزعين ولم تكن لديهم أسلحة نارية لكنهم كانوا اثني عشر رجلاً . تراجعت إلى الخلف إلى المؤخرة ومعي بندقية المضخة . قلت لهم : " إنزلوا من المركب . لن يصل الماء الى رؤوسكم " .

لم يتحرك أحد .

ـ " إنزلوا " .

لم يتحرك أحد .

قال إدي : " أنتم يا غرباء صفر آكلو جرذان ، إنزلوا " .

قلت له : " أغلق فمك السكير " .

قال أحد الصينيين : " لا نسبح " .
قلت : " لا سباحة . ليس عميقاً " .
قـال إدي : " هيا ، إنزلوا " .
قلت : " تعـال إلى المؤخـرة هنا . أمسك ببندقيتك بإحدى يديك وعمود سبر الغـور باليد الأخرى وأراهم مدى عمق الماء " .
أراهم ذلك ، رافعاً العمود المبلل .
سألني الصيني نفسه : " لا سباحة ؟ "
ـ " لا " .
ـ " حقاً ؟ "
ـ " نعم " .
ـ " أين نحن ؟ "
ـ " كوبا " .
قـال : " أنـت محتـال لعين " ، واتجـه نحـو جـانب القـارب ، وتدلىّ ثـم نزل . غطس رأسـه تحت الماء ، لكنه اعـتـدل واقـفاً وذقنه خارج الماء . قال : " محتال لعين . محتال لعين " .
كـان غـاضباً وجريئاً جداً . قال شيئاً بالصينية ، فأخذ الآخرون ينزلون إلى الماء من مـؤخرة القارب .
قلت لإدي : " حسناً . إرفع المرساة " .
حين وجـهنا القـارب الى عـرض البـحـر ، شرع القـمـر بالطلوع ، ورأيت الصـينيين ، ورؤوسـهـم فـقط ترتفع خـارج الماء وهم يمـشون نحو الشاطىء ، وخلفـهـم ألق الشاطىء والأجمة .
خرجنا من بين الشعاب الصخرية والتفت إلى الخلف مـرة واحدة ، فرأيت الشـاطىء والجـبـال وهي تأخـذ في الظهور ؛ ثم اندفعت بالقارب في خط سيره نحو جزيرة وِست الواطئة .
قـلت لإدي : " يمكنك الإغـفـاء الآن . لا ، إنتظر ، إنزل إلى الأسـفل وافـتـح كل الكوات لتخرج الرائحة النتنة كلها من القمرة وأحضر لي اليود " .
قال حين أحضر اليود : " مابك ؟ "
ـ " جرحت أصبعي " .
ـ " أتريد مني أن أقـود القارب " .
قلت له : " نم . سأوقظك " .
تمـدد في الـسرير المثبـت في جـدار القـارب في قـمـرة القـيـادة فـوق خـزان البنزين ، وبعـد وهلة وجـيزة ، استغرق في النوم .

فصل ٥

أمسكت عجلة القيادة بركبتيّ وفتحت قميصي ونظرت إلى المكان الذي عضّني فيه السيد سنج . كانت عضة صعبة ، فوضعت عليها اليود ، ثم جلست هناك موجهاً الدفة ومتسائلاً إنْ كانت عضة الصينيين سامة ، وأصغيت إلى القارب وهو يندفع بسلاسة ورقة والماء يصدم جوانبه ، وتخيلت ، لا ، يا للجحيم ، تلك العضة ليست سامة . فرجل على شاكلة السيد سنج ذلك ينظف أسنانه بالفرشاة مرتين أو ثلاث مرات في اليوم . يا له من رجل هذا السيد سبنج . يقيناً أنه ليس رجل أعمال ناجحاً . قد يكون ناجحاً . ربما وثق بي فقط . أقول لكم إنني لم أستطع تخيل طبيعته .

حسناً ، كل شيء سهل الآن ، خلا ما يتعلق بإدي . فهو رجل مخمور وسيتكلم حين يسخن . جلست هناك موجهاً الدفة ونظرت اليه وفكرت : جحيم ، حاله وهو ميت كحاله تماماً وهو حي ، وعندئذ ، أتحرر بالكامل . حين اكتشفت أنه في القارب ، قررت أن أنهي أمره ، لكن وحتى تتيسر الأمور وتظهر أنها في أحسن حال فلن يطاوعني قلبي . لكن النظر اليه وهو ممدد هناك كان إغراءً بالتأكيد . لكنني فكرت بأنه لن يكون هناك معنى في إفساد الحال بفعل شيء قد تأسف على فعله فيما بعد . ثم أخذت أفكر بأنه لم يكن مذكوراً في قائمة طاقم البحّارة وأنني سأضطر لدفع غرامة لأخذه معي ولم أعرف كيف سأبرر وجوده معي .

حسناً ، أمامي متسع من الوقت للتفكير في أمره ، فقدت القارب في خط سيره وأخذت أشرب بين الحين والآخر جرعة من القنينة التي أحضرها إدي إلى ظهر القارب . لم يكن فيها الكثير ، وحين أنهيتها ، فتحت القنينة الوحيدة التي بقيت ، وأقول لكم أنني أحسست بالإنتعاش وأنا أوجه القارب ، وكانت ليلة رائعة أن أبحر فيها . أسفرت الرحلة عن أنها طيبة أخيراً ، مع أنها بدت سيئة جداً خلال فترات عديدة .

حين طلع النهار ، استيقظ إدي . قال إنه يحس باحساس رهيب .

قلت له : " خذ العجلة دقيقة واحدة ، أرغب في أن ألقي نظرة حولي " .

عـدت إلى مـؤخـرة القـارب وصـببت قليـلاً من الماء عليها . لكنها كانت نظيـفـة تماماً .نظفت جانبها بالفرشاة . أفرغت الرصاص من الأسلحة النارية ووضـعتها في الأسفل . لكنني ظللت أحتفظ بالمسدس على حزامي . كان الجو في الأسـفـل جيـلاً ومنعـشـاً على النحـو الذي ترغب في أن يكون عليـه ، ولا تنبـعث منه أية رائحة إطلاقاً . كان بعض الماء قد تسرب من خلال كوى ميمنة القـارب وانصب في أحـد الأسرة المثبـتـة بالجدار ؛ فأغلقت الكوى . لا يوجد في العـالم أي ضابط جمارك يمكنه أن يشم رائحة الصينيين في القارب الآن .

رأيت أوراق التـخليص الرسـمية في كيس شبكيّ معلق تحت رخصة القارب المؤطرة حـيث رمـيـتها حين صعدت إلى ظهر القارب ، فأخرجت تلك الأوراق لأراجعها . ثم صعدت إلى قمرة القيادة .

قلت : " إسمع ، كيف أدخلتَ اسمك في قائمة طاقم البحّارة ؟ "

ـ " قـابلت السـمسار حين كان متجهاً إلى القنصلية وأخبرته بأنني سأذهب معك " .

قلت له : " الله يرعى المخـمـورين " . وأخـذت المسـدس ثمانيـة وثلاثين ووضعته في الطابق السفلي .

أعـددت بعض القـهـوة هناك في الأسـفل وصـعـدت بعدئذ وأخذت عـجلة القيادة .

قلت له : " في الأسفل قهوة " .

ـ " لن تفـيـدني القـهـوة يا أخي " . أنتم تعـرفـون أنكـم لابـد أن تأسـوا عليه . فقد بدا سيئاً بالتأكيد .

في حـوالي السـاعـة التـاسـعـة ، رأينا أنوار جـزيرة سـانـد الواطئة أمـامنـا مـبـاشرة . ورأينا ناقلات نفط تقترب من الخليج لوهلة .

قـلـت لـه : " سـندخل الخليج خـلال سـاعـتين الآن . سأعطيك نفس الدولارات الأربعـة التي كنت سأعطيك إياها يومـيـاً لو كان السيد جونسون قد دفع لي " .

سألني : " كم حصلت من ليلة أمس ؟ "

قلت له : " ستمائة فقط " .

لم أعرف إنْ صدقني أم لا .

ـ " ألا أشارك فيها ؟ "

قلت له : " ذلك هو نصـيـبك . مـا قلتـه لك الآن تمامـاً ، وإذا فـتحت فمك وذكرت ما جرى ليلة أمس فأنني سأسمع عن هذا وسأنهيك " .

ـ " أنت تعرف أنني لست واشياً يا هاري " .

ـ " أنت مخمور . لكن مهما تعتعك الروم ، وتكلمت عن ذلك ، فأنا أنذرك " .

قال : " أنا رجل طيب . يجب ألا تتكلم معي على ذلك النحو " .

قلت له : " إنهم لا يصنعون الخمر ثقيلة تماماً لتحولك الى رجل طيب " . لكنني لم أعد أحس بالقلق منه ، فمن سيصدقه ؟ لن يقدم السيد سنج أية شكوى . ولن يقدم الصينيون أية شكوى أيضاً . ولن يقدم الفتى الذي كان يجذف بهم أية شكوى . لن يرغب في أن يورط نفسه في أية متاعب . سيردد إدي القصة آجلاً أو عاجلاً ، ربما سيرددها ، لكن ، من سيصدق مخموراً .

لماذا ، من سيتمكن من إثبات أي شيء ؟ من الطبيعي أن يزيد الكلام حين يرون إسمه مذكوراً في قائمة طاقم البحارة ، سيكون ذلك من حسن حظي حقاً . كان يمكنني القول بأنه سقط عن ظهر القارب ، لكن هذا سيثير الكثير من الكلام . ومن حسن حظ إدي أيضاً . الكثير من الحظ الى جانبه حقاً .

ثم وصلنا إلى حافة التيار وتخلّ الماء الأزرق عن لونه ليصبح صافياً ومخضراً فرأيت سواري اللاسلكي عند جزيرة وست الواطئة وفندق لاكونشا مرتفعاً وبارزاً من بين كل البيوت الواطئة والكثير من الدخان المنبعث من المكان الذي يحرقون فيه القمامة . كانت أنوار جزيرة ساند الواطئة على قرب شديد منا الآن كما كنت ترى مبنى السفن والرصيف الصغير على طول الأنوار فعرفت أننا على بعد أربعين دقيقة من الشاطىء فقط وسررت للعودة وقد أصبح لديّ الآن ذخيرة جيدة للصيف كله .

قلت له : " ما رأيك بجرعة شراب ؟ "

قال : " آه يا هاري . لقد عرفت دائماً أنك صديقي " .

كنت أجلس في تلك الليلة في غرفة الجلوس وأدخن سيجاراً وأشرب ويسكي بالماء وأصغي إلى جراسي ألن من الإذاعة . كانت البنات قد ذهبن إلى دار عرض سينما ، فأحسست بالنعاس وأنا أجلس هناك كما أحسست أنني في أحسن حال . طرق أحدهم الباب الأمامي ، فنهضت زوجتي ميري من حيث كانت تجلس وذهبت إلى الباب . عادت وقالت : " إنه ذلك المخمور إدي مارشال . يقول إنه يجب أن يقابلك " .

قلت لها : " قولي له أن ينصرف قبل أن أصرفه بنفسي " .

عادت إلى الغرفة وجلست فرأيت ، وأنا أنظر من النافذة من حيث كنت أجلس ورجلاي ترتفعان عن الأرضية ، إدي يسير على الطريق تحت نور

الشـارع القـوسي ومعه مخمور آخر التقطه في الطريق ، وكلاهما ينمايلان وظلاهما اللذان يلقي بهما نور الشـارع القـوسي على أرض الشارع يميلان ميلاً أسوأ .

قـالـت مـيري : " مخـمـــوران مـسكينـان لعـينـان . أنـا أرثـي لحـال أي مخمور " .

ـ " إنه مخمور محظوظ " .

قـالـت مـيري : " لا يـوجـد مخـمـورون محظوظون ، أنت تعـرف ذلك يا هاري " .

قلت : " لا . أظن أنه لا يوجـد مخمورون محظوظون " .

الجزء الثاني

هاري مورجان

الخريف

فصل ١

اقتربا من الشواطىء ودخلا الخليج ليلاً ، وهب نسيم قوي من الشمال الغربي . حين ارتفعت الشمس ، رأى ناقلة نفط تبحر في الخليج وقد انتصبت بيضاء عالية والشمس تنصب عليها ، فبدت ، في ذلك الجو البارد ، كمبانٍ طويلة ترتفع خارجة من البحر فقال للزنجي : " في أي جحيم نحن ؟ "

رفع الزنجي نفسه لينظر .

ـ " لا يشبه هذا جانب ميامي " .

قال للزنجي : " أنت تعرف تماماً بأننا لن نصل إلى ميامي " .

ـ " كل ما أقوله إن هذه المباني لا تشبه تلك المباني في جزر فلوريدا الواطئة " .

ـ " أظللنا نوجهه نحو جزيرة ساند الواطئة " .

ـ " لابد أن نراها إذن . هي أو المياه الأمريكية الضحلة " .

ثم رأى بعد وهلة وجيزة أنها كانت ناقلة نفط وليست مبانٍ ومن ثَمّ رأى بعد أقل من نصف ساعة أنوار جزيرة ساند الواطئة ، مستقيمة ورفيعة وبنية ، ترتفع بارزة من البحر تماماً حيث يجب أن تبرز .

قال للزنجي : " لابد أن تتحلى بالثقة وأنت توجه القارب " .

قال الزنجي : " لدي الثقة بالنفس ، لكن الطريقة التي سارت فيها أمور هذه الرحلة أفقدتني الثقة بالنفس " .

ـ " كيف حال رجلك ؟ "

ـ " تؤلمني طيلة الوقت " .

قال الرجل : " إنها ليست شيئاً . حافظ على نظافتها وأبقها ملفوفة تماماً فتشفى بنفسها " .

كان يوجه القارب نحو الغرب الآن ليدخل المرفأ ويرسيه اليوم في أجمة أشجار المنحروف قرب جزيرة وُمَن Woman الواطئة حيث لن يرى هو أي إنسان وحيث سيخرج الزورق للقائهما .

قال للزنجي : " ستكون في خير حال " .

قال الزنجي : " لا أدري . تؤلم ألماً شديداً " .

قـال لـه : " سـأعـالجك جـيـداً حين نصل إلى المكان . لـيـست إصـابتك بالرصاص سيئة . كف عن القلق " .

قـال : " لقـد أصبت بالرصاص . أنا لم أصب بالرصاص من قبل أبداً . واصابتي سيئة على أية حال " .

ـ " أنت خائف فقط " .

ـ " لا يا سـيـدي . أنا مصاب بالرصاص . أنا أتألم كثيراً . قضيت الليل كله وقلبي يخفق " .

ظـلّ الـزنجي يتـذمـر على ذلك النحـو ولم يكف عن إزالة الضماد لينظر إلى الجرح .

قـال له الرجل الذي يوجـه القارب : " أتركه " . تمدد الزنجي على أرضية قـمرة القيادة حيث توجد أكياس تحتوي على قناني خمرة بشكل أفخاذ خنازير ، تتراكم في كل مكان . أفسح لنفسـه مكاناً ليـتـمـدد بينها . وكان كلما تحـرك هناك ، كـانت تصـدر ضـجـة تكسر زجـاج في الأكـيـاس فتنبعث رائحة خمرة مـسـفوحة . سالت الخمرة وغطت كل شيء . كان الرجل يوجه القارب داخلاً به نحـو جـزيرة ومَن الواطئة . رأى الآن الجزيرة بوضوح .

قـال الزنجي : " أنا أتألم . أنا أتألم أكثر فأكثر طيلة الوقت " .

قـال الرجل : " أنا آسف يا وزلي . لكن لابد أن أوجه القارب " .

قـال الزنجي : " أنتَ لا تعـامل الإنسـان أفضل مما تعامل كلباً " . ساء مزاجه الآن . لكن الرجل ظل يرثي لحاله .

قـال : " سأريحك يا وزلي . وأهدأ الآن " .

قـال الـزنـجـي : " أنـت لا تـبـالي بما يحـدث لأي إنسـان . أنـت لـسـت إنسانياً " .

قال الرجل : " سأعالجك جيداً . إهدأ فقط " .

قـال الـزنـجـي : " لـن تـعـالجـني " . لم يقل الرجل الذي يدعى هاري مـورجـان شيئاً لأنه كان يحب الزنجي ولم يكن في اليد حيلة الآن سوى ضربه ، وهو لا يسـتطيع ضربه . وظـل الزنجي يتكلم .

ـ " لِـمَ لم تتـوقف حين أخذوا يطلقون النار علينا ؟ "

لم يجب الرجل .

ـ " ألا تساوي حياة إنسان أكثر من حمولة خمرة ؟ "

كـان الرجل منهمكاً في توجيه القارب .

ـ " كل ما كان يجب فعله هو أن نتوقف ونسمح لهم بأخذ الخمر" .

قـال الرجل : " لا . كـانوا سـيأخـذون الخـمـر والقارب وتذهب أنت الى

السجن " .

قال الزنجي : " لا يهمني السجن . لكن ، لا أريد أن أصاب بالرصاص أبداً " .

بدأ يثير أعصاب الرجل الآن وبدأ الرجل يحس بالتعب من سماعه له وهو يتكلم .

سأله : " من أصيب إصابة أسوأ بحق الجحيم ، أنتَ أم أنا ؟ "

قال الزنجي : " أنتَ أصبت إصابة أسوأ . لكنني لم أصب من قبل أبداً . ولم أتخيل أنني سأصاب بالرصاص أبداً . لم أتقاض أجراً لأصاب بالرصاص . لا أريد أن أصاب " .

قال الرجل له : " هوّن عليك يا وِزلي . لن يفيدك الكلام على ذلك النحو أية فائدة " .

كانا يقتربان من الجزيرة الواطئة الآن . أصبحا داخل المياه الضحلة وحالما راح يوجه القارب الى داخل القنال ، أصبح من الصعب أن يرى الشمس تنصب على الماء . كان الزنجي قد فقد عقله أو أصبح متديناً لأنه كان يتألم ؛ على أية حال ، ظل يتكلم طيلة الوقت .

قال : " لِمَ يهربون الخمرة الآن ؟ انتهى حظر الخمور . لماذا يستمرون في تهريب كهذا ؟ لماذا لا ينقلون الخمرة على المعدية ؟ "

ظل الرجل الذي يوجه القارب يراقب القنال بامعان .

ـ " لماذا لا يكون الناس أمناء ومحترمين ويكسبون رزقهم بطريقة محترمة شريفة ؟ "

رأى الرجل المكان الذي يتموج فيه الماء سلساً وهو يبتعد عن الضفة حتى حين لم يكن يستطيع أن يرى الضفة في الشمس ثم أدار القارب وابتعد به عن الضفة . دوم بالقارب حول نفسه ، وأدار عجلة القيادة بذراع واحدة ، ثم انفتح القنال وقاد القارب ببطء إلى حافة أجمة أشجار المنجروف . وصل إلى مؤخرة القارب فوق المحركين ورمى بالقابضين .

قال : " يمكنني إنزال مرساة . لكن لا أستطيع رفع أية مرساة " .

قال الزنجي : " لا أستطيع حتى أن أتحرك " .

قال له الرجل : " أنت في حال جهنمية بالتأكيد " .

أمضى وقتاً صعباً وهو يخرج ويرفع ويسقط المرساة الصغيرة لكنه ذلل تلك الصعوبة وأرسل طولاً كبيراً من الحبل فدوم القارب بين أشجار المنجروف حتى دخلت تلك الأشجار قمرة القيادة نفسها . ثم عاد إلى الخلف ونزل إلى قمرة القيادة . بدت له قمرة القيادة في حالة فوضى جهنمية تماماً .

بعد أن ضمد هو جراح الزنجي ، وبعد أن ربط الزنجي الضماد على ذراعه هو ، قضى الليل كله يراقب البوصلة ويوجه القارب ، وحين بزغ نور النهار ، رأى الزنجي ممدداً هناك بين الأكياس في وسط قمرة القيادة ، ثم راح يراقب البحار والبوصلة ويبحث عن أنوار جزيرة ساند الواطئة فلم يلاحظ كيف كانت تبدو الأحوال تماماً . كانت سيئة .

كان الزنجي ممدداً وسط حمولة الخمرة الموجودة في الأكياس وقد رفع رجله . انتشرت في قمرة القيادة ثمانية ثقوب مشظّاة واسعة . كما كان زجاج حاجب الريح مكسوراً . لم يعرف ما هي الأشياء والمواد التي كسرت ولا هي الأماكن التي لم ينزف فيها الزنجي ، وكان هو نفسه قد نزف . لكن أسوأ ما في الأمر ، حسبما يحس في هذه اللحظة ، هو رائحة الخمرة . فقد نُقع كل شيء بها . والآن ، رسا القارب بهدوء ملتصقاً بأشجار المنجروف لكنه لم يكف عن الشعور بحركة البحر الواسع الذي كانوا يمخرون عبابه طيلة الليل في الخليج .

قال للزنجي : " سأعد بعض القهوة . ثم سأعالجك" .

ـ " لا أريد قهوة " .

قال له الرجل : " أنا أريد قهوة " . لكنه بدأ يحس بالدوار في الطابق السفلي ، فخرج إلى السطح ثانية .

قال : " أظن أننا لن نشرب قهوة " .

ـ " أريد بعض الماء " .

ـ " حسناً " .

أعطى الزنجي كوب ماء من قنينة دِمجانة .

ـ " لماذا أردت متابعة الهرب حين بدأوا يطلقون النار ؟ "

أجابه الرجل : " لماذا أرادوا إطلاق النار ؟ "

قال له الزنجي : " أريد طبيباً " .

ـ " ما الذي سيفعله الطبيب لك ولم أفعله أنا ؟ "

ـ " الطبيب سيشفيني " .

ـ " ستقابل طبيباً الليلة حين يأتي الزورق " .

ـ " لا أريد أن أنتظر أي زورق " .

قال الرجل : " حسناً ، سنرمي بهذه الخمرة الآن " .

بدأ يرمي بها وكان هذا عملاً يصعب القيام به بيد واحدة . فكيس الخمرة الواحد يزن أربعين رطلاً لكنه لم يكد يرمي القليل منها حتى أصابة الدوار ثانية . جلس في قمرة القيادة ثم تمدد .

قال الزنجي : " ستقتل نفسك " .

تمدّد الرجل بهدوء في قمرة القيادة ورأسه على أحد الأكياس . كانت فروع أشجار المنجروف قد دخلت قمرة القيادة وألقت ظلاً عليه حيث تمدد . سمع الريح فوق أشجار المنجروف ، وحين نظر إلى الخارج إلى السماء العالية الباردة ، رأى سحباً رقيقة تذروها الريح الشمالية .

فكر : " لن يخرج أحد وهذه الريح تهب ، لن يبحثوا عنا بعد أن بدأت الريح تهب " .

سأل الزنجي : " هل ترى أنهم سيأتون ؟ "

قال الرجل : " بالتأكيد ، لِمَ لا يأتون ؟ "

ـ " الريح تهب بقوة شديدة " .

ـ " إنهم يبحثون عنا " .

ـ " لن يبحثوا في جو كهذا . ما الداعي لأن تكذب عليّ ؟ " كان الزنجي يتكلم وفمه يكاد يلتصق بكيس .

قال الرجل : " هوّن عليك يا وزلي " .

تابع الزنجي : " يقول الرجل : هوّن عليك . هوّن عليك . هوّن عليك ماذا ؟ أهوّن عليّ الموت ككلب ؟ لقد أوصلتني إلى هنا . أخرجني من هنا " .

قال الرجل بلطف : " هوّن عليك " .

قال الزنجي : " لن يأتوا . أعرف أنهم لن يأتوا . أنا بردان ، أنا لا أحتمل هذا الألم وهذا البرد ، أقول لك " .

اعتدل الرجل في جلسته وهو يحس بالخواء وعدم الإستقرار . راقبته عينا الزنجي حين نهض على إحدى ركبتيه ، وذراعه اليمنى تتدلى ، ثم أمسك يده اليمنى بيده اليسرى ووضعها بين ركبتيه ثم جر نفسه لينهض وقد أمسك بلوح مسمر فوق حافة القارب حتى وقف على رجليه ، ونظر إلى الأسفل ، إلى الأسفل إلى الزنجي ، ويده اليمنى لا تزال تستقر بين فخذيه . كان يفكر بأنه لم يحس بالألم من قبل في الحقيقة .

قال : " إن أبقيتها ممددة على استقامتها ، إن شددتها على استقامتها ، لن تؤلم بهذه الشدة " .

قال الزنجي : " لأربطها لك بحمالة " .

قال الرجل : " لا أستطيع ثنيها عند المرفق . لقد تيبّست على ذلك النحو " .

ـ " ماذا ستفعل ؟ "

قـال الرجل : " رمي أكـياس الخمرة . ألا تستطيع أن ترمي ما تصل إليه يدك يا وزلي ؟ "

حـاول الزنجي أن يتحرك للوصول إلى كيس ، فأنّ ثم عاد وتمدد .

ـ " أتتألم إلى ذلك الحد يا وِزلي ؟ "

قـال الزنجي : " أوه يا إلهي " .

ـ " لا ترى أنك لو حركتها ، فانها لن تؤلمك بهذا السوء ؟ "

قـال الزنجي : " أنا مـصـاب بالرصاص . لن أتحرك . يريدني الرجل أن أرمي بالخـمرة وأنا مصاب بالرصاص " .

ـ " هون عليك " .

ـ " إن ردّدت تلك مرة أخرى فإنني سأجن " .

قال الرجل بهدوء : " هوّن عليك " .

أطلق الزنجي صـوتاً مـعـولاً ، والتـقط حـجـر الشحذ من تحت الحتار وهو ينقّل يديه على السطح .

قال : " سأقتلك . سأنتزع قلبك " .

قال الرجل : " ليس بحجر شحذ . هوّن عليك يا وِزلي " .

انـتـحب الزنجي ووجـهـه على أحـد الأكـيـاس . وراح الرجل يرفع صرر الخمرة المكيسة ببطء ويسقطها من فوق جانب القارب .

فصل ٢

بينما كـان يرمي بأكـيـاس الخمرة ، سمع صوت محرك ، وحين أمعن النظر رأى زورقـاً يتـجـه نحوهما ويقطع القنال وهو يدور حول نهاية الجزيرة الواطئة .
كـان زورقـاً أبيض عليه بيت مطلي باللون الأصفر البرتقالي ، وحاجب ريح .
قال : " زورق يتقدم . تعال يا وِزلي " .
ـ " لا أستطيع " .
قـال الرجل : " من الآن فـصـاعـداً سأتذكـر . في الســابق ، كـان الأمر مختلفاً" .
قال الزنجي : " تذكّر الآن ، أنا لن أنسى شيئاً أيضاً " .
مـنـشـغـلاً بسرعـة الآن ، والعرق يسـيل على وجـهـه ، ودون أن يتـوقف ليراقب الزورق وهو يتـقـدم داخـلاً القنال نحوهما ، التقط الرجل صرر الخمرة المكيّسة بذراعه السليمة وأسقطها من فوق جانب القارب .
ـ " إنـقلب ، ابتـعـد " . وصل إلى الكيس الذي كـان تحت رأس الزنجي وطوح به من فـوق جـانب القـارب . إعـتدل الزنجي في جلسته . قال : " ها هم وصلوا " . كـاد الزورق أن يلتصق بمنتصف امتداد جنب القارب .
قـال الزنجي : " إنه القبطان وِلي . مع هواة صيد " .
في مـؤخـرة الـزورق الأبـيـض ، جـلس رجـلان في مـلابس من الفـلانيـلا وقـبـعـتين من قماش أبيض في كـرسـيّ صـيـد وهما يصيدان سمكاً بينما أمسك رجل عـجـوز ، يعـتـمـر قـبـعـة لبّاد ويرتدي سترة جلدية ، بذراع الدفة وراح يوجـه الزورق لصق أشـجـار المنجروف ومروراً بها حيث رسا قارب الخمرة .
نـادى الـرجل العـجـوز وهو يمـر بهما : " مـاذا تقـول يا هاري ؟ " لوّح الـرجـل الـذي دعـي هـاري بذارعـه السليـمـة رداً عليـه . مـر بهما الزورق ، والرجـلان اللذان يصـيـدان السـمك ينظران إلى قـارب الخـمـرة ويتحدثان إلى الرجل العـجوز . لم يسمع هاري ما كانا يقولانه .
قـال هـاري لـلـزنـجـي : " سيـدور عند فم الخليج ويعـود " . نزل إلى الأسفل وعاد ببطانية . " لأغطيك " .
ـ "حلّ وقت تغطيتك لي . سيرون الخمر بالتأكيد . ماذا ستفعل؟ "

قـال الرجل : " ولِي طيب . سيـخبرهم في المدينة بأننا هنا . لن يزعـجنا هذان الشخصان اللذانَ يصيدان . ما الذي يهمهما من أمرنا ؟ "

أحس بالخـور الآن ، وجلس على مـقعد التوجيه وأمسك بذراعه اليمنى بين فـخـذيه باحكام . كانت ركبتاه تهتزان فيحس بالإهتزاز هذا بأطراف العظمة في شـبكة ذراعـه العليـا . فتح ركـبتيه ، ورفع ذراعه وأخرجها ، ثم تركها تتدلى إلى جنبـه . كـان يجلس هناك وذراعـه تتـدلى حين مرّ بهما الزورق عائداً ليخرج من القنال . كـان الرجلان الجالسان في كرسيّ الصيد يتحادثان . كانا قد رفعا قـصـبتـيـهما وأخـذ أحدهما ينظر اليه بمنظار . كانا أبعد من أن يسمع ما كانا يقـولانه . ولم يكن سماعه لما كانا يقولانه سيساعده .

عـلى ظهـر الزورق جنوب فلورِيدا المسـتأجـر للصـيـد والذي كـــان يقوم بجـولة صـيـد داخل قناة جـزيرة ومن الواطئة ، لأن البحر كان هائجاً جداً الى حـد يمنع الصـيـد في منطقـة الشـعـاب الصخرية القريبة من الشاطىء ، فكر الـقـبـطان ولِي آدمـز : إذن ، هاري عبر بسـلام ليلة أمس . لدى هذا الفـتى شـجـاعـة . لابد أنه تلقـى الخـبطة كلها . قاربه قاربٍ بحري حقيقي . كيف تحطم حـاجب ريح قاربه كله على ما تظن . سألعن إنْ أنا تمكنت من الإبحار في سـلام في ليلة كليلة أمس . سألعن إنْ أنا قـمت بتـهـريب خمرة من كوبا . إنهم يجلبـونها من ماريل الآن . من المفروض أنها منطقة مفتوحة على سعتها .

" ما الذي قلته يا قبطان ؟ "

سأل أحد الرجلين الجالسين في كرسي الصيد : " أي قارب ذلك ؟ "

ـ " ذلك القارب ؟ "

ـ " نعم ، ذلك القارب " .

ـ " أوه ، ذلك قـارب منِ جزيرة وِست " .

ـ " ما قلتُه هو : قارب مَن هو ؟ "

ـ " لن أعرف ذلك يا قبطان " .

ـ " أصاحبه صيّاد سمك ؟ "

ـ " حسناً ، بعضهم يقول إنه كذلك " .

ـ " ماذا تعني ؟ "

ـ " يعمل قليلاً من كل شيء " .

ـ " أنت لا تعرف إسمه ؟ "

ـ " لا يا سيدي " .

ـ " ناديت عليه بإسم هاري " .

ـ " لست أنا " .

ـ " سمعتك تناديه باسم هاري " .

ألقى القبطان ولي آدمز نظرة مدققة على الرجل الذي يتكلم معه . رأى وجهاً بارز عظام الوجنتين ، دقيق الشفتين ، شديد الاحمرار بعينين رماديتين عميقتيّ الغور وفم ينم عن الإحتقار ينظر اليه من تحت قبعة بيضاء مصنوعة من قماش القنب .

قال ولي : " لابد أنني ناديت عليه بذلك الإسم خطأ " .

قال الرجل الآخر : " أنت ترى أن ذلك الرجل جريح يا دكتور " . وناول المنظار إلى رفيقه .

قال الرجل الذي خوطب كدكتور . " أرى ذلك بلا منظار . مَنْ هو ذلك الرجل ؟ "

قال القبطان ولي : " لن أعرف " .

قال الرجل صاحب الفم الذي يشي بالإحتقار : " حسناً ، ستعرف . أكتب الأرقام المطبوعة على مقدمة القارب " .

ـ " لقد كتبتها يا دكتور " .

قال الدكتور : " سنقترب ونلقي نظرة " .

سأله القبطان ولي : " هل أنت دكتور ؟ "

قال الرجل رماديّ العينين : " لست دكتور طب " .

ـ " إنْ لم تكن دكتور طب فلن أقترب من هناك " .

ـ " لِمَ لا ؟ "

ـ " لو أرادنا لأشار إلينا بذلك . وإذا لم يردنا ، فليس هذا من شأننا . فهنا كل واحد يهتم بعمله فقط " .

ـ " حسناً . لنفرض أن تهتم بعملك إذن ، خذنا الى ذلك القارب " .

تابع القبطان ولي طريقه في القنال ، ومحرك بالمير ذو الإسطوانتين يسعل باطراد .

ـ " ألم تسمعني ؟ "

ـ " نعم يا سيدي " .

ـ " لم لا تنفذ أوامري ؟ "

سأله القبطان ولي : " مَنْ تظن نفسك بحق الجحيم ؟ "

ـ " ليست هذه هي المسألة . أفعل ما أطلبه منك " .

ـ " من تظن نفسك ؟ "

ـ " حسناً . لمعلوماتك الخاصة : أنا أحد الأشخاص الثلاثة الأعظم أهمية في الولايات المتحدة اليوم " .

ـ " ما الذي تفعله في جزيرة وِست بحق الجحيم إذن ؟ "
مـال الرجل الآخر إلى الأمام . قال بتأثر : " إنه فرِدرِك هارِسون" .
قال القبطان ولي : " لم أسمع به قط " .
قـال فـردرك هارسـون : " حسناً ، ستسمع به . وسيسمع به كل شخص في هذه البلدة الصـغيرة التـافـهـة نتنة الرائحة حتى لو أدى ذلك إلى أن أنتزعها من جذورها " .
قـال الـقـبـطان ولي : " أنتَ شـخص مـهـذب . كـيف وصلت إلى تلك الدرجة من الأهمية ؟ "
قال الرجل الآخر : " هو أحد أكبر الرجال في الإدارة " .
قـال القـبطان ولي : " هراء . إن كـان على كل تلك الدرجة من الأهمية ، فما الذي يفعله في جزيرة وِست ؟ "
إوضح السكرتير : " إنه هنا للراحة فقط . سيصبح حاكماً عاماً لـ ـ "
قـال فـردرك هـارسـون : " يـكفي ذلك يا وِلِس " . ثم قـال مـبـتـسـمـاً للقـبطان : " هل ستأخذنا الآن إلى ذلك القارب ؟ " إن له ابتسامة يحتفظ بها لمثل هذه المناسبات .
ـ " لا يا سيدي " .
ـ " إسمع أنت يا صيّاداً ناقص عقل . سأجعل حياتك بائسة إلى ـ "
قال القبطان ولي : " نعم " .
ـ " أنت لا تعرف مَنْ أنا " .
قال القبطان ولي : " لا يعني لي هذا أي شيء " .
ـ " ذلك الرجل مهرب ، أليس كذلك ؟ "
ـ " ماذا ترى أنت ؟ "
ـ " ربما خصصت جائزة للقبض عليه " .
ـ " أشك بذلك " .
ـ " إنه منتهك للقانون " .
ـ " لديه أسرة ولابد أن يأكل ويطعـمها . مَنْ بحق الجحيم يمكنه أن يأكل حتى الشـبع في جـزيرة وِست والناس يعـملون للحكومـة مـقابل ستة دولارات ونصف في الأسـبوع ؟ "
ـ " هو جريح . ذلك يعني أنه متورط في متاعب " .
ـ " إلاّ إذا كان قد أطلق النار على نفسه للتسلية " .
ـ " يمكنك توفير تلك السـخـرية . ستقترب من ذلك القارب ونأخذ ذلك الرجل وذلك القـارب إلى الحجز " .

ـ " إلى أين ؟ "
ـ " إلى جزيرة وست " .
ـ " هل أنت ضابط ؟ "
قال السكرتير : " أخبرتك مَنْ هو " .
قال القبطان ولي : " حسناً " . دفع ذراع الدفة بقوة وأدارها ثم أدار الزورق ، مقترباً من حافة القنال إلى حد كبير حتى أثارت مروحة الدفع سحابة دائرية من طين المَرْل . وسار بالزورق مطلقاً أصوات انفجارات وهو يتجه في القنال نحو القارب الذي يرسو بين أشجار المنجروف .
سأل هارسون القبطان ولي : " هل لديك بندقية على ظهر الزورق ؟ "
ـ " لا يا سيدي " .
كان الرجلان في ملابس الـ فلانيلا يقفان الآن ويراقبان قارب الخمرة .
قال السكرتير : " هذا عمل يسلي أكثر من صيد السمك يا دكتور ؟ "
قال فردرك هارسون : " صيد السمك هراء . ماذا سنعمل بسمكة شارعة لو اصطدناها ؟ لا يمكنك أكلها . هذا أمر مشوق حقاً . أنا سعيد لأنني أرى هذا بأم عيني . لن يستطيع الرجل الإفلات وهو جريح على ذلك النحو . فالبحر هائج . ونحن نعرف قاربه " .
قال السكرتير بإعجاب : " ستمسك به دون عون من أحد " .
قال فردرك هارسون : " وأنا أعزل من السلاح أيضاً " .
قال السكرتير : " ودون رجال الدرك السخفاء " .
قال فردرك هارسون : " يبالغ إدجار هوفر بشعبيته . أرى أننا مددنا له الحبل على الغارب " . وقال للقبطان ولي : " تقدم من جانبه " . ورمى القبطان ولي قابضه وانجرف الزورق .
نادى القبطان ولي على القارب الآخر : " هيه . أخفضوا رؤوسكم " .
قال هارسون بغضب : " ما هذا ؟ "
قال القبطان ولي : " إخرس " .
ونادى على القارب الآخر : " هيه . إسمع . إذهب إلى المدينة وهّون عليك . لا تهتم بالقارب . سيأخذون القارب . إرمِ حمولتك واذهب إلى المدينة . معي فتى على ظهر زورقي ، نوع من جاسوس شرطة من واشنطن . يقول إنه أهم من رئيس الجمهورية . هو يريد أن يعتقلك . يظن أنك مهرب . وقد أخذ أرقام القارب . أنا لم أرك قط ، لذلك فأنا لا أعرف مَنْ أنت . لا يمكنني تحديد هويتك ـ "
إنفصل القاربان وابتعدا عن بعضهما . وتابع القبطان ولي صياحه : " أنا

لا أعرف أين يقع هذا المكان وأين رأيتك . ولن أعرف كيف سأرجع إلى هنا " .

وصلتهم صرخة من قارب الخمرة : " طيب " .

صاح القبطان ولي : " سآخذ رجل الألف باء الكبير هذا لصيد السمك حتى حلول الظلام " .

ـ " طيب " .

صاح القبطان ولي ، وصوته يكاد ينكسر : " إنه يحب صيد السمك ، لكن إبن الكلبة يدّعي بأنك لا يمكنك أكلها " .

وجاءهم صوت هاري : " شكراً يا أخي " .

سأل فردرك هارسون : " ذلك الفتى أخوك ؟ " وقد اشتد احمرار وجهه لكن حبّه للمعلومات لم يخمد أواره .

قال القبطان ولي : " لا يا سيدي . أغلب الذين يديرون قوارب يدعون بعضهم بعضاً إخواناً " .

قال فردرك هارسون : " سنذهب إلى جزيرة وِست " ؛ لكنه قال ذلك دون عظيم اقتناع بها قال .

قال القبطان ولي : " لا يا سيدي . لقد استأجرتماني يا سيدان مدة نهار كامل . سأعمل حسابي على أن تحصلوا على ما يعادل ما دفعتموه لي من مال . لقد دعوتموني نصف أبله ، لكنني سأعمل على أن تتموا يوم استئجار كامل " .

قال هارسون : " خذنا إلى جزيرة وِست " .

قال القبطان ولي : " نعم يا سيدي . فيما بعد . لكن إسمع ، إن سمك الشارعة صالح للأكل كملك السمك . حين كنا نبيع سمك الشارعة إلى شركة ريوس في سوق هافانا ، كنا نحصل على عشرة سنتات للرطل الواحد وهذا هو نفس سعر ملك السمك " .

قال فردرك هارسون : " أوه ، إخرس " .

ـ " ظننت أنك ستهتم بتلك الأمور بصفتك رجل حكومة . ألست على علاقة بأسعار الأشياء التي نأكلها أو شيئاً من هذا القبيل ؟ رفع أسعارها أو شيء من هذا القبيل ؟ ترفع أسعار صرير الأسنان وتخفض أسعار نخير الخنازير ؟ "

قال هارسون : " أوه ، إخرس " .

فصل ٣

في قارب الخمرة ، رمى هاري بآخر كيس .

قال للزنجي : " أعطني سكين السمك " .

ـ " ضاعت " .

ضغط هاري على مشغلي المحركين الذاتيين وشغل المحركين . لقد ركب محركاً ثانياً للمركب حين عاد إلى تهريب الخمرة بعد حلول فترة الركود الإقتصادي وتوقف القوارب المؤجرة عن العمل . أخذ البلطة وقطع بيده اليسرى حبل المرساة من مربط الحبال . فكر : ستغرق المرساة . سيلتقطونها حين يأخذون الحمولة . سأقود القارب إلى خليج الحامية ، وإذا أرادوا مصادرته ، فيصادرونه . يجب أن أحضر طبيباً . لا أريد أن أفقد ذراعي والقارب معاً . إن قيمة الحمولة تعادل ثمن القارب . لم يكسر منها الكثير . فعبوة صغيرة مكسورة تفوح بالكثير من الرائحة .

دفع قابض الميسرة إلى الداخل ودوم خارجاً من بين أشجار المنجروف وابتعد عنها مع المد . دار المحركان بسلاسة . كان زورق القبطان ولي على بعد ميلين ويتجه الآن نحو بوكا جراند . فكر هاري : أظن أن المد عالٍ لدرجة كافية لعبور البحيرات الآن .

دفع قابض الميمنة وهدر المحركان حين دفع رافعاً الخانق . أحس بمقدمة القارب ترتفع ومرت أشجار المنجروف الخضراء الممتدة على الساحل مروراً سريعاً إلى جانبه فيما كان القارب يمتص الماء من جذور تلك الأشجار . فكر : آمل ألا يصادروه . آمل أن يعالجوا ذراعي . كيف كنت سأعرف أنهم سيطلقون النار علينا في ماريل بعد أن استمررت أذهب إلى هناك وأعود منه جهاراً نهاراً مدة ستة أشهر . ذلكم هم الكوبيون حقاً . لم يدفع أحدهم لأحدهم فأطلقوا علينا النار . ذلكم هم الكوبيون تماماً .

قال وهو يلتفت لينظر إلى داخل قمرة القيادة حيث كان يتمدد الزنجي والبطانية فوقه : " هيه يا وزلي . كيف حالك ؟ "

قال وزلي : " يا إلهي ، لا يمكن أن أكون في حال أسوأ " .

قال له هاري : " ستصبح حالك أسوأ حين يجس الطبيب العجوز الجرح

بحثاً عن الرصاصة " .

قـال الزنجي : " أنتَ لست بشراً . ليست لديك مشاعر بشر " .

راح هـاري يـفكر : ذلك العـجـوز ولي رجل طيب . إنه رجل طيب ذلك العـجـوز ويلي . فـعلنا خيراً بدخـولنا الى هنا وعـدم انتظارنا . كـان من الغباء الإنتظار . أحسست بالدوار الشديد والغثيان ففقدت حسن التقدير لدي .

أمـامـه الآن ، رأى بيـاض فـتـدق لا كـونشـا وسـوارى اللاسلكي وبيـوت المدينة . رأى مـعـديات السـيـارات ترسـو على رصـيف ترومـبـو حيث سيدور حـوله حتى يتجه إلى خليج الحامية . فكر : ذلك العجوز ولي . أحرقهم بنار جهنم . أتسال من كانت تلكما الحدأتين . اللعنة إنْ لم أكن في حال سيئة جداً الآن . أحس بدوار شـديد . فـعلنا الصـواب بدخـولنا . فـعلنا الصواب بعدم انتظارنا .

قـال الزنجي : " مـستر هاري . أنا آسف لأنني لم أقـدم لك يد العـون في رمي تلك الخمرة " .

قـال هاري : " إلى الجـحيم . لا نفع في زنجي حين يصاب بالرصاص . أنت في صحة جيدة يا زنجي وزلي " .

فـوق صـوت هدير المحـركين وقـعـقـعة اندفاع القارب الماخر عباب الماء ، أحس بصوت تغـريد غـريب خـاو في قلبه . إنه يحس بهذا دائماً وهو يعود إلى البـيـت عـنـد نهاية رحلة . فكر : آمل أن يتـمكنوا من عـلاج تلك الذراع . فلدي عمل كثير لتلك الذراع .

الجزء الثالث

هاري مورجان

الشتاء

فصل ١

آلبِـرت يتكلم

كنا كلنا هناك في مشرب فـردي وهذا المحـامي النحيل الطويل يدخل ويقول : " أين خوان ؟ "

قال أحدهم : " لم يعد بعد " .

ـ " أعـرف أنه عاد ولابد أن أراه " .

قـال هاري : " بالتأكيد ، تعطيهم معلومات عنه فيدينونه ، وها أنت الآن تسـتعـد لأن تدافع عنه . لا تحضر إلى هنا وتسـأل أيـن هو . لعلك تضعه في جيبك " .

قال المحامي : " ليصبك الرصاص . عندي عمل له " .

قـال هـاري : " حسـناً ، إذهب وابحث عنه في مكان آخـر ، إنـه ليـس هنا " .

قال المحامي : " لدي عمل له ، أقول لك " .

ـ " ليس لديك أي عمل لأي إنسان . أنت كلك سُمّ " .

في تلك اللحظة تماماً يدخل الرجل العجوز ذو الشعر الأشيب الساقط على ظهـر ياقـتـه والذي يبيع سلعـاً خاصة مصنوعة من المطاط ليشتري ربع باينت فـيـصب فردي الربع له ويسدّ الرجل العجوز القنينة بالفلينة ويسرع راجعاً إلى الشارع ومعه القنينة .

سأل المحـامي هاري : " مـا الذي جـري لذراعك ؟ " كان هاري قد رفع كم قميصه وشبكه بدبوس على كتفه .

قال هاري : " لم يعجبني منظرها فقطعتها " .

ـ " قطعتها أنتَ مع مَن ؟ "

قـال هاري : " أنا ودكـتـور قطعناها " . ظل يشرب طيلة الوقت وقـد أثر عليـه الشراب قليـلاً . " ثبـتـهـا أنا له وقطعـهـا هو . لو أنهم يقطعون الأذرع لأنها تدخل جـيـوب أناس آخرين لما بقي لديك يدين ولا قدمين " .

سأله المحامي : " ما الذي جـرى لها حتـى اضطروا إلى قطعها ؟ "

قال له هاري : " هون عليك " .

ـ " لا ، أنا أسألك . ما الذي جرى لها وأين كنتَ أنت ؟ "

قال له هاري : " إذهب وازعج شخصاً آخر . فأنت تعرف أين كنت وأنت تعرف ما جرى . أقفل فمك ولا تزعجني " .

قال له المحامي : " أريد أن أتكلم معك " .

ـ " تكلم معي إذن " .

ـ " لا ، في الخلف " .

ـ " لا أريد أن أتكلم معك . لا يأتي أي خير منك . أنت سم " .

ـ " لدي شيء لك . شيء حسن " .

قال له هاري : " حسناً . سأصغي إليك مرة واحدة . عمن ستتكلم ؟ خوان ؟ "

ـ " لا . ليس عن خوان " .

عادا إلى ما وراء منعطف المشرب إلى حيث توجد الأكشاك وبقيا هناك فترة . أثناء ابتعادهما ، دخلت بِج لوسي ومعها تلك الفتاة التي تقيم في المنطقة التي يقيمون فيها ، الفتاة التي تنتقل معها دائماً هنا وهناك ، وجلستا إلى حاجز المشرب وشربتا كوكا كولا .

يقول فردي لإبنة بِج لوسي : " يقولون لي إنهم لن يسمحوا لأية فتاة بالخروج إلى الشوارع بعد الساعة السادسة ليلاً ولن يسمحوا لأية فتاة بدخول أي مشرب " .

ـ " ذلك ما يقولونه " .

يقول فردي : " ستصبح المدينة جحيماً " .

ـ " جحيم حقاً . تخرج لشراء شطيرة وكوكا كولا فيقبضون عليك ويغرّمونك خمسة عشر دولاراً " .

تقول إبنة بِج لوسي : " ذلكم كل مَنْ يختارونهم الآن . أي نوع من الرياضيين . أي شخص يتمتع بأي وجهة نظر بهيجة " .

ـ " إن لم يقع شيء لهذه البلدة بسرعة فستسوء الأحوال " .

عندئذٍ تماماً ، عاد هاري والمحامي وقال المحامي : " ستخرج إلى هناك إذن ؟ " .

ـ " لِـمَ لم تحضرهم إلى هنا ؟ "

ـ " لَا . لا يريدون أن يدخلوا . في الخارج هناك " .

قال هاري : " حسناً " ، وخطا متقدماً نحو حاجز المشرب وخرج المحامي .

سألني : " ماذا ستشرب يا آل " .

ـ " بكاردي " .

ـ " أعطنا كأسي بكاردي يا فردي " . ثم التفت إليّ وقال : " ماذا تفعل الآن يا آل " .

ـ " أشتغل على بطاقة البطالة كبديل " .

ـ " ماذا تعمل ؟ "

ـ " حفر المجاري . أزيل قضبان الترمويات " .

ـ " ماذا تأخذ ؟ "

ـ " سبعة ونصف " .

ـ " أسبوعياً ؟ "

ـ " ماذا ترى ؟ "

ـ " كيف تشرب هنا ؟ "

قلت له : " لم آتِ إلاّ بعد أن دعوتني " . اقتربَ نحوي قليلاً : " تريد أن تقوم برحلة ؟ "

ـ " يعتمد على نوعها " .

ـ " سنتحدث عن ذلك " .

ـ " حسناً " .

قال : " تعال لنخرج بالسيارة . إلى اللقاء يا فردي " . تنفس تنفساً أسرع قليلاً على نحو ما يتنفس حينما يشرب ومشيت حيث كُسّر الشارع ، حيث ظللنا نشتغل طيلة النهار ، نحو الركن الذي تقف فيه سيارته . قال : " إركب " .

سألته : " إلى أين سنذهب ؟ "

قال : " لا أعرف . سأعرف هذا " .

قاد السيارة في شارع وايتهِد ولم يقل شيئاً ثم استدار يساراً عند رأس الشارع وسار عبر رأس البلدة إلى شارع وايت وتابع السير فيه إلى أن خرج منه إلى الشاطىء . لم يقل هاري شيئاً طيلة الوقت ، واستدرنا إلى الطريق الترابي وقاد السيارة عليه نحو الجادة . في الجادة قادها الى طرف رصيف المشاة وتوقف .

قال : " بعض الغرباء يريدون استئجار قاربي والقيام برحلة " .

ـ " أوقفت الجمارك قاربك " .

ـ " لا يعرف الغرباء ذلك " .

ـ " أي نوع رحلة ؟ "

ـ " يقولون إنهم يريدون نقل شخص يجب أن يذهب إلى كوبا للقيام بعمل ما ولا يمكنه دخولها بالطائرة أو السفينة . أخبرني شفاة النحل بذلك " .

ـ " هل يفعلون ذلك ؟ "

ـ " بالتأكد . طيلة الوقت منذ الثورة . يبدو أنه عمل سليم . الكثير من الناس يذهبون بتلك الطريقة " .

ـ " وماذا عن القارب " .

ـ " علينا أن نسرق القارب . أنت تعرف أنهم لم يصلحوه لذلك فأنا لا أستطيع تشغيله " .

ـ " كيف ستخرجه من قاعدة الغواصات ؟ "

ـ " سأخرجه " .

ـ " كيف سنعود ؟ "

ـ " لابد أن أفكر بذلك . إذا لم ترد الذهاب ، فقل هذا " .

ـ " سأذهب إنْ كان فيه أي مال " .

قال : " إسمع . أنتَ تكسب سبعة دولارات ونصف أسبوعياً . عندك ثلاثة أطفال في المدارس يجوعون عند الظهر . ولديك أسرة تتألم بطونها وأنا أقدم إليك فرصة لكسب قليل من المال " .

ـ " لم تقل كم من المال . لابد أن تكسب مالاً حتى تخاطر " .

قال : " ليس في أي نوع من الفرص المتاحة الآن الكثير من المال يا آل . أنظر إليّ . اعتدت أن أكسب خمسة وثلاثين دولاراً في اليوم أثناء الموسم بالخروج بالناس لصيد السمك . والآن ، أصبت بطلق ناري وفقدت إحدى ذراعيّ وقاربي أثناء تهريب حمولة قذرة من الخمرة تكاد تبلغ قيمتها ثمن القارب . لكن لأخبرك أن بطون أطفالي لن تتألم ولن أحفر أنا مجاري للحكومة مقابل مال يقل عما أحتاج اليه لأطعمهم به . وأنا لا أستطيع الآن الحفر بأية طريقة من الطرق . أنا لا أعرف مَنْ سن القوانين لكنني أعرف أنه لا يوجد قانون يحتم عليك أن تجوع " .

قلت له : " قمتُ باضراب ضد تلك الأجور " .

قال : " وعدتَ إلى العمل . قالوا إنكم تضربون ضد الصدقة . لقد اشتغلتَ دائماً ، أليس كذلك ؟ ولم تطلب من أي شخص صدقة أبداً " .

قلت : " لا يوجد أي شغل . لا يوجد أي شغل بأجور تكفي معيشة الإنسان في أي مكان " .

ـ " لماذا ؟ "

ـ " لا أعرف " .

قـال : " ولا أنا . لكن أسرتي ستأكل طالما يأكل أي شـخص آخر . كل مـا يحاولون فـعله هو تجـويعكم أنتم المحـارات لتـخـرجـوا من هنا حتى يحرقوا الأكـواخ ويبنوا شـقـقـاً مكانها ويحولوا هذه البلدة إلى بلدة سيـاحية . ذلك ما أسـمعـه . أسـمع أنهم يشترون قطع الأرض ، وبعـد أن يجوع الفـقـراء حتى يخرجـوا ويذهبـوا إلى مكان آخـر ليجوعوا أكثر مما جاعوا في السابق ، يأتون الى هنا ويحولون المكان إلى بقعة جميلة للسياح " .

قلت : " أنت تتكلم كرَديكالي " .

قال : " أنا لست رديكالياً . أنا ناقم . لقد ظللت ناقماً مدة طويلة " .

ـ " فـقدك لذراعك لن يحسّن من مزاجك " .

ـ " إلى الجـحـيم بذراعي . حين تفـقـد ذراعاً فانت تفقد ذراعاً . هناك ما هو أسـوأ من فـقـد ذراع . لديك ذراعان اثنتان ولديك شيئان آخران . الرجل يبـقى رجـلاً بذراع واحـدة أو بواحد من ذينك الشيئين . إلى الجحيم بهذا . أنا لا أريـد أن أتكلم عن هذا " . ثم يقـول بعـد دقـيـقة : " لا زال لدي ذلكما الـشـيئان " . ثـم شـغّل الـسـيـارة وقـال : " هـيـا ، سـنـذهب لنرى هؤلاء الأشخاص " .

قـادنا على طول الجـادة والنسيم يهب وبضع سيارات تمر بنا ورائحة أعشاب البحر الميتة تعبق على الإسمنت حيث كانت الأمواج قد غمرت الجدار البحري عند ارتفـاع المد ، وهاري يقـود السيـارة بذراعه اليسرى . لقد أحببته دائماً حقاً وخـرجت معـه في قـارب مرات عديدة في الأيام الخوالي ، لكنه تغير الآن منذ أن فـقـد ذراعـه ، فـبـعـد أن قـدّم ذلك الشخص الذي زار البلدة من واشنطن شـهـادةً خطيـة يقـسم بأنه رأى القـارب وهو يفـرغ الخـمرة حينذاك ، صادرت الجمارك قـاربه . حين يكون في قـارب يكون دائماً حسن المزاج لكنه يصبح سيء المزاج جـداً حين يكون بلا قـارب . أظن أنه كـان سعيداً لإيجاد تبرير لسرقـة القـارب . وهو يعـرف أنه لن يستطيع الإحتفاظ به لكنه قد يتمكن من كسب بعض المال من القـارب وهو مـعـه . كنت في أمس الحاجـة إلى المال ، لكنني لم أرغب في التـورط في أية متـاعب . فقلت له : " أنتَ تعرف أنني لا أرغب في التورط في أية متاعب حقيقية يا هاري " .

ـ " أية متـاعب ستتورط فيها أسوأ من المتاعب التـي تتورط فيها الآن ؟ أي جـحيم متاعب أسوأ من التضور جوعاً ؟ "

قلت : " أنا لا أتضور جوعاً . أي جحيم يجعلك تتكلم دائماً عن التضور جوعاً ؟ "

ـ " قـد لا تتضور جوعاً ، لكن أطفالك يتضورون " .

قلت : " أسكت . سأعمل معك لكنك لن تخاطبني بتلك الطريقة " .
قال : " حسناً . لكن تأكد من أنك تريد العمل . يمكنني أخذ العديد من الرجال من هذه البلدة " .
قلت : " أريد العمل . لقد قلت لك إنني أريده " .
ـ " إنبسط إذن " .
قلت : " أنت الذي يجب أن ينبسط . أنت الوحيد الذي يتكلم كـ رديكالي " .
قال : " أوه ، إنبسط . ليس لدى أي منكم أنتم الـ محارات أية جرأة " .
ـ " منذ متى لم تعد أنت نفسك محارة ؟ "
ـ " منذ أول وجبة دسمة تناولتها " . كان دنيء الكلام الآن ، حسناً ، ومنذ أن كان فتى لم يشفق على أي إنسان أبداً . لكنه لم يشفق على نفسه أبداً أيضاً .
قلت له : " حسناً " .
قال : " هون عليك " . أمامنا ، رأيت أنوار هذا المكان .
قال هاري : " سنقابلهم هنا . أبقِ فمك مزرراً تماماً " .
ـ " إلى الجحيم بك " .
قال هاري ونحن ندور داخلين الممر وقد قاد السيارة دائراً حول المكان ليتجه إلى خلف المكان : " أوه ، هون عليك " . كان شكساً وبذيء اللسان لكنني أحببته دائماً حقاً .
أوقف السيارة خلف هذا المكان ودخل المطبخ حيث كانت زوجة الرجل تطبخ على فرن . قال لها هاري : " مرحباً يا فِردا . أين شفاة النحل " .
ـ " في الداخل هناك يا هاري . مرحباً يا آلبِرت " .
قلت : " مرحبا يا آنسة رِتشاردز " . لقد عرفتها منذ أن كانت تعيش في بلدة حرجية ، لكن امرأتين أو ثلاث نساء متزوجات من العاملات الأكثر كدحاً في البلدة كن نساء رياضة وكانت هذه المرأة عاملة كادحة تماماً ، هذا ما يمكنني قوله لكم . سألتني : " أهلك كلهم ؟ "
ـ " كلهم في حال حسنة " .
دخلنا عبر المطبخ إلى الغرفة الخلفية هذه . كان هناك شفاة النحل المحامي ، وأربعة كوبيين معه يجلسون إلى طاولة .
قال أحدهم بالانجليزية : " إجلسا " . كان خشن المظهر ، ثقيلاً ، له وجه ضخم وصوت عميق في حلقه ، وظلّ يشرب الكثير كما ترى ذلك .

" ما اسمك ؟ "

قال هاري : " ما اسمك أنت ؟ "

قال هذا الكوبي : " حسناً ، ليكن الأمر على طريقتك . أين القارب ؟ "

قال هاري : " في حوض اليخوت " .

سأله الكوبي وهو ينظر إليّ : " مَنْ هذا ؟ "

قال هاري : " مساعدي " . كان الكوبي ينظر إليّ من فوق إلى تحت وكان الكوبيون الآخرون ينظرون إلينا معاً من فوق إلى تحت . قال الكوبي : " يبدو أنه جائع " ، وضحك . لم يضحك الآخرون . " تريد شراباً ؟ "

قال هاري : " حسن " .

ـ " ماذا ؟ بكاردي ؟ "

قال له هاري : " ما تشربونه " .

ـ " هل يشرب مساعدك ؟ "

قلت : " سأشرب كأساً " .

قال الكوبي الضخم : " لم يسألك أحد بعد . سألت إنْ كنتَ تشرب فقط " .

قال أحد الكوبيين الآخرين وهو شاب يافع لا يزيد عن كونه غلاماً : " أوه ، يكفي هذا يا روبرتو . ألا تستطيع أن تفعل أي شيء دون أن تصبح بذيئاً ؟ "

ـ " ماذا تعني بـ بذيء ؟ سألت فقط إنْ كان يشرب . إذا استأجرتَ شخصاً ، ألا تسأل إنْ كان يشرب ؟ "

قال الكوبي الآخر : " أعطه شراباً . لنتكلم عن العمل " .

سأل الكوبي عميق الصوت المدعو روبرتو هاري : " ماذا تطلب مقابل القارب يا فتى ضخم ؟ "

قال هاري : " يعتمد هذا على ما تريد فعله به ؟ "

ـ " يأخذنا أربعتنا الى كوبا " .

ـ " أين في كوبا ؟ "

ـ " كابانياس . قرب كابانياس . على الساحل من مارييل . أنت تعرف أين يقع ؟ "

قال هاري : " بالتأكيد . آخذكم إلى هناك فقط ؟ "

ـ " ذلك هو كل شيء . خذنا إلى هناك وأنزلنا على الشاطىء " .

ـ " ثلاثمائة دولار " .

ـ " كثير جداً . ماذا لو استأجرناك يومياً وضمنا لك إسبوعيّ

إستئجار ؟ "

ـ " أربعون دولاراً في اليوم وتدفعون فوراً مبلغ ألف وخمسمائة دولار تأمين على ما قد يصيب القارب . هل عليّ أن أوضح هذا ؟ "

ـ " لا " .

قال له هاري : " تدفعون ثمن البنزين والزيت " .

ـ " سندفع لك مائتي دولار لأخذنا إلى هناك وإنزالنا على الشاطىء " .

ـ " لا " .

ـ " كم تريد ؟ "

ـ " قلت لكم " .

ـ " ذلك كثير جداً " .

قال له هاري : " لا ، ليس كثيراً . أنا لا أعرف مَنْ أنتم . أنا لا أعرف ما هو عملكم ولا أعرف مَنْ سيطلق عليكم الرصاص . عليّ أن أعبر الخليج مرتين في الشتاء . على أية حال ، أنا أخاطر بقاربي . سأنقلكم مقابل مائتي دولار وتدفعون ألف دولار كتأمين على عدم وقوع شيء للقارب " .

قال شفاة النحل : " ذلك معقول . ذلك أكثر من معقول " .

بدأ الكوبيون يتحدثون بالأسبانية . لم أفهمهم لكنني عرفت أن هاري يفهمهم .

قال الرجل الضخم روبرتو : " حسناً ، متى سننطلق ؟ "

ـ " في أي وقت غداً ليلاً " .

قال أحدهم : " قد لا نريد أن تذهب إلاّ بعد ليلة بعد الغد " .

قال هاري : " ذلك يناسبني . أعلموني فقط في الوقت المحدد " .

ـ " هل قاربك سليم ؟ "

قال هاري : " بالتأكيد " .

قال الشاب اليافع بينهم : " إنه قارب جميل الشكل " .

ـ " أين رأيته ؟ "

ـ " مستر سيمونز ، المحامي هنا ، أراني إياه " .

قال هاري : " أوه " .

قال كوبي آخر : " إشرب كأساً . هل ذهبتَ إلى كوبا كثيراً ؟ "

ـ " بضع مرات " .

ـ " تتكلم الإسبانية ؟ "

قال هاري : " لم أتعلمها أبداً " .

رأيت شفاة النحل ينظر اليه ، لكنه هو نفسه كان خبيثاً جداً إلى درجة أنه

يسر كثيراً حين لا يَصْدُق الناس في قولهم . تماماً كما حدث حين دخل المشرب ليتكلم إلى هاري عن هذا العمل ، فهو لم يتكلم إليه في الموضوع مباشرة . فكان لابد أن يتظاهر بأنه يرغب في رؤية خوان رودريجويز ، الذي كان مجرد إسباني نتن يسرق حتى من أمه نفسها وقد وشى به شفاة النحل ليدافع عنه كمحام .

قال الكوبي : " يتكلم مستر سيمونز إسبانية جيدة " .

ـ " لقد حاز على تعليم " .

ـ " أنت تقود قارباً ؟ "

ـ " أذهب وأعود " .

ـ " أنت صياد سمك ؟ "

قال هاري : " نعم يا سيدي " .

سأل ضخم الوجه : " كيف تصيد بذراع واحدة ؟ "

قال له هاري : " تصيد بضعف السرعة العادية . هل تريد أن تراني بخصوص أي موضوع آخر ؟ "

ـ " لا " .

كانوا كلهم يتكلمون الإسبانية . قال هاري : " إذن سأخرج " .

قال شفاة النحل لهاري : " سأخبرك بشأن القارب " .

قال هاري : " هناك بعض المال يدفع على الفور " .

ـ " سندفع ذلك غداً " .

قال هاري لهم : " حسناً ، تصبحون على خير " .

قال أصغر الكوبيين وأكثرهم بشاشة : " تصبح على خير " . ولم يقل ضخم الوجه شيئاً . كان هناك شخصان آخران بوجهين يشبهان الهنود لم ينطقا طيلة الوقت بأي شيء على الإطلاق سوى الحديث بالإسبانية إلى ضخم الوجه .

قال شفاة النحل : " سأراك فيما بعد " .

ـ " أين ؟ "

ـ " في مشرب فردي " .

خرجنا وعبر المطبخ ثانية فقالت فردا : " كيف حال ميري يا هاري ؟ "

قال هاري لها : " إنها في حال جيدة الآن . إنها في صحة جيدة الآن " .

ثم خرجنا من الباب . ركبنا السيارة وقادها هاري عائداً إلى الجادة ولم يقل شيئاً إطلاقاً . كان يفكر بشيء ما حقاً .

ـ " هل أوصلك إلى البيت ؟ "

ـ " حسناً " .
ـ " أنت تقيم في الخارج على الطريق الزراعي الآن ؟ "
ـ " نعم . ماذا عن الرحلة ؟ "
قال : " لا أدري . لا أعرف إنْ كانت ستكون هناك أية رحلة . سأراك غداً " .

أنزلني أمام مكان إقامتي ودخلت ولم أكد أفتح الباب إلاّ وراحت العجوز تنفث جحيماً على لبقائي في الخارج وشربي شراباً وتأخري عن الوجبة . سألتها كيف يمكنني أن أشرب دون أن يكون معي نقود فقالت إنني لابد فتحت حساباً . سألتها من يا ترى سيفتح لي حساباً وأنا أعمل على بطاقة البطالة كبديل . فطلبت مني أن أبعد عنها أنفاسي المخمورة وأن أجلس إلى الطاولة . وهكذا جلست . وكان والأولاد قد ذهبوا كلهم لرؤية لعبة البيسبول بينما جلست أنا إلى الطاولة هناك وراحت تحضر العشاء ولا تتكلم معي .

فصل ٢

هاري

لا أريد أن أعبث به لكن أي خيار أمامي ؟ هم لا يتيحون لك أي خيار الآن . أستطيع أن أدعه يفلت ؛ لكن ماذا سيكون العمل التالي ؟ أنا لم أطلب أي عمل من هذا النوع وإذا كان لابد من القيام به فلا بد أن تقوم به . لعلي لن آخذ آلبرت معي . إنه طري لكنه مستقيم ورجل نافع في القارب . هو لا يفزع بسهولة لكنني لا أعرف إنْ كان عليّ أن آخذه . لكنني لا أستطيع أن آخذ أي مخمور أو أي زنجي . لا بد أن يكون معي شخص أستطيع الإعتماد عليه . إذا نجحنا في هذا فسأعمل على أن يأخذ حصة . لكنني لا أستطيع إعلامه وإلاّ رفض التورط فيه ولا بد أن يكون لدي شخص يقف الى جانبي . يستحسن أن أكون وحدي ، فأي شيء يكون أفضل وأنت وحدك لكنني لا أظن أنني يمكنني القيام به وحدي . يحسن جداً أن تكون وحدك . يحسن أن يبتعد آلبرت عن هذا العمل إن كان لا يعرف أي شيء عنه . الوحيد هو شفاة النحل . إن شفاة النحل هو الذي سيعرف كل شيء . مع ذلك فلابد أنهم فكروا بذلك . لابد أنهم حسبوا حساب ذلك . أتظن أن شفاة النحل غبي إلى درجة أنه لن يعرف بأن ذلك هو ما سيفعلونه ؟ أتساءل . طبعاً ، لعل هذا ليس هو ما تصوروا فعله . لعلهم لن يفعلوا شيئاً من هذا القبيل . لكن من الطبيعي أن يكون ذلك هو ما سيفعلونه وقد سمعت أنا تلك الكلمة . إذا كانوا سيقومون به فإنهم لابد أن يقوموا به حين يغلق أبوابه وإلا سيواجهون طائرة خفر السواحل من ميامي . الظلام يحل الآن في الساعة السادسة . لا يمكن أن تقطع المسافة في أقل من ساعة . حين يحل الظلام فسيكونون كلهم في أمان . حسناً ، إنْ كنت سأنقلهم فلابد أن أفكر في القارب . ليس من الصعب إخراج القارب لكنني إنْ أخرجته الليلة واكتشفوا أنه اختفى فقد يبحثون عنه وقد يعثرون عليه . على أية حال ، ستثور ضجة كبيرة . لكن الليلة هي الوقت المناسب فقط لإخراجه . أستطيع إخراجه مع المد وأستطيع إخفاءه . فسأعرف ما يحتاج اليه إنْ كان يحتاج إلى

أي شيء ، وإن كانوا نزعوا منه أي شيء . لكن ، لا بد أن أملأه بالبنزين والماء . سأقضي جحيمَ ليلةِ عمل حقاً . وحين أخفيه ، فلابد أن يحضرهم آلبرت في زورق سريع . ربما في زورق ولتون . أستطيع استئجاره أو يستطيع شفاة النحل استئجاره . ذلك أفضل . يستطيع شفاة النحل مساعدتي في إخراج القارب الليلة . شفاة النحل هو الشخص . لأن من المؤكد كالجحيم أنهم فكروا بـ شفاة النحل . لابد أنهم فكروا بـ شفاة النحل . لنفرض أنهم فكروا بي وبـ آلبرت . هل يبدو أي منهم كبحار ؟ هل يبدو أي منهم كما لو كان بحاراً ؟ لأفكر ؟ ربما . الرجل اللطيف ، ربما . من المحتمل أنه هو ، ذلك الشاب اليافع . لابد أن أكتشف أمر ذلك لأنهم إذا قرروا أن يقوموا بالعمل دون آلبرت أو دوني منذ البداية فلن يكون هناك من مفر . عاجلاً أو آجلاً لابد أن يعتمدوا علينا . لكن في الخليج ، سيتسع وقتك . وأنا أفكر طيلة الوقت . لابد أن أفكر تفكيراً سليماً طيلة الوقت . لا يمكن أن أرتكب غلطة . ولا غلطة . ولا مرة واحدة . حسناً ، لدي ما أفكر فيه الآن حقاً . شيء ما أفعله وشيء أفكر فيه اضافة إلى التساؤل عن الجحيم الذي سيحدث . إضافة إلى التساؤل عما سيحدث للشيء اللعين كله . حالما يضعون العمل موضع التنفيذ . حالما تلعب لإنجازه . حالما تتاح لك فرصة . بدل أن تراقب فقط كل هذا وهو يذهب إلى الجحيم . بلا قارب لكسب رزقك به . شفاة النحل ذلك . إنه لا يعرف ما تورط فيه . ليست لديه أدنى فكرة كيف ستكون هذه العملية . آمل أن يطل برأسه في مشرب فريدي بأسرع وقت . لدي الكثير مما يجب فعله الليلة . يحسن أن آخذ شيئاً آكله .

فصل ٣

كـانت الساعة حوالي التاسعة والنصف حين دخل شفاة الـنحل المشرب . كنتَ تـرى أنهـم قـدمـوا إليـه كـثيراً في مشرب رتشـارد فـحين يشرب يحوله الشرب الى ديكي الهيئة وعندمـا دخل المشرب كان ديكياً الى حد كبير .

يقول هاري : " حسناً يا طلقة كبيرة " .

قال له هاري : " لا تدعني طلقة كبيرة " .

ـ " أريد أن أتكلم معك يا طلقة كبيرة " .

سأله هاري : " أين ؟ في الخلف في مكتبك ؟ "

ـ " نعم ، هناك في الخلف . هل من أحد في الخلف يا فردي ؟ "

ـ " لا ، لا أحـد هناك منذ ذلك القـانون . قل ، كم سـيـدوم تطبـيـقهم لعمل الساعة السادسة ذلك ؟ "

يقـول شفاة النحل : " لماذا لا توكلني للقيام بعمل حوله ؟ "

يـقـول له فـردي : " أوكلك على الجـحـيم " . وعـادا كـلاهما إلى حـيث تستـقر الطاولات وخزائن العرض مع القناني الفارغة .

عُلّق نـور كـهـربـائيّ واحـد في السـقف ، نظر هاري إلى كل الحـجيرات حيث العتمة ، فرأى أن لا أحد فيها . قال : " حسناً " .

قـال له شفاة النحل : " يريدون أن ينطلقوا في ساعة متأخرة من بعد ظهر بعد غد " .

ـ " ماذا سيفعلون ؟ "

قال شفاة النحل : " أنت تتكلم الإسبانية " .

ـ " لكنك لم تخبرهم بذلك " .

ـ " لا . أنا صديقك . وأنتَ تعرف ذلك " .

ـ " أنت تمشي بأمك نفسها " .

ـ " أسكت . أنظر إلى ما أقدمه اليك من فرص " .

ـ " متى أصبحتَ صلباً ؟ "

ـ " إسـمع ، أنا بحـاجة إلى المال . أريد أن أخرج من هنا . أنا مستنزف

هنا . أنت تعرف ذلك يا هاري " .
ـ " مَنْ الذي لا يعرف ذلك ؟ "
ـ " أنتَ تعرف كيف مولوا هذه الثورة بالإختطاف وغير هذا " .
ـ " أعرف " .
ـ " هذا نفس الشيء .وهم يفعلون هذا في سبيل قضية شريفة " .
ـ " نعم . لكن هذا يحدث هنا . حيث ولدت . أنت تعرف أن كل إنسان يعمل هناك " .
ـ " لن يقع أي شيء لأحد " .
ـ " مع أولئك الفتيان ؟ "
ـ " لديك شجاعة " .
ـ " لدي شجاعة . لا تقلق على شجاعتي . لكنني أعتزم أن أبقى وأعيش هنا " .

قال شفاة النحل : " أنا لن أعيش هنا " .

فكر هاري : يا للمسيح . لقد قالها بنفسه .

قال شفاة النحل : " سأرحل . متى ستخرج القارب ؟ "
ـ " الليلة " .
ـ " مَن سيساعدك ؟ "
ـ " أنت " .
ـ " أين ستضعه ؟ "
ـ " حيث أضعه دائماً " .

لم تكن هناك أية صعوبة في إخراج القارب . كان هذا سهلاً قدر ما توقع هاري هذا . الحارس الليلي يقوم بجولته في كل ساعة بينها يظل طيلة الوقت الباقي عند بوابة حوض البحرية القديم الخارجية . دخلا الحوض في زورق صغير ، وقطعوا رباط القارب وتركوه ينساب مع تيار المد فخرج القارب من الحوض والزورق الصغير يجره . في الخارج ، وفيما كان القارب ينساب في القنال ، فحص هاري المحركين فوجد أن كل ما فعلوه بهما هو أنهم فصلوا رأسي موزع الكهرباء . فحص البنزين فوجد أن فيه حوالي مائة وخمسين جالوناً . لم يمتصوا أي بنزين من خزاني البنزين ، فكان ما فيهما هو ما تركه فيهما بعد أن عبر القنال آخر مرة . كان قد ملأ القارب بالبنزين قبل أن يخرج به ، لكنه أحرق القليل جداً منه لأنه كان لابد أن يعبر القنال ببطء شديد في البحار المائجة .

قـال لـ شـفاة النحل : " لدي بنزين في الخزان في البيت . أستطيع إخراج حمولة دمجانـات مـعي في السـيـارة ويستطيع آلبرت إحـضـار حمولة أخـرى إن احـتـجنا اليـهـا . سأربط القارب في الخور الصغير حيث يقطع الطريق تماماً . يمكنهم المجيء في سيارة " .

ـ " يريدونك أن تنتظر عند رصـيف بورتر " .

ـ " كـيف يمكنني أن أرسو هناك بهذا القارب ؟ "

ـ " لا يمكنك هذا . لكن لا أظن أنهم يريدون قيادة أية سيارة " .

ـ " حسناً ، سأربط القـارب هناك الليلة وأمـلأه بالبنزين وأقـوم بما يحتـاج إلـيـه مـن تـرتـيـبـات ثـم أنـقـله من هناك . يمكنك اسـتـئـجـار زورق سريع لإحـضـارهـم . يجـب أن أربـطـه هـنـاك الآن . لدي الكثير مما يجب فـعله . يمكنك أن تدخل الخليج مجذفـاً ثم تخرج متجهاً إلى الجسر فتلتقطني . سأكون في الطريق هناك خـلال ساعتين . سأترك القارب وأخرج إلى الطريق " .

قـال له شـفـاة النحل : " سألـتـقطك " ، ثم دار هاري بالقـارب ، وقـد خنـق المحركين حتى يتـحـرك القـارب بهدوء على الماء ثم دار بالقـارب وجـر الـزورق داخـلاً به إلى حيث نور الكابل المحـمـول الذي تظهـره الـ سكونة . رمى القـابضين خـارج القـارب وأوقف الزورق الصـغير بينما صـعد شفاة النحل عليه . قال : " خلال ساعتين " .

قال شفاة النحل : " حسناً " .

بينما كـان هاري يجلس على مـقـعـد القـيـادة ، مندفـعـاً إلى الأمام ببطء في الظلام ، مـبـتـعـداً عن الأنوار عند رأس الأرصـفـة ، فكر : شفاة النحل يقوم بعـمل خطير لكسب مـاله حـقاً . أتساءل : كم من المال يظن أنه سيكسب ؟ أتسـاءل : كـيف تورط مع أولئك الفـتـيـان ؟ هناك فتى ذكي أتيحت له فرصة جـيـدة ذات مـرة . هو محام مـاهر أيضـاً . لكنه أبردني عند سماعه يذكر هذا بنفسه . لقد أطلق لسانه ضد نفسه حقاً . من السخف أن يتشدق رجل مردداً شيئاً . حين سمعته يتشدق عن نفسه ، أفزعني هذا .

فصل ٤

حين دخل البيت لم يشعل النور لكنه خلع حذاءه في الردهة وارتقى الدرج العاري بقدميه المجوربين . خلع ملابسه واندس في الفراش في قميصه الداخلي قبل أن تستيقظ زوجته . قالت في الظلام : " هاري ؟ " وقال : " نامي يا امرأة عجوز " .

ـ " هاري ، ما الأمر ؟ "

ـ " سأقوم برحلة " .

ـ " مع من ؟ "

ـ " لا أحد . آلبرت ، ربما " .

ـ " قارب مَنْ ؟ "

ـ " استرددت القارب " .

ـ " متى ؟ "

ـ " الليلة " .

ـ " ستسجن يا هاري " .

ـ " لا يعرف أحد أنني أخرجته " .

ـ " أين هو ؟ "

ـ " مخبأ " .

فيما كان لا يزال مستلقياً في السرير أحس بشفتيها على وجهه تبحثان عنه ثم أحس بيدها تحط عليه فانقلب والتصق بها .

ـ " هل تريد ؟ "

ـ " نعم . الآن " .

ـ " كنت نائمة . أتذكر حين كنا نفعلها وأنا نائمة ؟ "

ـ " إسمعي ، هل تزعجك ذراعي ؟ ألا تثير فيك إحساساً بالسخف ؟ "

ـ " أنت سخيف . أنا أحبها . أي شيء هو أنت أحبه . ضعها هناك بالعرض . ضعها على هناك بالطول . إستمر ، أنا أحب هذا ، حقاً " .

ـ " إنها تشبه زعنفة على سلحفاة بحرية " .

ـ " أنت لست سلحفاة . تفعلها السلاحف حقاً مدة ثلاثة أيام ؟ تمارسها

مدة ثلاثة أيام ؟ "

- " بالتأكيد . إسمعي ، إهدأي . سنوقظ البنات " .

- " إنهن لا يعرفن ما نلته . لن يعرفن أبداً ما نلته . آه ، يا هاري . ذلك هو ، آه يا عسلي " .

- " إنتظري " .

- " لا أريد أن أنتظر . هيا . ذلك هو . ذلك مكانه . إسمع ، هل فعلتها في السابق مع فتاة زنجية ؟ "

- " بالتأكيد " .

- " كيف ؟ "

- " يشبه قرش بحر صغير " .

- " أنت مضحك . هاري ، أتمنى ألاّ تذهب . أتمنى ألاّ تضطر الى أن تذهب على الإطلاق . مَنْ هي أفضل مَن فعلتها معها ؟ "

- " أنتِ " .

- " أنتَ تكذب . أنتَ دائماً تكذب علي . هاك . هاك . هاك " .

- " لا . أنتِ الأفضل " .

- " أنا عجوز " .

- " لن تعجزي أبداً " .

- " أنا أعاني من ذلك الشيء " .

- " لن يغير ذلك من الأمر شيئاً حين تكون المرأة ماهرة " .

- " هيا . هيا الآن . ضع جدعه ذراعك هناك . أمسكها هناك . أمسكها . أمسكها الآن . أمسكها " .

- " نحن نثير ضجة عالية جداً " .

- " نحن نهمس " .

- " يجب أن أخرج قبل نور النهار " .

- " نَم . سأوقظك . حين تعود ، سنقضي وقتاً . سنذهب إلى فندق في ميامي كما اعتدنا أن نفعل . تماماً كما اعتدنا أن نفعل . في مكان حيث لم يروا أياً منا من قبل أبداً . لم لا نذهب إلى نيو أورليانز ؟ "

قال هاري : " قد نذهب إلى هناك . إسمعي يا مِيري ، يجب أن أنام الآن " .

- " سنذهب إلى نيو أورليانز ؟ "

- " لِمَ لا ؟ لكن ، يجب أن أنام " .

- " نم . أنتَ حبيبي الكبير . نَم . سأوقظك . لا تقلق " .

استغرق في النوم وجدعة ذراعه مستقرة على المخدة ، واستلقت هي يقظة مدة طويلة تنظر اليه . رأت وجهه في نور الشارع الداخل من النافذة . كانت تفكر : أنا محظوظة . تلكم البنات . إنهن لا يعرفن ما سيفعلنه . أنا أعرف ما فعلته وما لديّ . ظللت إمرأة محظوظة . هو يقول كسلحفاة بحرية . أنا سعيدة لأنها كانت ذراعاً وليست رجلاً . لم أكن أحب أن يفقد رجلاً . لماذا كان لابد أن يفقد تلك الذراع ؟ لكن هذا سخف ، أنا لا أبالي بهذا . أنا لا أبالي بأي شيء يتعلق به . ظللت إمرأة محظوظة . لا يوجد رجال آخرون على ذلك النحو . الناس الذين لم يجربوا هذا لا يعرفونه . لقد جربت الكثير من هذا . أنا محظوظة لأنني ملكته . هل تعتقدين أن السلاحف تلك تحس كما نحس نحن ؟ هل تعتقدين أنها تحس طيلة الوقت كذلك ؟ أو أنك تعتقدين أن ذلك يؤذي الـ هي ؟ أنا أفكر بألعن الأشياء . أنظري اليه ، نائم كطفل رضيع تماماً . يحسن أن أظل يقظة حتى أيقظه . يا للمسيح ، يمكنني أن أفعل ذلك طيلة الليل لو كان الرجل يتمتع ببنية كتلك البنية . أود أن أفعلها ولا أنام أبداً . أبداً ، أبداً ، لا ، أبداً . لا ، أبداً ، أبداً ، أبداً . حسناً ، فكري في ذلك ، هل ستفكرين ؟ أنا بعمري . لستُ عجوزاً . قال إنني لا أزال رائعة . خمسة وأربعون عاماً ليست سناً كبيرة . أنا أكبر منه بسنتين . أنظري اليه وهو نائم . أنظري اليه وهو نائم كغلام .

قبل ساعتين من نور النهار ، كانا في المرآب أمام خزان البنزين يملآن دِمجانتين ويسدانها بالفلين ويضعانها في مؤخرة السيارة . وضع هاري كلاّبةً ربطها بذراعه اليمنى فراح ينقل ويرفع الدِمجانتين المكسوتين بالأغصان المجدولة بمهارة .

ـ " لا تريد إفطاراً ؟ "

ـ " حين أرجع " .

ـ " ألا تريد قهوتك ؟ "

ـ " أعددتها ؟ "

ـ " بالتأكيد . وضعتها على النار حين خرجنا " .

ـ " أخرجيها إلى هنا " .

أخرجتها إلى هناك فشربها وهو جالس في المقعد المعتم أمام عجلة قيادة السيارة . أخذت الكوب ووضعته على الرف في المرآب .

قالت : " سآتي معك لأساعدك على حمل الجرار " .

قال لها : " حسناً " . وركبت السيارة إلى جانبه ، إمرأة ضخمة

الحجم ، طويلة الساقين ، كبيرة اليدين ، ضخمة الردفين ، ولا تزال جميلة ، وقد سحبت قبعة فوق شعرها الأشقر المبيض . في الظلام وفي برد الصباح ، قاد السيارة وأخرجها إلى الطريق الزراعي خلال الضباب الذي تعلق كثيفاً فوق الشقة .

ـ " ما الذي يقلقك يا هاري ؟ "

ـ " لا أدري . أنا قلق فقط . إسمعي ، هل ستتركين شعرك يطول ؟ "

ـ " ظننت أنني سأطيله . ظلت البنات تلححن عليّ " .

ـ " إلى الجحيم بهن . أبقيه كما هو " .

ـ " أتريدني حقاً أن أبقيه ؟ "

قال : " نعم . تلك هي الطريقة التي أحبه عليها " .

ـ " ألا ترى أنني أبدو أكبر سناً " .

ـ " أنت تبدين أفضل من أي منهن " .

ـ " سأرتبه ، أستطيع جعله أكثر شقرة إنْ أردت " .

قال هاري : " ما دخل البنات في تحديد ما تفعلينه ؟ ليس من شغلهن أن يزعجنك " .

ـ " أنت تعرفهن . أنت تعرف أن البنات الصغيرات يكنّ على ذلك النحو . إسمع ، أن كانت رحلتك ناجحة فسنذهب إلى نيو أورليانز ، هل سنذهب ؟ "

ـ " ميامي " .

ـ " حسناً ، ميامي على أية حال . وسنتركهن هنا " .

ـ " لدي رحلة خطيرة سأقوم بها أولاً " .

ـ " أنتَ لستَ قلقاً ، أليس كذلك ؟ "

ـ " لا " .

ـ " تعرف أنني أستلقي يقظة حوالي أربع ساعات وأنا أفكر فيك فقط " .

ـ " أنت إمرأة عجوز عظيمة " .

ـ " يمكنني أن أفكر فيك في أي وقت وأستثار " .

قال لها هاري : " حسناً ، لا بد أن نملأ هذا البنزين الآن " .

فصل ٥

في الساعة العاشرة صباحاً ، وقف هاري أمام حاجز مشرب فردي ومعه أربعة أو خمسة أشخاص آخرين ، وكان رجلان من موظفي الجمارك قد غادرا المشرب قبل لحظات . سألوه عن القارب فقال إنه لا يعرف شيئاً عنه .

سأله أحدهما : " أين كنتَ ليلة أمس ؟ "

ـ " هنا وفي البيت " .

ـ " حتى متى بقيت هنا ؟ "

ـ " الى أن أغلق أبوابه " .

ـ " أي شخص رآك هنا ؟ "

قال فردري : " ناس كثيرون " .

سألهما هاري : " ما الأمر ؟ أتظنون أنني أسرق قاربي ؟ ماذا سأفعل به ؟ "

قال ضابط الجمارك : " سألتك فقط أين كنت ؟ لا عصبية " .

قال هاري : " لست عصبياً . لقد كنت عصبياً حين صادروا القارب دون أي برهان بأنه كان يحمل خمرة " .

قال موظف الجمارك : " كانت هناك شهادة خطية بقسم . لم تكن تلك شهادتي أنا . أنتَ تعرف الرجل الذي قدمها " .

قال هاري : " حسناً . لكن لا تقل إنني عصبي لأنك تستجوبني . كنت أفضّل لو أنكم ربطموه . عند ذاك يتسنى لي أن أسترده . أية فرصة ستكون لدي إنْ هو سرق ؟ "

قال موظف الجمارك : " ولا فرصة ، على ما أظن " .

قال هاري . " حسناً ، إذهب وبع أوراقك " .

قال موظف الجمارك : " لا ترفع أنفك وإلا سأفعل شيئاً يرفع لك أنفك " .

قال هاري : " بعد خمس عشرة سنة " .

ـ " لم ترفع أنفك خلال خمس عشرة سنة " .

ـ " لا ، ولم أدخل السجن أيضاً " .

ـ " حسناً ، لا ترفع أنفك وإلا فستدخله " .

قال هاري : " هوّن عليك " . وفي تلك اللحظة تماماً ، دخل هذا الكوبي الأحمق الذي يقود سيارة الأجرة مع شخص من الطائرة فيقول بج رودجِر له : " هايزوز ، يقولون إنك رزقت طفلاً " .

يقول هايزوز بفخر شديد : " نعم يا سيدي " .

سأله رودجِر : " متى تزوجت ؟ "

ـ " الشهر الماضي . مر شهر . حضرتَ الزفاف ؟ "

قال رودجِر : " لا ـ لم أحضر الزفاف " .

قال هايزوز : " فاتك شيء . فاتك زفاف رائع لعين . ما سبب عدم مجيئك ؟ "

ـ " لم تدعني " .

قال هايزوز : " أوه نعم . نسيت . لم أدعك . . . " ثم سأل الغريب : " أخذتَ ما أردته ؟ "

ـ " نعم . أظن هذا . أذلك هو أفضل سعر لديك لـ بكاردي ؟ "

قال له فِردي : " نعم يا سيدي . ذلك هو معيار الذهب Carta del oro الحقيقي " .

سأله رودجر : " إسمع يا هايزوز ، ما الذي يؤكد لك أن ذلك الطفل طفلك ؟ ذلك الطفل ليس طفلك " .

ـ " ماذا تعني بأنه ليس طفلي ؟ ماذا تعني ؟ لا أسمح لك بأن تتحدث إلي هكذا ، وأقسم بالله على ذلك . ماذا تعني بأنه ليس طفلي ؟ تشتري البقرة ولا يكون العجل من نصيبك ؟ ذلك الطفل طفلي . أقسم بالله إنه طفلي . إنه ملكي . نعم يا سيدي " .

يخرج مع الغريب ومعه قنينة الـ بكاردي والضحك ينطلق من رودجِر ، ذلك الرجل هايزوز شخصية ظريفة حقاً . هو والكوبي الآخر ، سويت ووتر .

في تلك اللحظة تماماً ، يدخل المحامي شفاة النحل ، ويقول لهاري : " خرج رجال الجمارك لأخذ قاربك " .

نظر اليه هاري فكنتَ ترى الجريمة تطل من وجهه . وتابع شفاة النحل الكلام بنفس النغمة دون أن يرتسم على وجهه أي تعبير : " رآه أحد الأشخاص في أجمة المنجروف من قمة إحدى الشاحنات العالية التابعة لوكالة تقدم العمل وأتصل بسلطة الجمارك من المكان الذي ينصبون فيه المخيم في بوكا تشيكا . لقد رأيت هيرمن فرِدِركس منذ لحظات . لقد أخبرني بهذا " .

لم يقل هاري شيئاً ، لكنك كنتَ ترى القتل يطل من وجهه وانفتحت عيناه على نحو طبيعي مرة أخرى . ثم قال شفاة النحل : " سمعت كل شيء ، أليس كذلك ؟ "

قال شفاة النحل بنفس ذلك الصوت الخالي من التعبير : " ظننتُ أنك تود معرفة ذلك " .

قال هاري : " ليس هذا من شأني . يجب أن يولوا قارباً عناية أشد من تلك " .

وقف كلاهما أمام حاجز المشرب دون أن ينبس أي منهما ببنت شفة إلى أن خرج بيج رودجر والإثنان أو الثلاثة أشخاص الآخرين . ثم ذهبا إلى خلف المشرب .

قال هاري : " أنت سم . كل شيء تلمسه يصبح سماً " .

ـ " هل هي غلطتي إذا رأته شاحنة ؟ أنت الذي اخترت المكان . وأنت الذي خبأ القارب بنفسه " .

قال هاري : " إخرس . هل كانت لديهم شاحنات عالية كهذه من قبل ؟ تلك آخر فرصة تسنح لي لكسب مال حلال . تلك آخر فرصة تسنح لي للإبحار في قارب إلى مكان فيه أي مال " .

ـ " لقد أعلمتك بها وقع حال وقوعه " .

ـ " أنت كحدأة " .

قال شفاة النحل : " إخرس . إنهم يريدون الذهاب في ساعة متأخرة من بعد ظهر اليوم " .

ـ " إلى الجحيم بهم " .

ـ " إنهم قلقون حول شيء ما " .

ـ " في أية ساعة سيذهبون ؟ "

ـ " الخامسة " .

ـ " سآخذ قارباً . سأنقلهم إلى الجحيم " .

ـ " تلك ليست فكرة سيئة " .

ـ " لا تتشدق بذلك . أبعد فمك عن عملي " .

قال شفاة النحل : " إسمع أنتَ يا قاتلاً كبيراً قذراً . أحاول أن أخرجك من ورطة فتندفع في ورطة أخرى ـ "

ـ " وكل ما تعمله هو تسميمي . إخرس . أنتَ سمّ لأي شخص يلمسك " .

ـ " كفّ عن هذا الكلام ، أنت يا مستأسد " .

قـال هاري : " هون عليك . يجب أن أفكر بالأمـر . كل مـا فـعلتـه هو التـفكير في وضع خطة حتى النهاية وبعد أن أنهيت وضع هذه الخطة الآن ، ها أنا مضطر الى آن أفكر بخطة أخرى " .

ـ " لم لا تدعني أساعدك ؟ "

ـ " تعـال إلى هنا في السـاعة الثانية عشرة وأحضر معك تلك النقود لدفعها للقارب " .

حـالما خرجا تقدم آلبرت من المكان واتجه نحو هاري .

ـ " أنا آسف يا آلبرت . لا يمكنني اسـتـخـدامك " . لقـد فكر في الأمر ووصل إلى هذا القرار .

قال آلبرت : " سأذهب معك بأجر بخس " .

قال هاري : " أنا آسف . لستُ بحاجة اليك الآن " .

قـال آلبرت : " لن تجد رجلاً ماهراً بالأجر الذي سأذهب به " .

ـ " سأذهب وحيداً " .

قـال آلبرت : " أنت لا تريد أن تقوم برحلة كتلك وحيداً " .

قـال هاري : " إخـرس . ما الذي تعرفه عنها ؟ هل يعلمونك عن عملي حيث تعمل أنت ؟ "

قال آلبرت : " إذهب إلى الجحيم " .

قـال هـاري : " لعلي سأذهب " . كـان يمكن لأي انسـان ينظر اليه أن يعـرف أنه كـان يفكّر بسرعـة وعـمق وأنه لا يرغب في أن يزعـجـه أحد . قال آلبرت : " أود أن أذهب مـعك " .

قال هاري : " لن أستخدمك . دعني وحدي ، هل تسمح ؟ "

خـرج آلـبرت ووقـف هـاري أمـام حـاجـز المشرب ونظر إلى آلة السنتـات الخـمـسـة ، والـتـيّ السنتـات العشرة ، وآلة ربع الدولار ، وإلى صـورة وقـفـة كَستِـر الأخيرة المعلّقة على الجدار ، ونظر اليها كأنه لم يرها من قبل أبداً .

قـال له فـردي وهو يضع بعض كـؤوس القـهوة في سطل ماء مصوبن : " كـان رداً رائعـاً الـذي رد بـه هـايـزوز عـلى بِـج رودجِر عـن الـطفـل ، أليـس كذلك ؟ "

قـال لـه هاري : " أعطني علبـة سـجـائر تشِستِرفـيلد " . أمـسك هاري علبـة السـجـائر تحت جـدعـه ذراعـه وفـتحها عند أحد زواياها ، وأخرج منها سـيـجارة ووضعها في فمه ، ثم ألقى العلبة في جيبه وأشعل السيجارة .

سأل : " كيف حال قاربك يا فردي ؟ "

قال فردي : " أسيره على الخطوط . إنه في حال جيدة " .
ـ " أتريد أن تؤجره ؟ "
ـ " لأي عمل ؟ "
ـ " رحلة عبر الخليج " .
ـ " لن أؤجره إلاّ بعد أن يدفعوا ثمنه " .
ـ " ما هو ثمنه ؟ "
ـ " ألف ومائتا دولار " .
قال هاري : " سأستأجره أنا . هل تأتمنني عليه ؟ "
قال له فردي : " لا " .
ـ " سأقدم بيتي كضمان " .
ـ " لا أريد بيتك . أريد ألفا ومائتي دولار مدفوعة " .
قال له هاري : " حسناً " .
قال له فردي : " أحضر معك المال " .
قال هاري : " حين يأتي شفاة النحل ، قل له أن ينتظرني " .
وخرج .

فصل ٦

في البيت ، كـانت ميري والبنات يتناولن الغداء . قالت أكبر البنـات سنـاً : " مرحباً يا بابا . ها هو بابا " .

سأل هاري : " ماذا لديكِ للأكل ؟ "

قالت ميري : " لدينا شرائح لحم " .

ـ " قال أحدهم إنهم سرقوا قاربك يا بابا " .

قال هاري : " عثروا عليه " .

نظرت ميري إليه .

سألته : " مَنْ عثر عليه ؟ "

ـ " الجمارك " .

قـالت وهي مفعمة بالرثاء : " أوه يا هاري " .

سألت ثانية البنات : " أليس أفضـل أنهـم عـثروا عليـه يـا بابا ؟ "

قـال لهـا هـاري : " لا تـتـكـلـمـي وأنتِ تأكلين . أيـن غـدائـي ؟ مـاذا تنتظرين ؟ "

ـ " سأحضره " .

قـال هاري : " أنا مـسـتعجل . أنتن يا بنات : كلن وأخرجن . سأتكلم مع أمكن " .

ـ " هلِ تعطينا نقوداً للذهاب إلى السينما بعد الظهر يا بابا ؟ "

ـ " لـم لا تذهبن للسباحة . فتلك مجانية " .

ـ " أوه يا بابا ، إن الطقس بارد على السـباحة ، ونحن نريد أن نذهب إلى السينما " .

قال هاري : " حسناً ، حسناً " .

حـين خـرجـت الـبـنات من الغـرفـة قـال لميري : " قطّعي اللحم ، هل تسمحين ؟ "

ـ " بالتأكيد يا عسلي " .

قطّعت اللحمة كأنها لولد صغير .

قـال هـاري : " شـكراً . أنا جـحـيـم من إزعـاج لعين ، أليس كـذلك ؟

ليست تلك البنات كثيرات ، أليس كذلك ؟ "
ـ " لا يا عسلي " .
ـ " من السخف أننا لم ننجب أولاداً " .
ـ " ذلك لأنك رجل رجل . بتلك الطريقة تُنجب البنات دائماً " .
قال هاري : " أنا لست رجل جحيم . لكن ، إسمعي ، سأقوم بجحيم رحلة " .
ـ " أخبرني بما جرى للقارب " .
ـ " رأوه من شاحنة . شاحنة عالية " .
ـ " تباً لهم " .
ـ " أسوأ من ذلك . خراء " .
ـ " أوه يا هاري ، لا تتكلم على ذلك النحو في البيت " .
ـ " أنتِ تتكلمين أسوأ من ذلك في السرير " .
ـ " ذلك مختلف . لا أحب سماع كلمة خراء على طاولتي " .
ـ " أوه ، خراء " .
قالت ميري : " أوه يا عسلي ، إن مزاجك سيء " .
قال هاري : " لا . أنا أفكر فقط " .
ـ " حسناً ، فكر واستنبط . أنا أثق بك " .
ـ " لدي الثقة بنفسي . ذلك هو الشيء الوحيد لدي " .
ـ " أتريد أن تخبرني عن ذلك ؟ "
ـ " لا . لكن لا تقلقي مهما سمعتِ " .
ـ " لن أقلق " .
ـ " إسمعي يا ميري . إصعدي إلى السدة العلوية واحضري لي بندقية تومبسون وابحثي في ذلك الصندوق الخشبيّ وتأكدي من أن جميع أمشاط الذخيرة مليئة وأحضريها " .
ـ " لا تأخذ تلك معك " .
ـ " لابد أن آخذها " .
ـ " هل تريد أية صناديق رصاص ؟ "
ـ " لا . لا يمكنني ملء أية أمشاط . لدي أربعة أمشاط " .
ـ " حبيبي ، لن تقوم برحلة من ذلك النوع ؟ "
ـ " سأقوم برحلة سيئة " .
قالت : " يا إلهي . يا إلهي ، أرجو ألاّ تضطر الى الإقدام على أعمال كهذه " .

ـ " هيا وأتي بها إلى هنا . أحضري لي بعض القهوة " .
قالت ميري : " طيب " . مالت من فوق الطاولة وقبلته في فمه .
قال هاري : " دعيني وحدي . علي أن أفكر " .
جلس إلى الطاولة ونظر إلى البيانو ، إلى الخوان والمذياع ، إلى لوحة صباح سبتمبر ، وإلى صور آلهة الحب كيوبيد حاملة الأقواس خلف رؤوسها ، إلى الطاولة اللامعة المصنوعة من خشب البلوط الأصلي وإلى الستائر والنوافذ ، وفكّر : أية فرص تتاح لي للإستمتاع ببيتي ؟ لماذا عدت الى أسوأ مما بدأت ؟ ستضيع كلها أيضاً هذه اللعبة إذا لم ألعبها لعباً صحيحاً . ستكون جحيماً . لم يبق لدي ستون دولاراً خارج البيت ، لكنني قد أخرج بمال من هذه اللعبة إذا جازفت . تلك البنات اللعينات . إنهن كل ما استطاعت تلك المرأة العجوز وأنا نيلة مع كل ما نلناه من الحياة . هل تظن أن الأولاد في جوفها نضبوا قبل أن أعرفها ؟
قالت ميري وهي تحمل البندقية من شريط التعليق الشبكي : " ها هي . كلها مليئة " .
قال هاري : " لابد أن أذهب " .
رفع ثقل البندقية المفككة القصيرة المكتنزة وهي في غلافها المبقع بالزيت والمصنوع من نسيج القنب . قال : " ضعيها تحت مقعد السيارة الأمامي " .
قالت ميري : " مع السلامة " .
ـ " مع السلامة يا عجوز " .
ـ " لن أقلق . لكن ، إعتنِ بنفسك من فضلك " .
ـ " أتركك مع السلامة " .
قالت وهي تشده نحوها : " أوه يا هاري " .
ـ " دعيني أذهب . لا وقت لدي " .
ربّت على ظهرها بجدعة ذراعه .
قالت : " أنت وزعنفة سلحفاتك البحرية . أوه يا هاري ، كن حذراً " .
ـ " يجب أن أذهب . مع السلامة يا عجوز " .
ـ " مع السلامة يا هاري " .
راقبته وهو يخرج من البيت ، طويلاً ، عريض الكتفين ، منبسط الظهر ، ضيق الردفين ، وفيما هو يسير ، فكرت : مثل بعض الحيوانات ، بسلاسة ورشاقة دون أن يكبر بعد ، فكّرت : إنه يتحرك بخفة وشبه سلاسة ، وحين ركب السيارة رأته أشقر ، بشعر حرقته الشمس ، ولوجهه عظام وجنتين

عـريضـة ومنغـولـيـة الشكل ، وعـينان ضـيـقـتـان وأنف مكسور الجسر ، وفم عـريض وفك مـدور ، وفيها هو يركب السيارة ، ابتسم لها ، فبـدأت تبكي .
فكرت : " وجـهـه اللعين . كل مـرة أرى فـيها وجهه اللعـين ، يدفعنـي إلى الرغبـة في البكاء " .

فصل ٧

وقف في مشرب فردي ثلاثة سياح أمام حاجز المشرب وعمل فردي على خدمتهم . أحدهم رجل طويل جداً ، نحيل عريض الكتفين يلبس بنطالاً قصيراً ويضع على عينيه نظارة غليظة العدستين ، وقد لوحته الشمس ، وله شارب رملي اللون مشذب ورفيع . وللمرأة المصاحبة له شعر معقوص قصير كشعر الرجال ، وبشرة سيئة ووجه وجسم سيدة مصارعة . وتلبس بنطالاً قصيراً أيضاً .

كانت تقول للسائح الثالث الذي له وجه منتفخ ومحمر الى حد ما ، وشارب بلون الصدأ ويعتمر قبعة بيضاء ذات حافة سِليلوزية أمامية خضراء اللون ، وله طريقة غريبة في الكلام إلى حد ما ، في حركة غير عادية من شفتيه كأنه يأكل شيئاً ساخناً فلا يريحه . " أوه ، بئس الرجل أنت " .

قال صاحب القبعة خضراء الحافة : " كم هو جميل هذا التعبير . لم أسمعه في الأحاديث العادية قط . ظننت أنه تعبير مهجور الإستعمال ، شيئاً يراه الإنسان في المطبوعات فقط ، في - إيه - الجرائد الهزلية لكنه لا يسمع أبداً " .

قالت السيدة المصارعة في نوبة فتنة فجائية ، عارضة عليه منافع جانبية وجهها المليء بالبثور : " بئس ، بئس ، بئس الرجل أنت مرتين " .

قال الرجل صاحب القبعة خضراء الحافة : " كم هو جميل هذا التعبير . أنت ترددينه على نحو جميل جداً . أليس هو من بروكلين في الأصل ؟ "

قال السائح الطويل : " لا تبالي بها . إنها زوجتي . هل التقيتما من قبل ؟ "

قالت الزوجة : " أوه ، بئس الرجل هو وضاعِف بئسَ للقائه . كيف حالك ؟ "

قال الرجل صاحب القبعة خضراء الحافة : " ليست سيئة . كيف حالك أنت ؟ "

قال الرجل الطويل : " حالها مدهشة . لابد أن تراها " .

في تلك اللحظة تماماً ، دخل هاري فقالت زوجة السائح الطويل :

" أليس مدهشاً ؟ ذلك ما أريده . إشترِ لـي ذلـك يا بابا " .
قال هاري لفردي : " هل تسمح في الحديث إليك ؟ "
قـالـت زوجـة السـائح الطويل : " بالتأكـيـد . هيـا وقـل أي شيء تريـد قوله " .
قال هاري : " إخرسي أنـت يـا عاهـرة . تعـال إلى الخلـف يا فردي " .
في الخلف ، كـان شفاة النحل ينتظر عند الطاولـة . قال لهاري : " مرحبا يا فتى هائلاً " .
قال هاري : " إخرس " .
قـال فـردي : " إسمع . إخرس أنت . لا يمكنك أن تفلت من ذلك . لا يـمـكنك شـتم تجـارتي على ذلك النحـو . لا يمكنك أن تدعـو إمـرأة بأنها عاهرة في محل محترم كهذا " .
قال هاري : " عاهرة . أنت سمعت ما قالته لي ؟ "
ـ " حسناً ، على أية حال ، لا تدعهـا بمثل ذلك في وجهها " .
ـ " حسناً . أحضرتَ المال " .
قـال شـفـاة الـنحل : " طبـعـاً . لِـمَ لا يكون المال مـعي ؟ ألم أقل أنني سـأحضر المال ؟ "
ـ " لنره " .
نـاولـه شـفـاة الـنحل المال . عـدَّ هاري عشر أوراق فئة المائة دولار وأربع أوراق فئة العشرين .
ـ " يجب أن تكون ألفاً ومائتين " .
قال شفاة النحل : " ناقصاً عمولتي " .
ـ " هاتها " .
ـ " لا " .
ـ " هاتِ " .
ـ " لا تكُن سخيفاً " .
ـ " يا حـقيراً صغيراً لئيماً " .
قـال شـفاة النحل : " يا مستأسداً كبيراً ، لا تحاول أن تسلبني المال بالقوة فـهو ليس معي هنا " .
قـال هاري : " أرى هذا . كـان يجب أن أفكر بذلك . إسمع يا فردي . لقـد عرفتني منذ مدة طويلة . أعرف أن القارب يساوي ألفاً ومـائتي دولار . وهـذا المبـلـغ أقـل مـن ثمنه بمائة وعشرين دولاراً . خـذ المبلغ وجـازف واصبر علي للحـصـول على المائة والعشرين دولاراً وأجـرة القارب " .

قال فردي : " ذلك يعني ثلاثمائة وعشرون دولاراً " . لقد كان مبلغاً من المؤلم أن يجازف به ، فتصبب عرقه وهو يفكر فيه .

ـ " لدي سيارة وراديو في البيت ، وقيمتهما تعادل هذا المبلغ " .

قال شفاة النحل : " يمكنني أن أعد كمبيالة بذلك " .

قال فردي : " لا أريد أية كمبيالة " . تصبب عرقه ثانية وتردد قليلاً . ثم قال : " حسناً ، سأجازف بهذا المبلغ . لكن ، باسم المسيح ، إعتنِ بالقارب ، هل ستعتني به يا هاري ؟ "

ـ " كما لو كان قاربي " .

قال : " لقد فقدتَ قاربك " ، وظل يتصبب عرقاً ، وقد زادت تلك الذكرى من معاناته الآن .

ـ " سأعتني به " .

قال فردي : " سأضع المال في صندوقي في البنك " .

نظر هاري إلى شفاة النحل .

قال : " ذلك محل محترم " ، وابتسم .

صاح أحدهم من المقدمة : " يا ساقي " .

قال هاري : " ذلك هو أنت " .

أتى الصوت ثانية : " يا ساقي " .

ذهب فردي إلى مقدمة المحل .

سمع هاري الصوت العالي وهو يقول : " ذلك الرجل أهانني " ، لكنه كان يتكلم الى شفاة النحل .

ـ " سأربط القارب بالرصيف هناك أمام الشارع . إنه لن يكون بعيداً مسافة نصف مجموعة مباني " .

ـ " حسناً " .

ـ " ذلك كل شيء " .

ـ " حسناً يا طلقة كبيرة " .

ـ " لا تدعوني طلقة كبيرة " .

ـ " كما تحب " .

ـ " سأكون هناك من الساعة الرابعة فصاعداً " .

ـ " أي شيء آخر ؟ " .

ـ " يجب أن يأخذوني بالقوة ، ترى هذا ؟ أنا لا أعرف شيئاً عن العملية . كنت أصلح المحرك . لم أعد شيئاً على ظهر القارب لأقوم برحلة . استأجرته من فردي لأؤجره للصيد . لابد أن يصوبوا السلاح على صدري

حتى يحملوني على تشغيل القارب كما لابد أن يقطعوا حبال ربطه " .
ـ " ماذا عن فردي ؟ لم تستأجره منه للصيد " .
ـ " سأخبر فردي " .
ـ " يحسن ألا تخبره " .
ـ " سأخبره " .
ـ " يحسن ألا تخبره " .
ـ " إسمع ، قمت بأعمال مع فردي منذ أن نشبت الحرب . مرتين اشتركت معه ولم نواجه أية متاعب . أنت تعرف كم من المال قدمته اليه . وهو إبن الكلبة الوحيد في هذه البلدة الذي أثق به " .
ـ " لن أثق بأحد " .
ـ " يجب ألا تثق بأحد بعد كل التجارب التي مررت بها أنت نفسك " .
ـ " حلّ عني الآن " .
ـ " حسناً . أخرج وقابل أصدقاءك . ما هو تفسيرك للخروج من التهمة ؟ "
ـ " هم كوبيون . قابلتهم في خارج نزل الطريق . كان أحدهم يريد صرف صك مصدق . أي خطأ في ذلك ؟ "
ـ " ولم تلاحظ أنتَ شيئاً ؟ "
ـ " لا . طلبت منهم مقابلتي في البنك " .
ـ " أية سيارة ستنقلهم ؟ "
ـ " سيارة أجرة " .
ـ " أية مهنة يفترض أنه سيفكر بأنهم يمتهنونها ، عازفي كمان ؟ "
ـ " سنختار سائقاً لا يفكر . في هذه البلدة كثير من سائقي سيارات الأجرة الذين لا يفكرون . أنظر إلى هايزوز " .
ـ " هايزوز ذكي . إنه يتكلم فقط كلاماً مضحكاً " .
ـ " سأجعلهم يستدعون سيارة بسائق أصم " .
ـ " إختر سائقاً بلا أطفال " .
ـ " للكل أطفال . هل رأيت سائق سيارة أجرة بلا أطفال ؟ "
ـ " أنت جرذ لعين " .
قال له شفاة النحل : " حسناً ، أنا لم أقتل أحداً أبداً " .
ـ " ولن تقتل أحداً أبداً . هيا ، لنخرج من هنا . بقائي معك يشعرني بالوساخة " .
ـ " ربما تكون أنت نفسك وسخاً " .

ـ " هل تستطيع منعهم عن الكلام ؟ "
ـ " إذا لم تقفل فمك بورقة صمغ " .
ـ " أقفل فمك أنت إذن " .
قال هاري : " أنا ذاهب لأشرب كأساً " .

في الخارج أمام المحل ، جلس السياح الثلاثة على مقاعدهم العالية . حين اقترب هاري منهم وهو يتجه إلى حاجز المشرب ، أشاحت المرأة بوجهها تعبيراً عن اشمئزازها .
سأل فردي : " ماذا ستشرب ؟ "
سأل هاري : " ما تشرب السيدة ؟ "
ـ " كوبا ليبر " .
ـ " إذن ، أعطني ويسكي صرفاً " .
إقترب السائح الطويل ذو الشارب الصغير رملي اللون والنظارة غليظة العدستين والوجه الكبير مستقيم الأنف من هاري وقال : " قل ، ما فكرة الكلام إلى زوجتي بتلك الطريقة ؟ "
نظر اليه هاري من فوق إلى تحت وقال لفردي : " أي نوع من المحلات هذا الذي تديره ؟ "
قال الرجل الطويل : " ما به ؟ "
قال له هاري : " هون عليك " .
ـ " لا يمكنك أن توجه الي ذلك الكلام " .
قال هاري : " إسمع . حضرتَ إلي هنا لتستمتع وتكتسب قوة ، أليس كذلك ؟ إذن ، هون عليك " . وخرج .
قال السائح : " أظن أنني كان يجب أن أضربه . ماذا ترين يا عزيزتي ؟ "
قالت زوجته : " ليتني كنت رجلاً " .
قال الرجل صاحب القبعة خضراء الحافة في كأس بيرته : " سيناسبك هذا كثيراً مع بنية جسمك " .
سأل الرجل الطويل : " ماذا قلت ؟ "
ـ " قلت إنك تستطيع معرفة إسمه وعنوانه وإرسال رسالة اليه تخبره فيها بما تحمله في ذهنك من أفكار عنه " .
ـ " قل ، ما اسمك على أية حال ؟ ماذا تفعل ، تمزح معي ؟ "
ـ " أدعني الأستاذ مَكْ ولزي فقط " .
قال الرجل الطويل : " إسمي لاوتون . أنا كاتب " .

ال الأستاذ مَكْ ولزي : " سعيد بلقائك . أتكتب كثيراً ؟ "
ـال الرجل الطويل بنظراته حوله . قال : " لنخرج من هنا يا عزيزتي .
شخص هنا إما يوجه الإهانات أو أنه لا يساوي شروى نقير " .
ال الأستاذ مَكْ ولزي : " إنه مكان غريب . رائع حقاً . يدعونه جبل أمريكا ويقع على بعد ثلاثمائة وسبعين ميلاً جنوب القاهرة في مصر .
هذا المكان هو الجزء الوحيد منه والذي تسنى لي رؤيته حتى الآن . إنه جميل على أية حال " .
لت الزوجة : " أرى أنك أستاذ حقاً . تعرف ، أنا أحبك " .
ال الأستاذ مَكْ ولزي : " أنا أحبك أيضاً يا حبيبتي . لكن لابد أن الآن " .
ض واقفاً وخرج يبحث عن دراجته .
ال الرجل الطويل : " الكل مجانين هنا . ألا تشربين كأساً أخرى يا ي ؟ "
لت الزوجة : " استلطفت الأستاذ . إنه يتمتع بأخلاق حميدة " .
" وذلك الشخص الآخر . . . "
الت الزوجة : " أوه ، له وجه جميل . كرجل من التتر أو شيء من هذا . ليته لم يهني . وجهه يشبه جنكيز خان . ياه ، لقد كان ضخماً " .
ل الزوج : " له يد واحدة فقط " .
الت الزوجة : " لم ألاحظ . ألن نشرب كأساً أخرى ؟ أتساءل مَنْ سيدخل بعده " .
ل الزوج : " ربما تيمور لنك " .
الت الزوجة : " ياه ، أنت مثقف . لكن ذلك الـ جنكيز خان ي . لماذا أحب الأستاذ أن يسمعني أردد كلمة بئس ؟ "
ل لاوتون الكاتب : " لا أعرف . لم أعرف أبداً " .
الت الزوجة : " بدا أنه يستلطفني لما أنا عليه في الواقع . ياه ، لقد طيفاً " .
" لعلك سترينه ثانية " .
ال فردي : " في أي وقت تأتون إلى هنا سترونه . إنه يقيم هنا . لقد نا منذ أسبوعين " .
" مَنْ هو الشخص الآخر الذي يتكلم بفظاظة الى هذا الحد ؟ "
" هو ؟ أوه . إنه شخص يعيش في الجوار " .
" ماذا يفعل ؟ "

قال فردي : " أوه ، قليلاً من كل شيء . إنه صيّاد سمك " .
ـ " كيف فقد ذراعه ؟ "
ـ " لا أعرف . لقد أصيب بطريقة من الطرق " .
قالت الزوجة : " ياه ، إنه جميل " .
ضحك فردي : " سمعت أنه يوصف بأوصاف كثيرة لكنني لم أسمع أنه وصف بذلك الوصف أبداً " .
ـ " ألا ترى أن له وجهاً جميلاً ؟ "
قال لها فردي : " هوني عليكِ يا سيدتي . إن له وجهاً كفخذ الخنزير وأنفاً مكسوراً عليه " .
قلت الزوجة : " ياه ، الرجال أغبياء . إنه رجل أحلامي " .
قال فردي : " إنه رجل أحلام مزعجة " .
طيلة هذا الوقت ، جلس الكاتب هناك ونظرة غبية ترتسم على وجهه إلاّ حين كان ينظر إلى زوجته بإعجاب . فكر فريدي : مَن له زوجةِ تبدو على ذلك الشكل ، لابد أن يكون كاتباً أو رجل إدارة الإنقاذ الفيدرالي للطوارىء . يا إلهي ، أليست هي بشعة ؟ "
حينذاك تماماً ، حضر آلبرت .
ـ " أين هاري ؟ "
ـ " على الرصيف " .
قال آلبرت : " شكراً " .
خرج وظلت الزوجة والكاتب يجلسان هناك بينما وقف فردي هناك قلقاً على القارب ومفكراً كيف أن رجليه تؤلمانه بسبب الوقوف طيلة النهار . كان قد وضع شبكاً فوق الإسمنت لكن هذا لم يبد أنه أفاده كثيراً . فرجلاه تؤلمانه طيلة الوقت . لكن عمله كان جيداً ، جيداً كعمل أي شخص آخر في البلدة مع نفقات رأسية أقل . تلك المرأة حمقاء حقاً . أي نوع من الرجال ذلك الذي يلتقط إمرأة على شاكلتها ليعيش معها ؟ فكر فردي : لا يمكنك هذا حتى بعينين مغمضتين . ولا بعينين مستعارتين . ظلا يشربان شراباً مخلوطاً . شراباً غالياً . ذلك شيء رائع .
قال : " نعم يا سيدي . حالاً " .
دخل رجل لوحت الشمس وجهه وله شعر رملي اللون حسن البنيان يلبس قميص صياد سمك مخطط وبنطالاً خاكياً قصيراً بصحبة فتاة سمراء جميلة تلبس كنزة صوف رقيقة بيضاء وبنطالاً أزرق داكناً .
قال لاوتون وهو ينهض واقفا : " إن لم يكن هذا رِتشارد جوردون مع

الآنسة هِلين الجميلة " .
قال رِتشارد جوردون : " مرحباً يا لاوتون . أرأيت أستاذاً مخموراً في هذه المنطقة ؟ "
قال فردي : " خرج منذ لحظات " .
سأل رِتشارد جوردون زوجته : " أتريدين فيرموث يا حبيبتي ؟ "
قالت : " إذا سمحت " . ثم قالت لأسرة لاتون : " مرحباً . إخلط شرابي جزئين من الفرنسي إلى جزء من الإيطالي يا فردي " .
جلست على كرسي عالٍ وقد دست رجليها تحتها ونظرت إلى الشارع في الخارج . نظر إليها فردي بإعجاب . كان يعتقد أنها أجمل الغريبات في جزيرة وِست الواطئة في ذلك الشتاء . أجمل حتى من الجميلة المشهورة السيدة برادلي . فالسيدة برادلي تزداد سمنة . لهذه الفتاة وجه إيرلندي جميل ، وشعر داكن انسدلت خصلاته لتصل إلى كتفيها كما أن لها بشرة ناعمة صافية . نظر فردي إلى يدها السمراء حاملة الكأس .
سأل لاوتون رِتشارد جوردون : " كيف العمل ؟ "
قال جوردون : " أسير سيراً حسناً . كيف حالك أنت ؟ "
قالت السيدة لاوتون : " جيمس لا يعمل . إنه يشرب فقط " .
سأل لاوتون : " قل ، مَنْ هو هذا الأستاذ مَكْ ولزي ؟ "
- " أوه ، إنه استاذ إقتصاد على ما أظن ، في سنة إجازته أو شيء من هذا القبيل . إنه صديق هِلين " .
قالت هلين جوردون : " أنا أستلطفه " .
قالت السيدة لاوتون : " أنا أستلطفه أيضاً " .
قالت هِلين جوردون بسعادة : " استلطفته أنا أولاً " .
قالت السيدة لاوتون : " أوه ، يمكنكِ أخذه . أنتن الفتيات الصغيرات الطيبات تنلن دائماً ما تردنه " .
قلت هِلين جوردون : " ذلك ما يجعلنا طيبات جداً " .
قال رِتشارد جوردون : " سأشرب كأس فيرموث أخرى " . سأل أسرة لاوتون : " تشربان ؟ "
قال لاوتون : " لِمَ لا ؟ قل ، هل ستذهب إلى تلك الحفلة الكبيرة التي ستقيمها أسرة برادلي غداً ؟ "
قالت هِلين جوردون : " طبعاً سيذهب " .
قال رتشارد جوردون : " أنا أستلطفها كما تعرف . إنها تثير إهتمامي كامرأة وكظاهرة إجتماعية " .

قالت السيدة لاوتون : " ياه ، يمكنك أن تتكلم كرجل مثقف كالأستاذ " .

قال لاوتون : " لا تستعرضي أميتكِ متباهية بها يا عزيزتي " .

سألت هِلين جوردون وهي تنظر إلى خارج الباب : " هل ينام الناس مع ظاهرة إجتماعية ؟ "

قال رِتشارد جوردون : " لا تتكلمي عفناً " .

سألت هِلين : " أعني. هل هذا جزء من فرض مدرسي لكاتب ؟ "

قال رتشارد جوردون : " على الكاتب أن يعرف عن كل شيء . لا يمكنه تقييد تجربته لتتطابق مع القياسات البرجوازية " .

قالت هِلين جوردون : " أوه ، ماذا تفعل زوجة الكاتب ؟ "

قالت السيدة لاوتون : " الكثير ، على ما أظن . قولا ، لابد أنكما رأيتما الرجل الذي كان هنا منذ لحظات وأهانني وأهان جيمس . كان رهيباً " .

قال لاوتون : " كان يجب أن أضربه " .

قالت السيدة لاوتون : " كان رهيباً حقاً " .

- " سأذهب إلى البيت . هل ستأتي يا دِك ؟ "

قال رِتشارد جوردون : " ظننت أنني سأبقى في المدينة لوهلة " .

قالت هِلين ناظرة في المرآة الواقعة خلف رأس فردي : " نعم ؟ "

قال رتشارد جوردون : " نعم " .

تصور فردي ، وهو ينظر اليها ، أنها ستصرخ باكية . أمل ألا يحدث هذا في المحل .

سأل رِتشارد جوردون : " ألا تريدين كأساً أخرى ؟ "

هزت رأسها : " لا " .

سألت السيدة لاوتون : " قولي ، ما بكِ ؟ ألا تقضين وقتاً ممتعاً ؟ "

قالت هِلين جوردون : " وقتاً رائعاً . لكنني أرى أنه يحسن بي أن أعود إلى البيت مع ذلك " .

قال رِتشارد جوردون : " سأعود مبكراً " .

قالت له : " لا تزعج نفسك " . خرجت . لم تبكِ . ولم تعثر على جون مَكْ وولزي أيضاً " .

فصل ٨

على الرصيف ، قاد هاري مورجان سيارته إلى حيث يرسو القارب ، وبعد أن تأكد من أن أحداً لم يكن قريباً منه ، رفع مقعد سيارته الأمامي وزلق الغلاف المنبسط المثقل بالزيت وأخرجه وأسقطه في قمرة قيادة اللنش .

دخل هو نفسه القمرة وفتح باب غطاء المحرك ووضع غلاف البندقية الرشاشة في الأسفل بعيداً عن الأنظار . أدار صمامي البنزين وأشعل كلا المحركين . أشتغل محرك الميمنة بسلاسة بعد بضع دقائق ، لكن اشتغال محرك الميسرة أختل في الإسطوانتين الثانية والرابعة فاكتشف بأن شمعتي الاشتعال عليهما كانتا مشققتين ، بحث عن بعض الشمعات ، فلم يجد أية شمعة .

فكر : " لابد أن أحضر شمعتين وأملأ البنزين " .

في الأسفل عند المحركين ، فتح غلاف البندقية الرشاشة وثبت البندقية بالعمود . وجد قطعتي سيور مراوح وأربعة براغي ، وبعد أن قطع قطعاً طولية في السيور وصنع علاقة لتعليق البندقية تحت أرضية قمرة القيادة إلى يسار الكوة الأرضية ؛ فوق محرك الميسرة تماماً . استقرت البندقية هناك وثبتت بسهولة ، ونقل مشط رصاص من أمشاط الرصاص الأربعة المستقرة في جيوب نسيج الغلاف ودسه داخل البندقية . وفيما هو يركع بين المحركين ، مد جسمه ليصل إلى البندقية . كان لابد من القيام بحركتين فقط لأخذها . فكّ كلاب شريط التعليق الذي يمر حول ملقم الطلقات خلف إبرة التفجير أولاً . ثم اسحب البندقية وأخرجها من الأنشوطة الأخرى . جرب هذا ، فخرجت البندقية بسهولة بيد واحدة . دفع ساحب الأقسام الصغير في جميع الإتجاهاتِ من حركة شبه ذاتية إلى حركة ذاتية كاملة وتأكد من أن الأمان كان مفتوحاً . ثم علق البندقية مرة أخرى . لم يعرف أين يضع أمشاط الرصاص الإضافية ؛ فنقل الغلاف إلى تحت أحد خزاني البنزين في الأسفل حيث يمكنه الوصول اليه ، وأعقاب أمشاط الرصاص تستقر باتجاه يده . فكر : لو نزلت إلى الأسفل مرة واحدة بعد أن نبحر ، لوضعت مشطين منهما في جيبي . يستحسن ألا أحملها معي فقد يهز شيء الشيء اللعين ويسقطه بعيداً عني .

وقف . كان بعد ظهر صافٍ وجميل ، مبهجاً وليس بارداً ، فيه نسيم

شمالي خفيف . كان بعد ظهر جميل حقاً . واندفع المد خارجاً وجثم طائرا بليكان على سياج عند حافة القنال . مر قارب صيد أسماك الناخر مطلياً بلون أخضر داكن ، وأطلق أصوات تفجير وهو في طريقه إلى سوق الأسماك ، وكان صياد السمك الزنجي يجلس في مؤخرة القارب ممسكاً بذراع الدفة . نظر هاري عبر الماء الأملس ، والريح تهب عليه مع المد وقد تلون بلون أزرق رمادي في شمس بعد الظهر ، إلى الجزيرة الرملية التي تكونت حين نظفت القناة من الرمال حيث نَصب مخيم سمك قرش البحر . وطارت طيور نورس بيضاء فوق الجزيرة .

فكر : " لتكوني ليلة جميلة . كوني ليلة جميلة للعبور " .

ظل يتصبب عرقاً قليلاً لنزوله إلى الأسفل عند المحركين ، ثم اعتدل واقفاً ومسح وجهه بقطعة قماش قذرة .

هناك ، وقف آلبرت على الرصيف .

قال : " إسمع يا هاري . ليتك تحملني معك " .

ـ " ما بك الآن ؟ "

ـ " سيدفعون لنا فقط أجرة ثلاثة أيام في الأسبوع على بطاقة البطالة كبدلاء . سمعت هذا الخبر هذا الصباح . يجب أن أقوم بأي عمل " .

قال هاري : " حسناً " . كان يفكر ثانية . " حسناً " .

قال آلبرت : " ذلك جيد . كنت خائفاً أن أذهب إلى البيت وأرى امرأتي العجوز . لقد أثارت جحيماً هذا الظهر كما لو كنت مسؤولاً عن إيقاف الأعمال المخصصة لحاملي بطاقة البطالة " .

سأله هاري بمرح : " ما الذي جرى لامرأتك العجوز ؟ لم لا تصفعها صفعة قوية ؟ "

قال آلبرت : " أنتَ تصفعها . عند ذاك ، سأود أن أسمع ما ستقوله هي . يا لهاَ من امرأة عجوز حين تتكلم " .

قال له هاري : " إسمع يا آل . خذ سيارتي وهذه ودر واتجه إلى الخردوات البحرية ، وأحضر ست شمعات اشتعال مترية مثل هذه الشمعة . ثم أذهب وأحضر قطعة ثلج ذات الـ ٢٠ سنتاً وأحضر نصف دزينة من سمك البوري . أحضر علبتيّ قهوة وأربعة علب من لحم البقر ورغيفيّ خبز وبعض السكر وعلبتين من الحليب المكثف . إذهب إلى محل سنكلير وأخبرهم بأن يحضروا الي هنا ويصبوا مائة وخمسين جالوناً من البنزين . وعد بأسرع وقت ممكن وبدل الشمعتين رقم إثنين ورقم أربعة في محرك الميسرة عاداً الشمعات من الحذاقة . قل لهم إنني سأعود اليهم لأدفع ثمن البنزين . يمكنهم الإنتظار

أو أنهم سيجدونني في محل فردي . هل يمكنك تذكر كل ذلك ؟ سنأخذ مجموعة من الناس إلى البحر لصيد السمك والطربون غداً " .

قال آلبرت : " الطقس بارد جداً على سمك الطربون " .

قال له هاري : " يقول أفراد المجموعة لا " .

سأل آلبرت : " ألا يحسن أن أشتري دزينة من سمك البوري ؟ في حالة تمزيق ذكور أسماك سليمان الصغيرة لها . هناك الكثير من هذه الأسماك في تلك القنوات الآن " .

ـ " حسناً . لتكن دزينة . لكن عد إلى القارب خلال ساعة واملأ البنزين " .

ـ " لماذا تريد أن تصب فيه بنزيناً كثيراً الى هذا الحد ؟ "

ـ " قد ننطلق مبكرين ونبقى إلى ساعة متأخرة في البحر ولا يتسع وقتنا لملء البنزين " .

ـ " ماذا جرى لأولئك الكوبيين الذين طلبوا منك نقلهم ؟ "

ـ " لم أسمع منهم أكثر مما سمعت أنت " .

ـ " كان ذلك عملاً جيداً " .

ـ " وهذا العمل جيد أيضاً . هيا ، إذهب " .

ـ " كم ستدفع لي مقابل عملي ؟ "

قال هاري : " خمسة دولارات يومياً . إذا لم تعجبك فلا تعمل " .

قال آلبرت : " حسناً . أية شمعات إشتعال كانت ؟ "

قال هاري : " رقم إثنان ورقم أربعة عاداً من الحذافة " . أومأ آلبرت برأسه ، قال : " أظن أنني سأتذكر " . ركب السيارة ولف بها وابتعد بها في الشارع .

رأى هاري ، من حيث وقف في القارب ، مبنى الطوب والحجارة والمدخل الأمامي لعمارة فيرست ستايت ترست ومصرف التوفيرات . كان على بعد مجموعة مبانٍ عند أسفل الشارع . لم ير المدخل الجانبي . نظر إلى ساعة يده . كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بقليل . أغلق باب كوة المحرك الأرضية وصعد إلى الرصيف . فكر : حسناً ، إما ستنجح العملية أو لا تنجح . لقد فعلت ما يمكنني فعله الآن . سأذهب إلى المدينة وأرى فردي ثم سأعود وانتظر . دار يميناً وغادر الرصيف ليسير في شارع خلفي حتى لا يمر بالمصرف .

فصل ٩

داخل مشرب فردي ، أراد أن يخبره عن العملية ، لكنه لم يستطع . لم يكن في المشرب أحد فجلس على كرسي عالٍ بلا مسند وأراد أن يخبره ، لكن هذا كان مستحيلاً . وفيما هو على وشك أن يخبره عرف أن فردي لن يحتمل هذا . في الأيام الحوالي ، ربما نعم ، لكن ، ليس الآن . قد لا يكون هذا مناسباً حتى في الأيام الحوالي أيضاً . لم يدرك أنها أخبار سيئة إلا عندما فكر أن يخبر فردي بها . فكر : أستطيع البقاء هنا ولن يحدث أي شيء . يمكنني أن أبقى هنا وأشرب كؤوساً قليلة وأسخن وأتخلى عن التورط فيها . إلا أن بندقيتي في القارب . لكن أحداً لا يعرف أنها بندقيتي سوى المرأة العجوز . حصلت عليها في كوبا أثناء رحلة في الوقت الذي بعت فيه البنادق الأخرى تلك . لا أحد يعرف أنني اشتريتها . يمكنني البقاء هنا الآن وأخرج من اللعبة . لكن ، أي جحيم سيأكلن منه ؟ من أين يأتي المال لإعالة ميري والبنات ؟ ليس لدي أي قارب ، ولا مال نقدي ، ولست متعلماً . أي عمل يمكن لرجل ذي ذراع واحدة أن يشغله ؟ كل ما لدي هو شجاعتي أتاجر بها . يمكنني البقاء هنا وشرب كؤوس أخرى مثلاً ، وبعدئذ ينتهي كل شيء . سيكون الأوان قد فات عند ذاك . يمكنني ترك كل شيء ينزلق ولا أفعل شيئاً .

قال لفردي : " أعطني كأساً " .

ـ " بالتأكيد " .

يمكنني بيع البيت فنستأجر سكناً إلى أن أحصل على أي نوع عمل . أي نوع عمل ؟ ولا أي نوع عمل . يمكنني الذهاب إلى البنك والزعيق الآن ، فلماذا أنابل ؟ الشكر . بالتأكيد . الشكر . ثلّة من أبناء الحرام التابعين للحكومة الكوبية كلفوني ذراعي بأطلاق النار عليّ وقاربي محمّل حين لم يكونوا بحاجة إلى إطلاق النار وثلّة أخرى من أبناء الولايات المتحدة أخذوا قاربي . يمكنني الآن التخلي عن بيتي وتلقي الشكر . لا شكر . فكر : إلى الجحيم به . ليس أمامي خيار في هذا .

رغب في أن يخبر فردي ليكون هناك شخص آخر يعرف ما الذي سيفعله .

لكنه لا يستطيع إخباره لأن فردي لن يحتمل هذا . إنه يكسب جيداً الآن . لا يتردد الكثير من الزبائن على محله في النهار ، لكن المحل يمتلىء بالزبائن حتى الثانية . لم يقع فردي في ورطة . هو يعرف أنه لن يحتمل ما سيحدث . فكر : يجب أن أقوم بالعملية وحدي ، مع ذلك الدموي المسكين آلبرت . يا للمسيح ، يبدو جائعاً جداً أكثر منه في أي وقت مضى وهو على أرصفة الميناء . هناك محارات ستموت من الجوع قبل أن تمد يدها لتسرق . الكثير في هذه البلدة بطونهم تصرخ الآن . لكنهم لن يحركوا ساكناً . سيتضورون جوعاً ، قليلاً كل يوم . بدأوا يتضورون جوعاً منذ أن ولدوا .

قال : " إسمع يا فردي . أريد ربعيتين " .

ـ " مماذا ؟ "

ـ " بكاردي " .

ـ " طيب " .

ـ " إسحب سدادتي الفلين منهما ، هل تسمح ؟ أنت تعرف أنني استأجرت القارب لنقل بعض الكوبيين فيه " .

ـ " ذلك ما قلته أنت " .

ـ " لا أعرف متى سينطلقون . ربما الليلة . لم أسمع عن ذلك " .

ـ " القارب مستعد للإبحار في أي وقت . الليلة هادئة وصالحة للإبحار إذا أردت العبور الليلة " .

ـ " قالوا شيئاً عن ذهابهم إلى صيد السمك بعد ظهر اليوم " .

ـ " على القارب عدة صيد السمك إنْ لم تكن طيور البِليكان قد اختطفتها من هناك وطارت بها " .

ـ " هي لا تزال هناك " .

قال فردي : " حسناً ، رحلة سعيدة " .

ـ " شكراً . أعطني كأساً أخرى ، أتسمح ؟ "

ـ " مماذا ؟ " .

ـ " ويسكي " .

ـ " أظن أنك كنت تشرب بكاردي " .

ـ " سأشرب بكاردي إذا أحسست بالبرد أثناء عبوري " .

قال فردي : " يمكنك العبور وهذا النسيم الخفيف يهب على مؤخرة القارب طوال الطريق . أود أن أقوم بالعبور الليلة " .

ـ " ستكون هذه الليلة رائعة حقاً . هات كأساً أخرى ، أتسمح ؟ "

في تلك اللحظة تماماً ، دخل السائح الطويل وزوجته .

قـالت : " إن لم يكن رجل أحـلامي " . وجلست على مـقـعـد عـالٍ بلا مسند إلى جانب هاري .

ألقى عليـها نظرة واحدة ونهض واقفاً .

قـال : " سأعـود يا فـردي . سأذهب إلى القـارب لأتأكد مما إذا كان أفراد المجـموعة يودون الذهاب لصيد السمك " .

قالت الزوجة : " لا تذهب . من فضلك لا تذهب " .

قـال لها هاري : " أنتِ شخصية هزلية " ، وخرج .

في الـشـارع ، سـار رتـشـارد جـوردون في طريقـه إلى بيت برادلي الشـتـوي الكبير . كـان يأمل أن تكون السيدة برادلي وحيدة . ستكون وحيدة . فالسيدة برادلي تجـمع الكتّاب إضـافـة إلى كـتـبـهم لكن رتشـارد جوردون لم يكن يعرف ذلـك بعـد . كـانت زوجـتـه في طريقـهـا إلى البـيت وهي تسير وحـدها علـى الشاطىء . لم تقابل جون مَكْ وولزي . لعله سيمر بالبيت .

فصل ١٠

كـان آلبرت على ظهر القارب وكان قد صّب البنزين .

قـال هاري : " سأشغّله الآن وأجـرب كيف تضرب تلكما الإسطوانتان . هل رتبت الأشياء ؟ "

ـ " نعم " .

ـ " إقطع بعض الأطعم إذن " .

ـ " تريد طعماً عريضاً ؟ "

ـ " نعم . لسمك الطربون " .

كـان آلبرت في مـؤخـرة القـارب يقطع الأطعم وهاري أمـام عـجلة القـيادة يسـخّن المحـركين حين سـمع ضجة شبيهة بصوت إشتعال الوقود في محرك قبل الأوان . ألـقى نظرة إلى الأسـفل على الشـارع ورأى رجـلاً يخرج من المصرف . كـان يحمل بندقـيـة ويتـقـدم راكـضـاً . ثم اختفى عن الأنظار . خرج رجلان آخـران يحمـلان حقيبتين جلديتين رقيقتين ومسدسين في يديهما ويجريان في نفس الإتجـاه . نـظر هاري إلى آلبِـرت المشـغـول في تقطيع الأطعم . خـرج الرجل الرابع ، وهـو الرجـل الضـخم ، من باب المصرف وهاري يراقب مـا يجري ، كـان ذلك الرجل يحمل بندقـيـة تومبسـون أمامه ، وفيما هو يخرج وظهره إلى البـاب ، دوت صـوت صـفّارة الإنذار في المصرف صـارخة صرخة طويلة تحبس الأنفـاس ورأى هاري فـوهة البندقـيـة تهتـز ـ تهتـز ـ تهتـز ـ تهتـز وسمع صوت بـوب ـ بـوب ـ بـوب ـ بـوب ، خـافـتـاً أجـوف يـدوي أثـناء إنطلاق صـوت عـويـــل الصـفـارة . إسـتـدار الرجل وجـرى ، وتوقـف ليطلق النار على باب المصرف مـرة أخـرى ، فـيما وقـف آلـبرت في مـؤخـرة الـقـارب قـائلاً : " يا للمسـيح ، إنهم يسطون على البنك ، يا للمسـيح ، مـاذا سنفعل ؟ " سمع هاري صـوت سـيـارة الـ فـورد تخرج من الشارع الخلفي ورآها تميل صاعدة على رصيف الميناء .

جلس فيها ثلاثة كوبيين في الخلف وواحد إلى جانب السائق .

صاح أحدهم بالإسبانية : " أين القارب ؟ "

قال آخر : " هناك يا أبلة " .

ـ " ذلك ليس القارب " .
ـ " ذلك هو القبطان " .
ـ " تقدّم ، تقدّم بحق المسيح " .

قال الكوبي للسائق : " أخرج . إرفع يديك " .

حين وقف السائق إلى جانب السيارة ، دس الكوبي سكيناً داخل حزام ذلك السائق وشَرط الحزام باتجاهه وقطعه ثم شقّ بنطاله بالطول حتى الركبة تقريباً . جذب البنطال إلى أن نزل إلى الأسفل . قال : " قف ساكناً " .

رمى الكوبيان ، اللذان يحملان الحقيبتين ، تلكما الحقيبتين إلى داخل قمرة قيادة اللنش وصعدوا كلهم إلى القارب متدافعين بإضطراب .

قال أحدهم : " إنطلق " . نخس الكوبي الضخم ظهر هاري بالبندقية الرشاشة .

قال : " هيا يا قبطان . لنذهب " .

قال هاري : " هوّن عليك . سدد هذه إلى مكان آخر " .

قال الكوبي الضخم لـ آلبرت : " أنت . إرمِ تلك الحبال " .

قال آلبرت : " إنتظر دقيقة . لا تشغّل القارب . هؤلاء لصوص البنك " .

استدار الكوبي الضخم وأدار بندقية تومبسون وصوبها الى آلبرت ، فقال آلبرت : " هيه ، لا تطلق . لا تطلق " .

كان الإنفجار قريباً جداً من صدره حتى أن الرصاصات صدمته كصفعات . فانزلق آلبرت ساقطاً على ركبتيه وعيناه مفتوحتان على وسعيهما وفمه مفتوح كذلك . بدا كأنه يحاول ترديد : " لا تطلق " .

قال الكوبي الضخم : " لن تحتاج إلى مساعد . أنت يا أكتع إبن قحبة " . ثم قال بالإسبانية : " إقطعوا تلك الحبال بسكينة السمك تلك " . ثم بالانجليزية : " هيا . لننطلق " .

ثم قال بالإسبانية : " أغرزوا مسدساً في ظهره " . وبالإنجليزية : " هيا . لننطلق . سأفجر رأسك " .

قال هاري : " سننطلق " .

كان أحد الكوبيين هنديّ المظهر يرفع مسدساً ضغطه على جنبه الذي عليه ذراعه العاطلة . كادت فوهة المسدس تلمس الخطّاف عليها .

حين أدار القارب ، لافّاً عجلة القيادة بذراعه السليمة ، نظر إلى مؤخرة القارب ليتأكد من إمكانية المرور بين دعائم المرفأ ، فرأى آلبرت متكوّماً على ركبتيه في المؤخرة ، وقد انزلق رأسه جانباً الآن وهو في بركة من الدماء .

وصل رصيف الميناء ، وقفت سيارة الأجرة والسائق السمين في ملابسه الداخلية وبنطاله يلتف حول كاحليه ، ويداه فوق رأسه ، وفمه مفتوح باتساع فتحة فم آلبرت . لم يظهر أحد من الشارع بعد .

مرت دعائم الرصيف أمامه وهو يخرج من الحوض ثم وصل إلى القنال ماراً بمنارة الرصيف .

قال الكوبي الضخم : " هيا . أسرع به . أسرع " .

قال هاري : " أبعد ذلك المسدس " .

فكر : يمكنني صدمه بحاجز كراوفيش ، لكن من المؤكد كالجحيم أن ذلك الكوبي سيطلق عليّ النار .

قال الكوبي الضخم : " إنطلق به " . ثم بالإسبانية : " إنبطحوا كلكم . أبقوا القبطان مغطى " . إنبطح هو نفسه في مؤخرة القارب ، ساحباً آلبرت وطارحاً إياه أرضاً داخل قمرة القيادة . إنبطح الثلاثة الآخرون في قمرة القيادة الآن . وجلس هاري على مقعد القيادة . كان ينظر أمامه ويوجه القارب للخروج من القنال من الفتحة إلى قاعدة الغواصات الآن ، حيث ظهرت لوحة الإشارات لليخوت والضوء الأخضر الومض بعيداً عن لسان الميناء ماراً بالقلعة الآن ، ماراً بالضوء الأحمر الومض ؛ ونظر إلى الخلف . كان الكوبي الضخم قد أخرج صندوق طلقات أخضر من جيبه وأخذ يملأ أمشاط الرصاص . استقرت البندقية إلى جانبه وظل يملأ الأمشاط دون أن ينظر اليها ، بالتحسس ، وهو ينظر إلى الخلف من فوق المؤخرة . كان كل الآخرين ينظرون إلى المؤخرة ما عدا الشخص الذي كان يراقبه . لوح له هذا الشخص ، وهو أحد الشخصين اللذين يشبهان الهنود ، بمسدسه لينظر أمامه . لم ينطلق أي قارب وراءهم بعد . عمل المحركان بسلاسة وظل القارب ينطلق بهم مع حركة المد . رأى جزء عوامة إرشاد السفن الثقيلة المائلة البعيدة عن الشاطىء والتي مر بها ، والتيار يدوم عند قاعدتها .

كان هاري يفكر : هناك زورقان سريعان يمكنهما اللحاق بنا . أحدهما زورق راي وهو ينقل البريد من ماتيكومبي . أين الزورق الآخر ؟ عَصرَ فكره : رأيته قبل بضعة أيام في طرق إيد تايلور . كان هو الزورق الذي فكرت أن أطلب من شفاة النحل أن يستأجره . تذكر الآن ، يوجد زورقان آخران . أحدهما الذي تسيره إدارة طرق الولاية بين الجزر الواطئة . والآخر راس في خليج الحامية . كم نبعد الآن عن المرفأ ؟ التفت إلى الخلف إلى حيث تقع القلعة باتجاه المؤخرة ، وأخذ مبنى الطوب الأحمر القديم لمكتب البريد يظهر فوق مباني حوض البحرية ثم سيطر مبنى الفندق الأصفر على أفق المدينة

القصير الآن . امتد الخور عند القلعة ، وظهرت المنارة فوق البيوت التي برزت ناتئة باتجاه فندق الشتاء الكبير . فكر : على بعد أربعة أميال ، على أية حال . فكر : ها هما قادمان . كان قاربا صيد سمك أبيضان يدوران حول حاجز الأمواج ويتجهان نحوه ، فكر : لا يمكنهما الوصول إلى سرعة عشرة أميال . يا للأسف !

كان الكوبيون يثرثرون باللغة الإسبانية .

قال الكوبي الضخم وهو ينظر إلى الخلف من المؤخرة : " كم سرعة سيرك يا قبطان ؟ "

قال هاري : " حوالي اثني عشر " .

ـ " كم تبلغ سرعة ذلكما القاربان ؟ "

ـ " ربما عشرة " .

راحوا كلهم يراقبون القاربين الآن ، حتى ذلك الشخص الذي كان من المفروض أن يغطيه ، يغطي هاري . فكر : لكن ، ماذا يمكن أن أفعله ؟ لا شيء إلى حد الآن .

لم يكبر حجم القاربين الأبيضين .

قال الكوبي لطيف الكلام : " انظر إلى ذلك يا روبرتو " .

ـ " إلى أين ؟ "

ـ " أنظر ! "

على مسافة بعيدة في الخلف ، الى أقصى ما يمكنك أن ترى بصعوبة ، ارتفعت نفثات ضعيفة في الماء .

قال الرجل لطيف الكلام : " إنهم يطلقون النار علينا . يا للسخف " .

قال ضخم الوجه : " من أجل المسيح ، على بعد ثلاثة أميال " .

فكر هاري : " أربعة . أربعة أميال " .

رأى هاري النفثات الدقيقة ترتفع على السطح الهادىء لكنه لم يسمع الطلقات .

فكر : " أولئك المحارات يثيرون الرثاء . إنهم أسوأ . إنهم شخصيات هزلية " .

سأل ضخم الوجه وهو ينظر بعيداً من المؤخرة : " أي قارب حكومي ذلك الذي هناك يا قبطان ؟ "

ـ " خفر السواحل " .

ـ " كم السرعة التي يبلغها ؟ "

ـ " ربما اثني عشر " .

ـ " إذن فنحن في أمان الآن " .
لم يجب هاري .
ـ " ألسنا في أمان إذن ؟ "
لم يقل هاري شيئاً . أبقى مسلّة جزيرة ساند الواطئة ، التي أخذت ترتفع ويتزايد عرضها ، إلى يساره بينما أصبح العمود المنصوب على مياه جزيرة ساند الصغيرة الضحلة متعامداً تقريباً مع محور الميسرة . خلال عشر دقائق أخرى سيتجاوزون الشعاب البحرية .
ـ " مابك ؟ لا تستطيع الكلام ؟ "
ـ " ماذا سألتني ؟ "
ـ " هل يوجد شيء يمكنه اللحاق بنا الآن ؟ "
قال هاري : " طائرة خفر السواحل " .
قال الرجل لطيف الكلام : " قطعنا أسلاك الهاتف قبل أن ندخل المدينة " .
سأل هاري : " لم تقطعوا الإتصال اللاسلكي ، أليس كذلك ؟ "
ـ " أنت ترى أن الطائرة تستطيع الوصول إلى هنا ؟ "
قال هاري : " توجد فرصة إلى أن يحل الظلام " .
سأل روبِرتو ، ضخم الوجه : " ماذا ترى يا قبطان ؟ "
لم يجب هاري .
ـ " هيا ، قل ماذا ترى ؟ "
قال هاري للرجل لطيف الكلام الذي كان يقف إلى جانبه ناظراً إلى مسار البوصلة : " لماذا تركت ابن القحبة ذلك يقتل مساعدي ؟ "
قال روبِرتو : " إخرس . أقتلك أيضاً " .
سأل هاري الرجل لطيف الكلام : " كم سرقتم من مال ؟ "
ـ " لا نعرف . لم نعده بعد . إنه ليس لنا على أية حال " .
قال هاري : " لا أظن هذا " . تجاوز الآن النور ووجّه القارب على زاوية ٢٢٥ ° ، خط سيره المنتظم إلى هافانا .
ـ " أعني أننا لم نقم بهذه العملية لأنفسنا . لتنظيم ثوري " .
ـ " تقتلون مساعدي لذلك أيضاً ؟ "
قال الفتى : " أنا آسف جداً ، لا أستطيع التعبير عن أسفي على ذلك " .
قال هاري : " لا تحاول " .
قال الفتى وهو يتكلم بهدوء : " أنت ترى أن هذا الرجل روبِرتو سيء .

هو ثوري جيد لكنه رجل سيء . إنه قتل كثيراً في عهد ماشادو حتى أنه أصبح يحب القتل . وهو يرى أن القتل مسلٍ . وهو يقتل لقضية عادلة ، أعدل قضية " . والتفت إلى روبِرتو الذي جلس على أحد كراسي صيد السمك في المؤخرة ، وقد استقرت بندقيته الـ تومبسون على حجره ، ونظر إلى الخلف إلى الزورقين الأبيضين اللذين رآهما هاري الآن أصغر حجماً .

صاح روبِرتو من المؤخرة : " ماذا لديك من شراب ؟ "

قال هاري : " لا شيء " .

قال روبرتو : " سأشرب شرابي إذن " . تمدد أحد الكوبيين الآخرين على أحد المقاعد المثبتة على خزاني البنزين . بدا أنه أصيب بدوار البحر . كان الآخر مصاباً بدوار البحر أيضاً ، لكنه ظل جالساً وهو معتدل القامة .

حين نظر هاري إلى الخلف ، رأى قارباً رصاصي اللون ، ظهر الآن بوضوح وهو يبتعد عن القلعة ، ويقترب من القاربين الأبيضين .

فكر : " ذاك قارب خفر السواحل . إنه يثير الرثاء أيضاً " .

قال الكوبي لطيف الكلام : " ترى أن الطائرة البحرية ستصل ؟ "

قال هاري : " سيحل الظلام خلال نصف ساعة " . استقر على مقعد القيادة : " ماذا تفكرون أن تفعلوا بي ؟ تقتلونني ؟ "

قال الفتى : " لا أريد هذا ، أنا أكره القتل " .

سأل روبِرتو وقد جلس الآن وبيده باينت ويسكي : " ماذا تفعل ؟ تصادق القبطان ؟ ماذا تريد فعله ؟ الأكل على مائدة القبطان ؟ "

قال القبطان للفتى : " إمسك بعجلة القيادة . ترى خط السير ؟ إثنتان خمس وعشرون " . اعتدل وابتعد عن الكرسي ثم اتجه إلى الخلف .

قال هاري لروبِرتو : " أعطني جرعة ، ها هو قارب خفر السواحل ، لكنه لن يلحق بنا " .

كان قد تخلى عن الغضب والكراهية وأية كرامة على اعتبار أنها رفاهيات الآن ، وبدأ يخطط .

قال روبِرتو : " بالتأكيد . لن يلحق بنا . أنظر إلى هذين الطفلين المصابين بدوار البحر . ماذا تقول ؟ تريد جرعة ؟ هل لديك أية رغبات أخيرة أخرى يا قبطان ؟ "

قال هاري : " يا لك من مَزّاح " . شرب جرعة كبيرة .

إعترض روبرتو قائلاً : " على مهلك . تلك كل ما يوجد " .

قال له : " لدي المزيد . كنت أمزح معك فقط " .

قال روبِرتو والشك يساوره : " لا تمزح معي " .

ـ " لماذا أحاول ؟ "
ـ " ماذا لديك ؟ "
ـ " شراب بكاردي " .
ـ " أخرجه " .

قال هاري : " هوّن عليك . لماذا تغضب كثيراً ؟ "

خطا فوق جثة ألبرت وهو يتجه إلى المقدمة . حين وصل إلى العجلة ، ـ إلى البوصلة . كان الفتي قد تجاوز درجة خط سيره بخمس وعشرين ـة وكان مؤشر البوصلة يدوم . فكر هاري : إنه ليس بحاراً . ذلك يتيح وقتاً أطول . أنظر إلى أثر القارب .

كان أثر القارب يجري في منحنيين يطلقان فقاقيع نحو النور عند المؤخرة ـن وقد بدا بنياً ومخروطياً وعلى شكل شبكة رفيعة عند الأفق . كادت ـارق أن تختفي عن الأنظار الآن . رأى غبشاً فقط في المكان الذي تنتصب ـه سواري المدينة اللاسلكية . راح المحركان يدوران بسلاسة . مد رأسه إلى ـسفل وأمسك قنينة بكاردي . ذهب إلى الخلف وهو يحملها . عند ـؤخرة ، تناول جرعة ، ثم ناول القنينة إلى روبرتو . هبط بنظره إلى ـبت ، وهو يقف في مكانه ، وأحس بالغثيان في جوفه . فكر : إبن الحرام ـائع المسكين .

سأله الكوبي ضخم الوجه : " مابك ؟ يخيفك ؟ "

قال هاري : " ما رأيك برميه من القارب ؟ فلا معنى لنقله " .

قال روبرتو : " طيب . تفكيرك سليم " .

قال هاري : " أمسك به تحت الذراعين . سأمسك بالساقين " .

وضع روبرتو بندقيته الـ تومبسون على مؤخرة القارب الواسعة ورفع الجثة الكتفين بعد أن انحنى إلى الأسفل .

قال : " تعرف أن أثقل شيء في العالم هو الرجل الميّت . هل رفعتَ ـلاً ميتاً من قبل يا قبطان ؟ "

قال هاري : " لا . هل رفعتَ إمرأة ميتة ضخمة ؟ "

جر روبرتو الجثة إلى المؤخرة ، قال : " أنتَ رجل خشن . ما قولك بأن ـب جرعة ؟ "

قال هاري : " لنشرب " .

قال روبرتو : " إسمع ، أنا آسف لقتلي له . سأستاء أكثر عندما ـلك " .

قال هاري : " كفّ عن الكلام كذلك . ما غرضك من كلامك

كذلك ؟ "
قال روبرتو : " هيا . من فوق القارب ينطلق " .
حين مالا من فوق حافة القارب وزلقا الجثة من فوق مؤخرة القارب إلى الماء ، ركل هاري البندقية الرشاشة ورمى بها من فوق حافة القارب . رذذت في الماء في نفس الوقت الذي ارتطم فيه آلبرت بالماء ، لكن البندقية غاصت في أعماق الماء عند اصطدامها به مباشرة بينما انقلب آلبرت مرتين قبل أن يغوص في الماء المرتد عن مصّ الرفّاص ، الماء الأبيض المخوّض المطلق فقاقيع .
قال روبرتو : " ذلك أفضل ، إيه ؟ حوله الى شكل سفينة " . وحالما رأى أن البندقية اختفت : " أين هي ، ماذا فعلت بها ؟ "
ـ " بماذا ؟ "
تحوّل الى الإسبانية لإنفعاله : " الـ amertratliadora " .
ـ " ألـ ماذا ؟ "
ـ " أنت تعرف ماذا ؟ "
ـ " لم أرها " .
ـ " ركلتها وقذفت بها من فوق مؤخرة القارب . الآن سأقتلك ، الآن " .
قال هاري : " هوّن عليك . أي جحيم يدعوك إلى قتلي ؟ "
قال روبرتو بالإسبانية لأحد الكوبيين المصابين بدوار البحر : " أعطني مسدساً . أعطني مسدساً بسرعة ! "
وقف هاري هناك ، لم يكن قد أحس من قبل قط بأنه طويل إلى ذلك الحد ، لم يكن قد أحس من قبل بأنه عريض إلى ذلك الحد ، وشعر بالعرق يسيل من تحت إبطيه ، شعر به يسقط على خاصرتيه .
سمع الكوبي المصاب بدوار البحر يقول بالإسبانية : " أنت تقتل كثيراً جداً . تقتل المساعد . والآن تريد أن تقتل القبطان . لكن ، من سيعبر بنا ؟ "
قال الآخر : " أتركه وشأنه . أقتله حين ننتهي " .
قال روبرتو : " دفع البندقية الرشاشة من فوق ظهر القارب " .
ـ " لدينا المال الآن . لِمَ تريد البندقية الآن ؟ في كوبا الكثير من البنادق الرشاشة " .
ـ " أقول لك إنك ترتكب غلطة إنْ لم تقتله الآن ، أقول لك هذا . أعطني مسدساً " .

ـ " أوه ، إخـرس . أنتَ سكران . في كل مـرة تسكر فـيها تريد أن تقتل أحد الناس " .
قـال هاري : " إشرب جـرعـة " . ونظر عبر تموج تيار الخليج الرمـادي حيث كـانت الشـمس المدورة تمس الماء . " راقب ذلك . حين تغطس كلهـا تحت الماء ، يصبح الماء أخضر لامعاً " .
قـال الكوبي ضـخم الوجه : " إلى الجحيم بذلك ، أتظن أنك فزت بشيء وهربت به ؟ "
قـال هاري : " سأعطيك بندقـية بندقية أخرى . إنها تكلف خمسة وأربعين دولاراً في كـوبـا . هون عليك . أنتم في أمـان . لن تقترب أية طائرة خـفـر سـواحل الآن " .
نظر روبرتو اليـه من أعلى رأسـه إلى أخمص قـدمـيه : " سأقتلك . فعلتَ ذلك عن قصد . لذلك السبب طلبت مني رفع الجثة " .
قال هاري : " أنتَ لا تريد قتلي . من سيعبر بكم الخليج ؟ "
ـ " لابد أن أقتلك الآن " .
قال هاري : " هون عليك . سألقي نظرة على المحركين " .
فـتح الكوة الأرضـيـة ودخل منهـا ، أدار كـوبي عـتلتي الشحم المثبتتين على صندوقيّ الحشـو ، تحـسس المحـركين ولمست يده عقب بندقية الـ تومبسون . فكر : ليس بعـد . لا ، يحسن ألا يكـون الآن . يا للمـسيح ، كان ذلك من حسن الحظ . أي جـحـيم فرق سيشكله رميه في البحر وهو ميت ؟ يوفر على امـرأته العـجوز جهد دفنه . ضخم الوجه إبن الحرام ذلك . ضخم الوجه إبن الحـرام المجرم ذلك . والمسيح ، أود أن آخذه الآن . لكن يحسـن أن أنتظر .
اعـتـدل واقفاً ، وخرج من الفتحة ثم أغلق الكوة الأرضية .
قـال لـ روبِرتو : " كـيف حـالك ؟ " ووضع يده الضـخـمة على الكتف السـمين . نظر اليه الكوبي ضخم الوجه ولم يقل شيئاً .
سأله هاري : " أرأيتـه يتحوّل إلى الأخضر ؟ "
قـال روبِرتـو : " إلى الجـحـيم بك " . كـان سكراناً ، لكن الشك كـان ينتـابه ، وكحيوان ، عرف مدى الخطأ الذي تحوّل اليه شيء ما .
قـال هاري للفتى الواقف أمام عجلة القيادة : " لأتولى العجلة لوهلة . ما اسمك ؟ "
قال الفتى : " يمكنك أن تدعوني بـ إمِليو " .
قـال هاري : " إنزل إلى الأسـفل وسـتـجـد شيئاً تأكله . هناك خبز ولحم بقـر معلّب . أعدّ قهوة إنْ أردت ذلك " .

ـ " لا أريد شيئاً " .

قال هاري : " سأعد بعض القهوة فيما بعد " . جلس أمام عجلة القيادة ونور صندوق البوصلة مضيء الآن ، ووجه القارب إلى النقطة المطلوبة بسهولة في البحر خفيف الموج الممتد أمامه ، ونظر إلى الليل الطالع على الماء . لم يضىء النور الفياض .

فكر : ستكون ليلة عبور رائعة ، ليلة رائعة . حالما يختفي آخر الشفق ذلك ، فلا بد أن أوجهها إلى الشرق . إن لم أفعل ذلك ، فسنرى أنوار هافانا خلال ساعة . خلال ساعتين على أية حال . حالما يرى أنوار هافانا ، قد يخطر ببال إبن الحرام ذلك أن يقتلني . كان من حسن الحظ التخلص من تلك البندقية . اللعنة ، كان ذلك من حسن الحظ . أتساءل : ما الذي تعده ميري للعشاء . أظن أنها قلقة كثيراً . أظن أنها قلقة كثيراً جداً فلا تأكل . أتساءل : كم سرق أبناء الحرام أولئك من المال ؟ من السخف أنهم لم يعدوه . إذا لم تكن تلك جحيم طريقة لتدبير مال من أجل ثورة . الكوبيون شعب جحيم .

ذلك ولد حقير ، روبرتو ذلك . سأناله الليلة . سأناله مهما كانت النتيجة التي ستسفر عنها باقي الرحلة . مع ذلك ، لن يساعد ذلك آلبرت المسكين اللعين . ساءني رميه في البحر على ذلك النحو . لا أعرف ما الذي حملني على التفكير في هذا .

أشعل سيجارة ودخن في الظلام .

فكر : أنا أتصرف على ما يرام . أتصرف على نحو أفضل مما توقعت . الغلام نوع غلام طيب . ليتني أستطيع وضع ذلكما الاثنين الآخرين في الجانب نفسه . ليت هناك طريقة لجمعهم معاً . حسناً ، علي أن أبذل أقصى ما أستطيع . كلما سارعت بالعمل كلما كان ذلك أفضل . كلما سلس سير كل شيء ، كلما كان ذلك أفضل .

سأله الغلام : " هل تريد شطيرة ؟ "

قال هاري : " شكراً . أعط واحدة لشريكك ؟ "

قال الغلام : " إنه يشرب . لن يأكل " .

ـ " ماذا عن الآخرين ؟ "

قال الغلام : " مصابان بدوار البحر " .

قال هاري : " إنها ليلة لطيفة للعبور " . لاحظ أن الفتى لم يراقب البوصلة ، لذلك استمر في توجيه القارب بعيداً إلى الشرق .

قال الفتى : " أنا أستمتع بها . لو لم يقع ما وقع لمساعدك " .

قال هاري : " كان رجلاً طيباً . هل أصيب أحد في البنك ؟ "
ـ " المحامي . ماذا كان اسمه ، سيمونز " .
ـ " قتل ؟ "
ـ " أظن هذا " .
فكر هاري : هكذا . السيد شفاة النحل . أي جحيم توقعه ؟ كيف فكر بأنه لن يقتل ؟ ذلك يأتي من لعب لعبة العنف . ذلك ما يأتي من التذاكي كثيراً . السيد شفاة النحل . مع السلامة يا سيد شفاة النحل .
ـ " كيف حدث وقتل ؟ "
قال الغلام : " أظن أنك يمكنك تخيله . ذلك كان مختلفاً جداً عن مساعدك . وأنا مستاء لذلك . أنتَ تعرف أنه لم يقصد أن يرتكب خطأ . إن ذلك هو ما فعلته به تلك المرحلة من الثورة " .
قال هاري : " أظن أنه ربما يكون رجلاً طيباً " . وفكر : إصغ إلى ما يقوله فمي . اللعنة عليه ، سيقول فمي أي شيء . لكن ، لابد أن أحاول كسب ود ذلك الغلام في حال ما . . .
سأل : " أي نوع من الثورة تقومون بها الآن ؟ "
قال الفتى : " نحن الحزب الثوري الحقيقي الوحيد ، نريد أن ننهي كل السياسيين القدماء ، مع كل الإمبريالية الأمريكية التي تخنقنا ، مع طغيان الجيش . نريد أن نبدأ نظيفين ونتيح لكل إنسان فرصة . نريد أن ننهي عبودية الـ guajiros ، أنت تعرفهم ، الفلاحين ، ونوزع مزارع السكر الكبيرة بين الناس الذين يعملون فيها . لكننا لسنا شيوعيين " .
رفع هاري نظره عن قرص البوصلة ونظر إليه .
سأل : " كيف تسير أموركم ؟ "
قال الغلام : " نحن نجمع المال للقتال . وإذ نفعل ذلك فاننا نستعمل وسائل لن نستعملها أبداً فيما بعد . كما أننا نستخدم أشخاصاً لن نستخدمهم أبداً فيما بعد . لكن الغاية تبرر الوسيلة . كان عليهم أن يفعلوا نفس الشيء في روسيا . كان ستالين رجل عصابات لعدة سنين قبل الثورة " .
فكر هاري : إنه رديكالي . هذه هي الصفة التي تنطبق عليه : رديكالي .
قال هاري : " أظن أن لديكم برنامجاً جيداً ، إن كنتم ثرتم لكي تساعدوا العامل . لقد شاركت في إضرابات مرات عديدة جداً في الماضي حين كانت مصانع السيجار في جزيرة وست تعمل . كنت سأشعر بالسعادة لفعل ما يمكنني فعله لو عرفت أي نوع من الرجال أنتم " .
قال الغلام : " سيساعدنا الكثير من الناس . لكن ، وبسبب الوضع

الذي تواجهه الحركة الآن ، فإننا لا يمكن أن نثق بالشعب . أنا آسف للضرورة التي تمليها علينا المرحلة الحالية ، آسف جداً . أنا أكره الارهاب . كما آسف جداً لطرق جمع المال الضروري . لكن ، لا خيار أمامنا . أنتَ لا تعرف كم هي سيئة الأحوال في كوبا " .

قال هاري : " أظن أنها سيئة جداً " .

ـ " لا يمكنك أن تعرف كم هي سيئة . يوجد طغيان إجرامي مطلق في كل قرية صغيرة في البلاد . لا يستطيع ثلاثة أشخاص التجمع في الشارع . ليس لـ كوبا أعداء أجانب ولا نحتاج إلى جيش ، لكن لـ كوبا جيش مؤلف من خمسة وعشرين ألفاً الآن ، والجيش من رتبة رقيب إلى أعلى يمتص دماء الأمة . كل شخص في الجيش ، حتى الجندي العادي يعمل على جمع ثروة . ولديهم الآن احتياط عسكري يضم كل أنواع محتالي وأشرار ومخبري عهد ماشادو البائد ، وهم يستولون على أي شيء لا يهتم به الجيش . يجب أن نتخلص من الجيش قبل بدء أي عمل . في السابق ، كنا نُحكم بالمراوات ، والآن نحكم بالبنادق والمسدسات والرشاشات والحراب .

قال هاري وهو يوجه القارب ويحرفه إلى الشرق : " تبدو الحال سيئة " .

قال الغلام : " أنتَ لا تعرف كم هي سيئة . أنا أحب بلادي الفقيرة وسأفعل أي شيء ، أي شيء لأحررها من هذا الطغيان الذي سيطر عليها الآن . أنا أقوم بأعمال أكرهها . لكنني سأقوم بأعمال أكرهها ألف مرة أكثر " .

كان هاري يفكر : أريد شراباً . أي جحيم يهمني من ثورته . إلى الجحيم بثورته . لكي يساعد الرجل العامل يسرق بنكاً ويقتل شخصاً ساعده ثم يقتل ألبرت الملعون المسكين الذي لم يؤذِ أحداً أبداً . أي أنه يقتل رجلاً عاملاً . إنه لا يفكر بذلك أبداً . له عائلة . الكوبيون هم الذين يديرون كوبا . وهم يخونون بعضهم بعضاً . يبيعون بعضهم بعضاً . إنهم ينالون ما يستحقونه . الى الجحيم بثوراتهم . كل ما يجب أن أفعله أنا هو كسب رزق عائلتي وأنا لا أستطيع فعل ذلك . ثم يتكلم إليّ عن ثورته . إلى الجحيم بثورته .

قال هاري للغلام : " لابد أن هذا سيء حقاً . أمسك بعجلة القيادة دقيقة ، هل تسمح ؟ أريد أن أشرب " .

قال الغلام : " بالتأكيد . كيف أوجه العجلة ؟ "

قال هاري : " اثنتان خمس وعشرون " .

الظلام مخيم والبحر مرتفع تماماً في هذا المكان البعيد في تيار الخليج . مر

بالكوبيين المصابين بدوار البحر الراقدين على المقعدين وسار إلى الجزء الخلفي حيث جلس روبرتو على كرسي الصيد . كان الماء يندفع مسابقاً القارب في الظلام . جلس روبِرتو وقدماه على كرسي الصيد الآخر الذي أدير نحوه .

قال له هاري : " إسمح لي بشرب بعض ذلك " .

قال الرجل ضخم الوجه : " إذهب إلى الجحيم . هذا لي " .

قال هاري : " حسناً " ، واتجه إلى الأمام ليبلغ القنينة الأخرى . في الأسفل في الظلام ، والقنينة تحت جدعة ذراعه اليمنى ، سحب هاري سدّادة الفلين التي نزعها فردي وأعاد وضعها على القنينة ، ثم تناول جرعة .

قال لنفسه : هذه اللحظة مناسبة كأي لحظة أخرى . لا معنى للإنتظار الآن . ألقى الغلام الصغير كلمته . إبن الحرام ضخم الوجه سكران ؛ والآخران مصابان بدوار البحر . قد يكون الآن مناسباً .

شرب جرعة أخرى وأدفأه الـ بكاردي وساعده ، لكنه أحسّ بأن البرودة والخواء لا يزالان يحيطان بمعدته . كانت كل أحشائه باردة .

سأل الغلام أمام عجلة القيادة : " تريد شراباً ؟ "

قال الغلام : " لا ، شكراً ، أنا لا أشرب " . رآه هاري يبتسم في نور صندوق البوصلة . إنه غلام حسن المظهر حقاً . ولطيف الكلام أيضاً .

قال : " سأشرب جرعة " . ابتلع جرعة كبيرة لكنها لم تدفىء الجزء شديد البرودة الذي امتد من معدته إلى جميع أنحاء أحشاء صدره الآن . وضع القنينة على أرضية قمرة القيادة .

قال للغلام : " أبقه على خط السير ذاك . سألقي نظرة على المحركين " .

فتح كوة فتحة المحركين الأرضية وخطا نازلاً . ثم أقفل الكوة الأرضية بمزلاج طويل مثبت في ثقب الأرضية . انحنى فوق المحركين ويده الوحيدة تتحسس وصلة الماء والأسطوانات ثم وضع يده على صناديق الحشو . أحكم إغلاق علبتيّ الشحم بلفها دورة واحدة ونصف لكل منها . قال لنفسه : كف عن المماطلة . هيا ، كف عن المماطلة . أين كريتاك الآن ؟ فكر : تحت ذقني على ما أظن .

نظر إلى خارج الكوة . كاد أن يلمس المقعدين الواقعين على خزاني البنزين حيث يستلقي الرجلان المصابان بدوار البحر . كان الغلام يدير ظهره نحوه وقد جلس على الكرسي العالي ، وحدد نور صندوق البوصلة معالمة الخارجية . حين استدار ، رأى روبِرتو منطرحاً في الكرسي في مؤخرة القارب ، بينما سقطت ظلّيته على الماء المعتم .

فكر : إحدى وعشرون رصاصة في كل مشط هي أربع رشقات تقلف كل رشقة خمس طلقات على الأكثر . يجب أن أكون خفيف الأصبع . حسناً . هيا ! كف عن المماطلة ، يا أعجوبة خرع . يا للمسيح ، كم سأعطي ثمناً لوجود شخص آخر . حسناً ، لا يوجد أي شخص آخر الآن . رفع يده اليسرى إلى الأعلى ، فك رباط السير ، ووضع يده على إطار الزناد ، ودفع الأمان بابهامه وأخرج البندقية . وفيما هو يقرفص في حفرة المحرك ، دقق النظر في قاعدة قفا رأس الغلام التي تحددت معالمها أمام النور المنبعث من صندوق البوصلة .

أطلقت البندقية لهباً هائلاً في الظلام وطقطقت الرصاصات الفارغة مرتطمة بالكوة الأرضية المرفوعة وبالمحرك . قبل أن تسقط كتلة جسد الغلام المرتخية عن الكرسي استدار هاري وأطلق النار على الشخص الجالس على المقعد الأيسر وهو يكاد يلصق البندقية المهتزة مطلقة اللهب على الرجل ، وكانت قريبة جداً الى حد أنه شم رائحتها وهي تحرق قميص ذلك الرجل ؛ ثم دار ليطلق وابلاً على المقعد الآخر حيث كان الرجل الآخر يعتدل في جلسته ، وقد تشبث بمسدسه . خفض هاري جسمه وربض في مكانه ونظر إلى مؤخرة القارب . كان الرجل ضخم الوجه قد ابتعد عن كرسيه . رأى هاري كلا الكرسيين ساقطين كصورتين ظليتين . وخلفه تمدد الغلام ساكناً . لا يوجد أي شك حوله . على أحد المقعدين كان رجل يتخبط . وعلى المقعد الآخر ، رأى بزاوية عينه رجلاً ينطرح ونصفه فوق حافة القارب وقد انقلب على وجهه .

حاول هاري تحديد مكان الرجل ضخم الوجه في الظلام . وراح القارب يسير في دائرة الآن وقد أضاءت قمرة القيادة قليلاً . حبس أنفاسه ونظر . لابد أن يكون ذلك هو حيث الأرضية أعتم في الركن . راقب البقعة ، فتحركت قليلاً . ذلك هو .

كان الرجل يزحف نحوه . لا ، نحو الرجل المنطرح ونصفه خارج القارب . كان يريد مسدسه . وفيما كان هاري يربض خافضاً جسمه ، راقبه يتحرك إلى أن تأكد تماماً . ثم أطلق عليه رشقة . أنارت البندقية يديه وركبتيه ثم سمعه يتخبط بثقل حين توقف اللهب عن الإنطلاق وتوقف الصوت بوت - بوت - بوت - بوت .

قال هاري : " أنت يا ابن القحبة . أنت يا ابن حرام قاتل ضخم الوجه " .

اختفت كل البرودة المحيطة بقلبه الآن وتملكه الشعور الخاوي المفرد

القديم ، ثم فرفص خافضاً جسمه وتحسس ما تحت خزّان البنزين المربع المحاط بقفص بحثاً عن مشط آخر ليدسه في البندقية . أخذ المشط ، لكن يده كانت باردة من جفاف الرطوبة عليها .

قال لنفسه : إضرب الخزان . يجب أن أوقف المحركين . لا أعرف البقعة التي ينفصل فيها الخزانان عن المحركين .

ضغط ساحب الأقسام المنحني ، وأسقط المشط الفارغ ، ودس المشط الجديد ثم تسلق صاعداً إلى السطح وخرج من قمرة القيادة .

حين فز واقفاً ، وهو يحمل بندقية الـ تومبسون في يده اليسرى وينظر حوله قبل إغلاق الكوة على يمينه ، اعتدل الكوبي المنطرح على مقعد الميسرة ، وكان قد أصيب بثلاث رصاصات اخترقت كتفه الأيسر كما اخترقت رصاصتان خزان البنزين ، ثم اعتدل في جلسته وصوب تصويباً دقيقاً وأصاب هاري في بطنه .

جلس هاري وقد ترنح إلى الخلف . أحس كأنه ضرب على بطنه بهراوة . استند ظهره على أحد أنابيب الحديد الداعمة لكراسي الصيد ، بينما راح الكوبي يطلق النار عليه ثانية مشظياً كرسي الصيد فوق رأسه ، إنحنى هاري ومد يده ليمسك ببندقية الـ تومبسون ويرفعها بعناية ممسكاً المقبض الأمامي بكلاب ذراعه المقطوعة وأطلق نصف المشط الجديد على الرجل الذي كان يجلس منحنياً إلى الأمام ، أطلق بهدوء من مقعده . سقط الرجل على المقعد متكوماً وتحسس هاري ما يحيط به من أرضية قمرة القيادة إلى أن عثر على الرجل ضخم الوجه المنطرح ووجهه إلى الأسفل ، تحسس وجهه بالكلاب المثبت على ذراعه المقطوعة ، وقلبه ثم وضع فوهة البندقية على رأسه ولمس الزناد . أصدرت البندقية ، وهي تلمس الرأس ، ضجة شبيهة بضرب يقطينة بهراوة . ثم وضع هاري البندقية على الأرضية وتمدد على جنبه على أرضية قمرة القيادة .

قال وشفتاه على ألواح الخشب . " أنا ابن قحبة " ، فكر : أنا ابن قحبة منتنه الآن . يجب أن أوقف المحركين وإلاّ سنشتعل كلنا . لا تزال لدي فرصة . لدي فرصة . يا يسوع المسيح . شيء واحد يفسد الأمر . شيء واحد يسير سيراً خاطئاً . لعنة الله عليه . أوه ، لعن الله ذلك الكوبي ابن الحرام . مَن كان يظن أنني لم أنل منه .

نهض على يديه وركبتيه وترك أحد مصراعيّ الكوة الأرضية فوق المحركين ينطبق ساقطاً ، وزحف فوقه إلى الأمام إلى حيث كان كرسي التوجيه . رفع نفسه وهو يتشبث به ، وأدهشه أن يرى كيف كان يمكنه الحركة بسهولة ، ثم

أحس فجأة بالإغماء والوهن حين وقف منتصباً ، فانحنى إلى الأمام وذراعه المقطوعة ترتكز على البوصلة وقطع إتصال مفتاحيّ التشغيل . هدأ المحركان وسمع الماء يرتطم بجانبي القارب . لا يوجد صوت آخر . دوم القارب ليدخل إلى غور موجة البحر الهادىء التي أثارتها ريح الشمال ورفعتها ثم أخذ القارب يتمايل .

تعلّق بالعجلة ، ثم أراح نفسه على كرسي القيادة ، وانحنى على طاولة الخرائط . أحس بقواه تنسحب خارجة من جسمه وبغثيان طفيف مطرد . فتح قميصه بيده السليمة وتحسس الثقب بقاعدة راحة يده ، ثم تحسسه بأصابعه . هناك نزيف خفيف . فكر : كل النزيف في الداخل . يحسن أن أتمدد على الأرض لاتيح له فرصة أن يخف .

علا القمر في السماء الآن . فرأى ما كان في قمرة القيادة .

فكر : يا لها من فوضى ، جحيم من الفوضى .

فكر : يحسن أن أنزل قبل أن أسقط ، ثم أنزل نفسه إلى الأسفل إلى أرضية قمرة القيادة .

تمدد على جنبه بينما تسرب ضوء القمر إلى داخل قمرة القيادة والقارب يتمايل فتمكن من رؤية كل شيء في القمرة بوضوح .

فكر : إنها مزدحمة . تلك هي حالها ، مزدحمة . ثم فكر : أتساءل ماذا سيفعل القارب بعدئذ . أتساءل ماذا ستفعل ميري ؟ ربما سيدفعون لها المكافآت . لعن الله ذلك الكوبي . ستدبر أمرها ، أظن هذا . هي إمرأة ذكية . أظن أننا كلنا كنا سندبر أمرنا . أظن أن الأمر كان تافهاً حقاً . أظن أنني عضضت لقمة أكبر كثيراً مما يمكنني مضغها . ما كان يجب أن أجربها . سارت الأمور سيراً حسناً حتى النهاية . لن يعرف أحد كيف حدث ما حدث . يا ليتني أستطيع عمل شيء بشأن ميري . على هذا القارب مال وفير . وأنا حتى لا أعرف كم هو . أي إنسان يكون في أمان وذلك المال بين يديه . أتساءل إنْ كان خفر السواحل سيسرقه . جزء منه على ما أظن . يا ليتني أستطيع إعلام المرأة العجوز بما حدث . أتساءل ماذا سنفعل ؟ لا أعرف . أظن أنني كان يجب أن أعمل في محطة بنزين أو شيء من هذا القبيل . كان يجب أن أكف عن الخروج بالقوارب . لم تعد القوارب تدر مالاً شريفاً . لو يتوقف القارب القحبة عن التمايل فقط . لو يتوقف عن التمايل فقط . أحس بكل ذلك يندلق إلى الخلف وإلى الأمام في جوفي . أنا . السيد شفاة النحل وألبرت . كل من له علاقة بهذه العملية . وأبناء الحرام هؤلاء أيضاً . لابد أنه عمل منحوس . يا له من عمل منحوس . أظن أن ما يجب

أن يفعله شخص مثلي هو إدارة شيء كمحطة بنزين . يا للجحيم ، لا أستطيع إدارة محطة بنزين . ميري ، ستدير شيئاً . شاخت على بيع ردفيها الآن . ليت هذا القحبة لا يهتز . يجب أن أهوّن عليّ . يجب أن أهون عليّ قدر ما أستطيع . يقولون إنْ أنتَ لم تشرب ماء وتمددتَ ساكناً . يقولون خصوصاً إنْ أنتَ لم تشرب ماء .

نظر إلى ما ينيره ضوء القمر من قمرة القيادة .

فكر : لن أضطر إلى تنظيف القارب . هوّن عليك . هذا ما يجب أن أفعله . هوّن عليك . يجب أن أهوّن عليّ قدر ما أستطيع . لدي فرصة . إذا تمددتَ ساكناً ولم تشرب أي ماء .

تمدد على ظهره وحاول أن يتنفس باطراد . إندفع اللنش مع تموجات تيار الخليج وتمدد هاري مورجان على ظهره في قمرة القيادة . حاول في بادىء الأمر أن يثبت نفسه ضد إهتزاز القارب بيده السليمة . ثم تمدد بهدوء وترك نفسه تتلقى ذلك الإهتزاز .

فصل ١١

صباح اليوم التالي وفي جزيرة وِست ، سار رِتشارد جوردون في طريقه إلى البيت قادماً من زيارة لمشرب فريدي حيث ذهب ليسأل عن سرقة المصرف . وفيما هو يركب دراجته ، مر بامرأة ضخمة الجثة زرقاء العينين بشعر أشقر مبيض يظهر من تحت قبعة أبيها اللبادية ، وهي تسرع عبر الطريق وعنياها حمراوان من البكاء . فكر : أنظر إلى ذلك الثور الضخم . ما الذي تفكر فيه إمرأة كهذه يا ترى ؟ ما الذي تفعله في السرير يا ترى ؟ ما هو شعور زوجها نحوها وهي تبلغ هذا الحجم ؟ مَنْ الذي يتسكع معها في هذه المدينة يا ترى ؟ أليست هي إمرأة رهيبة الشكل ؟ كسفينة حربية . رهيبة .

وصل إلى البيت الآن . ترك دراجته في شرفة المدخل الأمامية ودخل الممر ، أغلق الباب الأمامي الذي شقّ النمل الأبيض فيه أنفاقاً وسراديب .

صاحت زوجته في المطبخ : " ماذا اكتشفتَ يا دِك ؟ "

قال : " لا تتكلمي معي . سأعمل . كل شيء في رأسي " .

قالت : " ذلك حسن . سأتركك وحدك " .

جلس إلى الطاولة الكبيرة في الغرفة الأمامية . كان يكتب رواية عن إضراب في مصنع نسيج . كان سيستعمل في فصل اليوم المرأة الضخمة ذات العينين الحمراوين التي رآها وهو في طريقه إلى البيت . لقد كرهها زوجها حين عاد إلى البيت في الليل ، كره الطريقة التي اخشوشنت وثقل جسمها بها ، ونفر من شعرها المبيض ، ونهديها الكبيرين جداً ، وافتقارها للتعاطف مع عمله كمنظم نقابي . سيقارنها باليهودية صغيرة الجحم الشابة صلبة النهدين مليئة الشفتين التي تكلمت في الاجتماع ذلك المساء . كان فصلاً جيداً . كان يمكن أن يكون رهيباً بسهولة وكان حقيقياً . لقد رأى بومضة إدراك كل الحياة الداخلية لذلك النوع من النساء .

لامبالاتها المبكرة بمداعبات زوجها لها . رغبتها في الأطفال والأمان . افتقارها إلى التعاطف مع أهداف زوجها . محاولاتها الحزينة للتظاهر بالإهتمام في ممارسة الجنس الذي أصبح منفراً لها بالفعل . سيكون فصلاً رائعاً .

كانت المرأة التي رآها رِتشارد هي زوجة هاري مورجان ، ميري ، في طريق عودتها إلى البيت من مكتب شريف الشرطة .

فصل ١٢

كـان قارب فردي والاس المحارة الملكة ، وطوله ٣٤ قدماً وعليه رقم V من مـصـانع تامبا ، مطلياً باللون الأبيض ، بينما طليت مقدمته بلون يدعى اللون الأخضر المرح . كما طلي داخل قـمرة القيادة باللون الأخضر المرح وطليت قمة بيتـه بـنـفـس الـلون وطلي إسم القـارب وميناء مـوطنـه : جـزيـرة وسـت ، فـلـوريـدا ، بـاللون الأسـود على مـؤخـرته . لم يكن مـزوداً بذراع إمـتـداد ولا بصـاري . كـان مـزوداً بزجـاج حاجب ريح ، وكان حاجب الريح الواقع أمام عـجلة القـيـادة مكسـوراً . كما انتشرت ثقـوب جـديدة مشظّاة في ألواح خشب بدن القـارب المطليـة حـديثاً . ورؤيت بقع مشظّاة على كلا جانبيّ بدن القارب على مـسـافة حوالي قدم من حافته وعلى مسافة قصيرة إلى الأمام من وسط قمرة القـيـادة . وانتشرت مجمـوعة أخرى من هذه البقع المشظّاة على خط الماء تقريباً في الجـانب الأيمن من بدن القـارب أمـام دعـامـة خلف القـارب العمودية التي تسند بيت القـارب وظلتـه . وكـان يسيل من أسـفل هذه الثـقـوب شيء قاتم اللون تعلق في خطوط حـبلية على طلاء بدن القارب الجديد .

انسـاب القـارب بالعرض مع ريح الشمال الخفيفة مسافة حوالي عشرة أميال خـارج خطوط سير نـاقـلات النفط المتـجـهـة شمالاً ، وبدا عليه المرح في لونه الأبـيـض والأخضر قـبـالـة تـيـار الخليج الأزرق الداكن . انتشرت بقع عـشب سـرجـاسـو المصفر بفعل الشمس طافية في الماء قرب القارب الذي مر بها ببطء في التـيـار وهو يتجه شمالاً وشرقاً ، بينما طغت الريح على بعض انسياب اللنش وهي توجـهـه باطراد إلى مـسـافـة أبعـد داخل التيار . لم تظهر على القارب أية عـلامة حياة بالرغم من ظهور جثة رجل منبطح على ظهره ، وقد بدت منتفخة الشكل إلى حـد ما ، وتستقر على حافة القارب وتتمدد على مقعد خشبي مثبت على خـزان بنزين الميسرة ، كما بدا رجل يتـمـدد على المقـعـد الطويل الممـتد مع طول حـافـة الميـمنة وقـد انحنى من فـوق الحـافة ليغمس يده في البحر . كان رأسـه وذراعـاه في الشمس ، وعند النقطة التي تكاد أصابعه تلامس فيها الماء ، تجـمع سرب من أسماك صـغيرة طولها حـوالي البـوصـتين بيضاوية الشكل ذهبية

اللون مخططة بخطوط أرجوانية خفيفة ، كانت قد هجرت أعشاب الخليج لتحتمي في الظل الذي ألقاه قاع هذا اللنش المنساب في الماء ، وقد راحت تلك الأسماك تندفع نحو أي قطرة تسقط من القارب في أي وقت من الأوقات فتتدافع وتدور حولها دورات دائرية فوضوية إلى أن تختفي تلك القطرة . وسبحت سمكتان ماصتان رماديتان ، طول كل منهما حوالي ثماني عشرة بوصة ، في الماء حول القارب وفي الظل مراراً وتكراراً ، بينما راح شقّا فميهما على قمتيّ رأسيهما المفلطحين ينفتحان وينغلقان ؛ لكن لم يبد أنهما تفهمان طبيعة انتظام سقوط القطرات التي تتغذى عليها الأسماك الصغيرة ، وكان احتمال وجودهما على الجانب البعيد من اللنش عند سقوط هذه القطرات هو نفس احتمال وجودهما على الجانب القريب منه . لقد مر عليهما وقت طويل منذ أن جذبتا بعيداً البقعَ والخطوطَ الحبلية القرمزية التي انجرت في الماء خلف القارب من الثقوب السفلية المشظّاة ، وهما تهزان رأسيهما القبيحين بفميهما الماصين وجسميهما المتطاولين المستدقين رفيعي الذيل وهما تجذبان تلك الخطوط . كانتا غير راغبتين الآن في ترك مكان تغذيتا فيه جيداً وعلى نحو غير متوقع .

في داخل قمرة قيادة اللنش ثلاثة رجال آخرون . أحدهم ميت ينطرح متمدداً على ظهره حيث سقط تحت مقعد القيادة . وآخر ، وهو ميت أيضاً ، يتمدد متكوماً في كومة كبيرة مستنداً على بالوعة السفينة قرب ساند مؤخرة الميمنة القائم . والثالث ، وكان لا يزال حياً ، لكنه مغمى عليه منذ مدة طويلة ، يتمدد على جنبه ورأسه على ذراعه .

جوف القارب مليء بالبنزين ويصدر صوت خضخضة سائل حين يهتز . ظن الرجل ، هاري مورجان ، أن ذلك الصوت كان في بطنه ، وبدا له الآن أن بطنه كبيرة كبحيرة وأن السائل فيه يندفع ويصدم كلا الشاطئين في نفس الوقت . ذلك لأنه كان ممدداً على ظهره الآن وركبتاه ترتفعان إلى الأعلى ورأسه يميل إلى الخلف . وكان ماء البحيرة ، التي هي بطنه بارداً جداً ؛ بارداً جداً إلى درجة أنه خدره حين خطا إلى حافة هذه البحيرة ، وكان هو بارداً جداً الآن ويحس بطعم البنزين في كل شيء كأنه ظل يمتص محتويات خزان بنزين بخرطوم . عرف أنه لم يكن هناك خزان بالرغم من أنه كان يحس بخرطوم مطاط بارد بدا أنه دخل فمه والتف الآن ، كبيراً وبارداً وثقيلاً ، وقد تخلل جوفه . وكلما التقط نفساً من أنفاسه ، التف الخرطوم داخل بطنه السفلي أبرد وأقوى وأحس به كأفعى كبيرة ملساء تتحرك داخل جوفه هناك ، فوق خضخضة ماء البحيرة . كان خائفاً منه ، لكن ، بالرغم من أنه في جوفه ، بدا أنه بعيد جداً عنه وكان كل ما يهتم به الآن هو البرد .

تخلل البرد جميع أنحاء جسده ، برد مؤلم لا يمكن أن يتخدر فيتلاشى ، وتمدد بهدوء الآن وأحس به . فكر ، لفترة من الزمن ، بأنه لو استطاع أن يستجمع نفسه حول نفسه ويرفع نفسه فان ذلك سيدفئه كبطانية ، وفكر لوهلة بأنه استجمع نفسه فراح الدفء يشيع في جسده . لكن ذلك الدفء كان فعلاً النزيف الذي نتج عن رفع ركبتيه إلى الأعلى ؛ وبعد تلاشي الدفء عرف بأنك لن تستطيع استجماع نفسك فوق نفسك وليس هناك ما تفعله بالبرد سوى أن تحس به . تمدد هناك محاولاً ، بأقصى ما فيه من جهد ، ألاّ يموت بعد فترة التفكير . كان في الظل الآن ، والقارب ينساب منجرفاً ، والطقس يبرد أكثر فأكثر طيلة الوقت .

واصل اللنش الانسياب منذ الساعة العاشرة من الليلة الماضية ، وكان الوقت ساعة متأخرة من بعد الظهر . لم يكن يرى أي شيء آخر عبر سطح خليج التيار سوى أعشاب الخليج ، وبضع فقاقيع غشائية وردية منتفخة تصدر عن بوارج حربية برتغالية تميل بمرح على السطح ، والدخان البعيد المنطلق من ناقلة نفط محملة متجهه شمالاً من تامبكو .

فصل ١٣

قـال رِتشـارد جوردون لزوجته : " حسناً " .
قالت : " على قميصك صبغة شفاة . وفوق أذنك أيضاً " .
ـ " ماذا في هذا ؟ "
ـ " ماذا في ماذا ؟ "
ـ " ماذا عن رؤيتكِ راقدة على الأريكة مع ذلك القذر السكير ؟ "
ـ " لم ترني " .
ـ " أين وجدتكما ؟ "
ـ " وجدتنا نجلس على الأريكة " .
ـ " في الظلام " .
ـ " أين كنت ؟ "
ـ " عند أسرة برادلي " .
قـالـت : " نـعـم . أعـرف هذا . لا تقترب مني . إن رائحـة تلك المرأة تنبعث منك " .
ـ " أية رائحة تنبعث منكِ ؟ " .
ـ " لا شيء . كنت أجلس ، أتكلم مع صديق " .
ـ " هل قبلتِه ؟ "
ـ " لا " .
ـ " هل قبلكِ ؟ "
ـ " نعم ، أعجبتني القبلة " .
ـ " أنتِ قحبة " .
ـ " إنْ دعوتني كذلك ، سأتركك " .
ـ " أنتِ قحبة " .
قـالت : " حسناً . إنتـهى مـا بيننا . لو لم تكن مـغروراً إلى تلك الدرجة ولو لم أكن طيـبـة معك الى تلك الدرجـة ، لكنتَ رأيتَ أن ما بيننا انتهى منذ وقت طويل " .
ـ " أنتِ قحبة " .

قالت : " لا . لست قحبة . لقد حاولت أن أكون زوجة صالحة ، لكنك أناني ومغرور كديك فناء حظيرة . أنت تصيح دائماً : " أنظري إلى ما فعلته . أنظري كيف أسعدتكِ . إجرِ الآن وقاقي " . حسناً ، أنتَ لم تسعدني وأنا قرفة منك . لقد انتهيت من القوقأة " .

ـ " يجب ألاّ تقاقي ، فأنتِ لا تقدمي أي شيء لتقاقي عليه " .

ـ " غلطة مَنْ تلك ؟ ألم أرغب في إنجاب أطفال ؟ لكن إمكانياتنا لم تكن تسمح بذلك قط . لكن ، كان ضمن إمكانياتنا الذهاب إلى كاب دا أنتيب للسباحة وإلى سويسرا للتزلج . وكان ضمن إمكانياتنا المجيء إلى هنا إلى جزيرة وست . لقد قرفت منك . أنا أكرهك وكانت هذه المرأة برادلي القشة الأخيرة " .

ـ " أوه ، أخرجيها من الموضوع " .

ـ " تعود إلى البيت وصبغة شفاة تلطخك كلك . ألم تكن تستطيع حتى غسل ذلك ؟ وعلى جبهتك بعضها أيضاً " .

ـ " قبلتِه ذلك الشاذ السكير " .

ـ " لا ، لم أقبله . لكنني كنت سأقبله لو عرفتُ ما كنتَ تفعله " .

ـ " لِمَ تركتِه يقبلك ؟ "

ـ " كنت غاضبة منك . إنتظرنا وانتظرنا وانتظرنا . لم تقترب مني إطلاقاً . ذهبتَ مع تلك المرأة وقضيتَ معها ساعات . وأرجعني جون إلى البيت " .

ـ " أوه ، جون ، ذلك هو إسمه ؟ "

ـ " نعم ، جون ، جون ، جون " .

ـ " وما هو إسمه الأخير ؟ ثوماس ؟ "

ـ " إسمه مك ولزي " .

ـ " لِمَ لا تهجئينه ؟ "

قالت : " لا أستطيع " . وضحكت . لكن تلك كانت آخر مرة تضحك فيها . قالت والدموع في عينيها وشفتاها ترتعشان : " لا تظن أن الأمور على ما يرام لأنني أضحك . ليست على ما يرام . ليس هذا مجرد شجار عادي . إنتهى . أنا لا أكرهك . إن هذا ليس عنيفاً . أنا أنفر منك فقط . أنا أنفر منك تماماً وقد انتهيتُ منك " .

قال : " حسناً " .

ـ " لا . ليس حسناً . إنتهى كل شيء . ألا تفهم ؟ "

ـ " أظن هذا " .

ـ " لا تظن " .
ـ " لا تكوني مِلودرامية يا هِلين " .
ـ " إذن ، فأناَ مِلودرامية ، ألستُ كذلك ؟ حسناً ، أنا لست كذلك . لقد انتهيت منك " .
ـ " لا ، أنتِ لم تنتهي " .
ـ " لن أقول هذا مرة أخرى " .
ـ " ماذا ستفعلين ؟ " .
ـ " لا أعرف بعد . قد أتزوج جون مَكْ وولزي " .
ـ " لن تتزوجيه " .
ـ " سأتزوجه إنْ رغبتُ " .
ـ " لن يتزوجك " .
ـ " أوه ، نعم سيتزوجني . طلب يدي بعد ظهر اليوم " .
لم يقل رِتشارد جوردون شيئاً . حل خواء في نفسه وجسمه حيث يستقر قلبه ، وبدا أن كل ما سمعه أو قاله سمعه الآخرون .
قال وصوته يصل من بعيد : " طلب منكِ ماذا ؟ "
ـ " أن يتزوجني ؟ "
ـ " لماذا ؟ "
ـ " لأنه يحبني . لأنه يريدني أن أعيش معه . إنه يكسب ما يكفي من مال ليصرف عليّ " .
ـ " أنت متزوجة بي " .
ـ " لست كذلك حقاً . لست متزوجة بك في الكنيسة . لم تقبل أن تتزوجني في الكنيسة وقد حطّم ذلك قلب أمي المسكينة كما تعرف ذلك جيداً . كنت عاطفية جداً نحوك حتى أنني كنت سأحطم قلب أي إنسان من أجلك . ياه ، لقد كنت بلهاء لعينة . لقد حطمت قلبي أنا أيضاً . لقد تحطم وتلاشى . لقد تخليت عن كل شيء أومن به ، وتركت كل شيء كنت أهتم به من أجلك أنت لأنك كنت رائعاً جداً وأحببتني حباً عظيماً إلى درجة أن ذلك الحب كان كل ما يهم . كان الحب أعظم شيء ، أليس كذلك ؟ كان الحب هو كل ما نملكه وما لم يملكه أي شخص آخر أو ما لم يكن يستطيع أي شخص آخر أن يملكه ؟ وكنتَ أنت عبقرياً وكنت أنا حياتك كلها . كنت شريكتكَ وزهرتكَ السوداء الصغيرة . طين . الحب كذبة قذرة أخرى . الحب هو حبوب منع الحمل التي كانت تجذبني نحوك لأنك كنت خائفاً أن تنجب طفلاً . الحب هو الكينين والكينين والكينين إلى أن أصبحت طرشاء

منه . الحب هو ذلك الرعب المجهض الذي أوصلتني اليه . الحب هو أحشائي التي تلخبطت . نصفه قساطر ونصفه الآخر دوشات مدومة . أنا أعرف ثمن الحب . الحب يعلق دائماً خلف باب الحمام . إنه يعبق برائحة كمطهر الـ ليزول . إلى الجحيم بالحب . الحب هو أن تسعدني ثم تأوي إلى الفراش وفمك مفتوح بينما أستلقي أنا ساهرة طول الليل وأنا أخشى أن أردد صلواتي حتى لأنني أعرف أنه لم يعد من حقي ترديدها . الحب هو كل الخدع الصغيرة القذرة التي علمتنيها والتي قد تكون استخرجتَها أنت من بعض الكتب . حسناً ، لقد انتهيت منك وانتهيت من الحب . نوع حبك الناكش للأنف . أنت يا كاتب " .

ـ " أنتِ يا عاهرة صغيرة " .

ـ " لا تَشتمني . أنا أعرف الكلمة المناسبة لك " .

ـ " حسناً " .

ـ " لا ، ليس حسناً . كل شيء خاطيء وخاطيء ثانية . لو كنتَ مجرد كاتب جيد لكنت استطعت احتمال باقي الحياة معك لكنني رأيتك مراً وغيوراً ومغيراً لأفكارك السياسية لتتلاءم مع الأفكار السائدة ، ماصاً وجوه الناس ومتقولاً عليهم خلف ظهورهم . ظللت أراك حتى قرفت منك . ثم تلك القحبة الغنية القذرة من عائلة برادلي اليوم . آه قرفت من هذا كله . لقد حاولت أن أرعاك وأفرحك وأرتب أمورك وأطبخ لك وأبقى هادئة حين تريدني أن أكون كذلك ومرحة حين تريد ذلك وأثير تفجيراتك الصغيرة فاتظاهر بأنها تسعدني ، واحتمل نوبات غضبك وغيرتك ودناءاتك ، والآن انتهيت من هذا " .

ـ " إذن فأنتِ تريدين أن تبدأي ثانية مع استاذ سكير ؟ "

ـ " هو رجل . رقيق ولطيف يجعلك تحس بالراحة ونحن ننحدر من نفس الأصل ولدينا من القيم ما لن يكون لديك أبداً . إنه كأبي " .

ـ " إنه سكير " .

ـ " هو يشرب ، لكن أبي كان يشرب أيضاً . كان أبي يرتدي جورباً صوفياً ويضع قدميه المجوربتين على كرسي ويقرأ الجريدة في المساء . وحين كنا نصاب بذبحة صدرية كان يرعانا . كان صانع مراجل ويداه مكسرتان ويحب القتال حين يسكر ، كما كان يقدر على القتال حين يكون صاحياً . كان يذهب إلى القداس لأن أمي كانت تريده أن يذهب إليه ويؤدي واجباته الدينية لعيد الفصح من أجلها ومن أجل ربنا ، لكنه كان يفعل ذلك من أجلها على الأكثر ، وكان رجل نقابات جيد وإذا خرج مع أية امرأة ، لا تعرف هي

ذلك أبداً " .
ـ " أنا متأكد من أنه خرج مع نساء كثيرات " .
ـ " لعله خرج مع كثيرات ، لكنه حين كان يخرج معهن كان يخبر القسيس بذلك ، ولا يخبرها هي بذلك ، وإذا خرج معهن فلأنه لم يكن يستطيع منع نفسه من الخروج معهن فيأسف على ذلك ويندم . لم يفعل ذلك بسبب فضول في نفسه أو ومن باب الفخر الذي يذكرَ ويردد أمام أفنية مخازن الحبوب أو لكي يخبر زوجته بأنه رجل عظيم . وإذا فعل ذلك فإنه يفعله لأن أمي بعيدة عنه معنا نحن الأطفال لقضاء عطلة الصيف ، وهو مع الشباب ويسكر معهم . لقد كان رجلاً " .
ـ " يجب أن تكوني كاتبة لتكتبي عنه " .
ـ " سأكون كاتبة أفضل منك . وجون مَكْ ولزي رجل طيب . وذلك ما لستَ أنت . فأنت لا يمكنك أن تكون طيباً . لا يمكنك أن تكون . مهما كانت معتقداتك السياسية أو الدينية " .
ـ " ليست لدي معتقدات دينية " .
ـ " ولا لدي أنا . لكن كانت لدي معتقدات دينية في أحد الأيام ، وسيكون لي معتقدات مرة أخرى . ولن تكون موجوداً لتنتزعها مني . كما نزعت مني كل شيء آخر " .
ـ " لا " .
ـ " لا . يمكنك أن تنام مع أية مرأة غنية كـ هِلين برادلي . كيف استلطفتك ؟ هل رأت أنك مدهش ؟ "
فيما راح رِتشارد جوردون ينظر إلى وجهها الحزين الغاضب الذي جمّله البكاء ، وقد انتفخت شفتاها بنضارة كما يبدو أي شيء بعد هطول المطر عليه وانساب شعرها المعقوص الأسود وحشياً على وجهها ، استسلم أخيراً .
ـ " ولم تعودي تحبينني ؟ "
ـ " أنا حتى أكره الكلمة " .
قال " حسناً " . وصفعها فجأة بقوة على وجهها .
بكت الآن من الألم الفعلي ، لا من الغضب ، ورأسها يحط على الطاولة .
قالت : " ما كنتُ بحاجة الى ذلك " .
قال : " أوه ، نعم . كنتِ بحاجة اليه . أنتِ تعرفين الكثير ، لكنكِ لا تعرفين كم كنت أنا في حاجة إلى ذلك " .
بعد ظهر ذلك اليوم ، لم تره حين انفتح الباب . لم تر أي شيء سوى السقف الأبيض بحليّاته الكعكية على شكل آلهة الحب كيوبيد الخشبية

واليمامات وأعمال الحليّات الالتفافية التي أظهرها للعيان النور المتسلل من الباب المفتوح فجاة .

أدار رِتشارد جوردون رأسه ورآه واقفاً بتثاقل وملتحياً في فتحة الباب .

قالت هِلين : " لا تتوقف . أرجوك ، لا تتوقف " . كان شعرها الساطع مفروداً على الوسادة .

لكن رِتشارد جوردون كان قد توقف وظل وجهه ملتفتاً ، محدّقاً .

كانت المرأة قد قالت بعجلة يائسة : " لا تبالِ به ، لا تبالِ بأي شيء . ألا ترى بأنك لا تستطيع التوقف الآن ؟ "

أغلق الرجل الملتحي الباب بلطف . كان يبتسم .

لقد سألته هِلين برادلي وهي الآن في الظلام ثانية : " ما بك يا حبيبي ؟ "

- " يجب أن أذهب " .

- " ألا ترى بأنك لا تستطيع الذهاب ؟ "

- " ذلك الرجل - "

لقد قالت هِلين : " ذلك تومي فقط . إنه يعرف عن كل هذه الأمور . لا تبالِ به . تعال يا حبيبي . تعال من فضلك - "

- " لا أستطيع " .

لقد قالت هِلين : " يجب أن تأتي " .

أحس بها وهي تهتز ، وكان رأسها على كتفه يرتعد . " يا إلهي ، ألا تعرف أي شيء ؟ ألا تحس بأي اعتبار لأية امرأة ؟ "

قال رِتشارد جوردون : " عليّ أن أذهب " .

في الظلام ، أحس بالصفعة على وجهه تومض إيماضات نور في مقلتيه . ثم كانت هناك صفعة أخرى . على فمه هذه المرة .

لقد قالت له : " إذن ، ذلك هو نوع الرجال الذي أنت منه . حسبت أنك رجل دنيا . أخرج من هنا " .

حدث ذلك بعد ظهر هذا اليوم . على ذلك النحو انتهت الأمور في بيت أسرة برادلي .

جلست زوجته الآن ورأسها بين يديها اللتين استقرتا على الطاولة ولم ينبس أي منهما بكلمة . سمع رِتشارد جوردون تكتكة الساعة وأحس بخواء على قدر هدوء الغرفة . بعد وهلة ، قالت زوجته دون أن تنظر إليه : " أنا آسفة لحدوث هذا . لكنك ترى أن الأمر انتهى ، ألا ترى ذلك ؟ "

ـ " نعم . إنْ كانت تلك هي الطريقة التي حدث بها " .
ـ " لم يكن الأمر كله على ذلك النحو " .
ـ " أسف لأنني صفعتك " .
ـ " أوه ، ذلك لا شيء . ليس لذلك علاقة بالأمر . كان ذلك طريقةً لأن تقول وداعاً " .
ـ " لا تذهبي " .
قالت وهي واهنة القوى : " يجب أن أخرج . يجب آخذ الحقيبة الكبيرة ، على ما أخشى " .
قال : " أخرجي صباحاً . يمكنك فعل أي شيء في الصباح " .
ـ " أفضل أن أخرج الآن يا دِك ، فسيكون الأمر أسهل . لكنني تعبة جداً . إن هذا يتعبني جداً ويثير الصداع في رأسي " .
ـ " إفعلي ما تريدين " .
قالت : " أوه ، يا إلهي . ليت هذا لم يحدث . لكنه حدث . سأحاول ترتيب كل شيء من أجلك . سنحتاج إلى شخص ليرعاك . لو لم تقل لي بعض ما قلته أو لو لم تضربني ؛ لكنا استطعنا ترتيب أمورنا ثانية " .
ـ " لا ، انتهى ما بيننا قبل ذلك " .
ـ " أنا آسفة من أجلك يا دِك " .
ـ " لا تأسفي من أجلي ، وإلا صفعتك ثانية " .
قالت : " أظن أن حالتي ستتحسن لو صفعتني . آسفة من أجلك . أوه ، أنا آسفة " .
ـ " إذهبي إلى الجحيم " .
ـ " آسفة لأنني قلت لك بأنك غير ماهر في السرير . أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك . أظن أنك مدهش " .
قال : " أنتِ لست نجمة " .
بدأت تبكي ثانية .
قالت : " ذلك أسوأ من الصفع " .
ـ " حسناً ، ماذا قلت ؟ "
ـ " لا أعرف . لا أذكر . كنت غاضبة وأنت آلمتني كثيراً " .
ـ " حسناً ، انتهى كل شيء . لِمَ الإحساس بالمرارة إذن ؟ "
ـ " أوه ، لا أريد لعلاقتنا أن تنتهي . لكنها انتهت وليس أمامنا من شيء نقوم به الآن " .
ـ " سيكون لديك استاذك المخمور " .

قالت : " لا تقل هذا . ألا نستطيع أن نغلق أفواهنا ونكفّ عن الكلام ؟ "

- " نعم " .
- " ستفعل هذا ؟ "
- " نعم " .
- " سأنام في الخارج هنا " .
- " لا . يمكنكِ أخذ السرير . يجب أن تأخذيه . سأخرج لبعض الوقت " .
- " لا ، لا تخرج " .

قال : " يجب أن أخرج " .

قالت : " مع السلامة " ، ورأى وجهها الذي أحبه دائماً وكثيراً جداً ، وذلك البكاء لم يفسده أبداً ، وشعرها المعقوص الأسود وصدرها الصغير الصلب تحت الكنزة يندفع إلى الأمام أمام حافة الطاولة ، ولم ير بقيتها التي أحبها كثيراً جداً وظن أنه سرها ، لكن من الواضح أنه لم يكن صالحاً لها ، فقد كان ذلك كله تحت الطاولة ، وحين خرج من الباب ، كانت تنظر إليه عبر الطاولة ؛ وذقنها على يديها ؛ وكانت تبكي .

فصل ١٤

لم يركب الدراجة بل سار في الشارع مشياً على الأقدام . كان القمر الآن عالياً في السماء ، والأشجار معتمة قبالته ، ومر بالبيوت الخشبية بأفنيتها الضيقة ، والنور يخرج من النوافذ مغلقة المصاريع الخشبية ؛ والممرات غير المرصوفة بصفي بيوتها ؛ بلدة محارة ، حيث الكل منشّأ ، جيد إقفال المصاريع الخشبية ، وفضيلة ، وفشل ، وحبيبات رمل ونخير غال ، وسوء تغذية ، وتحيز ، وحقانية ، وتهاجن ، وراحة الدين ؛ وبيوت الكوبيين الـ بوليتو مفتوحة الأبواب والمضاءة ، الأكواخ التي رومانسيتها الوحيدة هي أسماؤها ؛ البيت الأحمر ، بيت تشيكا ؛ وكنيسة الحجر المضغوط ؛ ومثلثات مسلاتها الحادة القبيحة إزاء ضوء القمر ؛ والأفنية الكبيرة وكتلة الدير الطويلة سوداء القبة ، جميلة في ضوء القمر ؛ ومحطة تعبئة بنزين ومحل بيع شطائر ساطع الإضاءة إلى جانب قطعة الأرض الخاوية حيث اقتطع منها ملعب جولف صغير المساحة ؛ بعد الشارع الرئيسي ساطع الإضاءة بالثلاثة محلات فيه ، ومحل الموسيقى ، ومحلات اليهود الخمسة ، ومحلات البلياردو الثلاثة ومحلي الحلاقة ، وحانات البيرة الخمس الرخيصة ، والثلاث ردهات لبيع البوظة/آيس كريم ، والمطاعم الخمسة السيئة والمطعم الجيد الوحيد ، ومحلي بيع الجرائد والمجلات ، وأربع محلات لبيع المفصلات المستعملة (ويصنع إحداها المفاتيح) ومحل مصور فوتوجرافي ، وعمارة مكاتب فيها أربعة مكاتب أطباء أسنان في الطابق العلوي ، ومتجر عشر الدولار الكبير ، وفندق في الركن مع سيارات أجرة مقابلة ؛ وعبر الشارع ، ووراء الفندق ، في اتجاه الشارع المؤدي إلى بلدة الأدغال ، البيت الكبير خشبي الإطار غير المدهون والأنوار والفتيات في فتحة الباب ، والبيانو الآلي يعزف بينما بحار يجلس في الشارع ؛ وفي الخلف ، ووراء بناء المحكمة المبني من الآجر وساعته تضيء مشيرة إلى الساعة العاشرة والنصف ، بعد مبنى السجن المبيض واللامع في ضوء القمر والمؤدي إلى محل الزمن الليكي المحفوف بالأشجار من الجانبين حيث ملأت السيارات الزقاق .

كان محل الزمن الليكي مضاء إضاءة ساطعة ويعج بالناس ، حين دخله

ـشـارد جـوردون رأى غـرفـة القمار مـزدحمة ، والعـجلة تدور والكرة الصـغيرة
طرق حـواجـز حـوضـه المعـدنيـة مـصدرة صوتاً قاصفاً ، والعجلة تدور ببطء
الكرة تدوم ثم تطرطق متـقـافـزة إلى أن تستقر ولا يسمع سوى دوران العجلة
ـرقـعـة رقـائق الفيشات . قال صاحب المحل الذي يعمل على خدمة الزبائن
ـنـد حـاجـز المشرب مع سـاقـيين . " ألو ، ألـو مـسـتر جـوردون . مـاذا
شرب ؟ "

قـال رتشـارد جوردون : " لا أعرف " .

ـ " لاَ تبدو في حال جيدة . ما الأمر ؟ لستَ بصحة جيدة ؟ "

ـ " لا " .

ـ " سأعـد لك شـيئاً جـيـداً . سأعد لك شيئاً رائعاً . هل ذقت الأبسنث
إسباني ، ojen أوخِن ؟ "

قال جوردون : " هاتِ ما عندك " .

قـال صـاحب المحل : " أنتَ تشرب هُوَ أنت تحس جيداً . تريد أن تقاتل
ي شـخص في بيت . أعد للمستار جوردون أوخِـن خاص " .

فـبينما كـان رتشـارد جورودن يقف أمام حاجز المشرب ، شرب ثلاث كؤوس
وخِن خـاصـة ، لكن حـاله لم تتـحـسن ؛ لم يغير الشراب غير الشـفاف الحلو
بـارد ذو طعم عرق السوس ما يشعر به .

قال للساقي : " أعطني شئياً آخر " .

سـألـه صـاحـب المحل : " مـا الأمـر ؟ أنتَ لا تحب الـ أوخِن ؟ أنتَ لا
ـس صحة جيدة ؟ "

ـ " لا " .

ـ " إحـذر مما تشرب بعده من شراب " .

ـ " أعطني ويسكي صرفاً " .

أدفأ الويسكي لسـانه ومـؤخـرة حلقـه ، لكنه لم يغير أفكاره أيّ تغـيـيـر ،
ـجـأة ، أدرك ، وهـو يـنـظر إلى نفسـه في المرآة خلف حـاجـز المشرب ، أن
ـشراب لن يحسن حـاله على الإطلاق . فما يحس به الآن يحس به ، ويحس به
ن الآن فـصـاعـداً ، وإذا ظل يشرب حتى يفـقـد الوعي فإن هذا الاحساس
ـيظل هناك حين يسترد وعيه .

قـال شـاب طويل ونحـيل جـداً وعلى ذقنه لحـيـة شقراء خفيفة ويقف إلى
ـانبـه أمام حاجز نضد المشرب : " ألست أنتَ رتشارد جوردون ؟ "

ـ " نعم " .

ـ " أنا هِربرت سبِلمان . التـقينا في حفلة في بروكلين في وقت من الأوقات

على ما أعتقد " .
قـال رِتشـارد جوردون : " ربما ، لِـمَ لا ؟ "
قـال سِـبِلمان : " أحـببت كـتابكَ الأخير كثيراً جداً . لقد أحببت كتبـك كلها " .
قـال رِتشـارد جوردون : " أنا سعيد . أتشرب كأساً ؟ "
قـال سَبِلمان : " إشرب كأساً معي . هل جربت هذا الـ أوخِن ؟ "
ـ " إنه لا ينفعني في شيء " .
ـ " ما الأمر ؟ "
ـ " المعنويات متدنية " .
ـ " ألا تحاول كأساً أخرى ؟ "
ـ " لا . سأشرب ويسكي " .
قال سبِلمان : " تعرف ، إنه شيء كبير لقائي بك . لا أظن أنك تذكرتني في تلك الحَفلة " .
ـ " لا . لكن ربما كـانت حفلة رائعة . لستَ من المفترض أن تتذكر حفلة رائعة ، أليس كذلك ؟ "
قـال سبِلمان : " لا أظن هذا . كانت في بيت مارجريت فـان برَنْط " .
ثم سأله وهو يأمل : " هل تتذكر الحفلة " .
ـ " أحاول أن أتذكر " .
قال سبِلمان : " كنت الشخص الذي أشعل النار في المكان " .
قال جوردون : " لا " .
قال سبِلمان بسعادة : " نعم . ذلك الشخص كان أنا . كانت تلك أعظم حفلة حضرتها في حياتي " .
سأله جـوردون : " ما الذي تفعله الآن ؟ "
قـال سبِلمان : " ليس كثيراً . أنتقل من مكان إلى آخر قليلاً . آخذ الأمور ببساطة نوعاً ما . أتكتب كتاباً جديداً ؟ "
ـ " نعم . نصف مكتمل تقريباً " .
قال سبِلمان : " ذلك عظيم . عم يدور ؟ "
ـ " عن إضراب في مصنع نسيج " .
قـال سـبِلمان : " ذلك مـدهش . تعرف ، أنا ميال لأي شيء عن الصراع الاجتماعي " .
ـ " ماذا ؟ "
قـال سـبِلمان : " أحب هذا . أفـضله على كل شيء آخـر . أنت أفـضل

المجموعة على الأطلاق . إسمع ، هل فيه محرّضة ثورية يهودية جميلة ؟ "
سأله رِتشارد جوردن بشك : " لماذا ؟ "
- " إنه دور يصلح لسِلفيا سِدني . أنا أحبها . تريد أن ترى فيلمها ؟ "
قال رتشارد جوردن : " رأيته " .
قال سِلمان والسعادة تغمره : " لنشرب . تخيل أن ألقاك هنا . تعرف ، أنا رجل محظوظ . رجل محظوظ حقاً " .
سأله رِتشارد جوردون : " لماذا ؟ "
قال سِلمان : " أنا مجنون . ياه ، إنه مدهش . يبدو الأمر كالوقوع في الحب على أن ينتهي على خير دائماً " .
إبتعد رِتشارد عنه قليلاً .
قال سِلمان : " لا تفعل ذلك . أنا لست عنيفاً . ذلك يعني أنني لا أكاد أكون عنيفاً دائماً . هيا ، لنشرب " .
- " هل جننتَ منذ وقت طويل ؟ "
قال سِلمان : " أظن دائماً . أقول لك إن هذه هي الطريقة الوحيدة لأن تكون سعيداً في أوقات كهذه . ماذا يهمني ما تفعله طائرات دوجلاس ؟ ماذا يهمني ما تفعله وكالة النقل وسندات النقل . لا يمكنهم أن يمسوني . أنا أخرج أحد كتبك فقط أو أشرب كاساً ، أو أشاهد فيلماً لـ سلفيا ، فأحس بالسعادة . أنا مثل طائر . أنا أفضل من طائر . أنا . . . " بدا أنه يتردد ويبحث عن كلمة ، ثم تابع بسرعة ، مفضفضاً عما في نفسه وقد أحمر وجهه : " أنا طائر لقلق جميل " . نظر الى رِتشارد جوردون بثبات ، وشفتاه تتحركان ، وانفصل شاب أشقر ضخم الحجم عن مجموعة من الأشخاص يقفون أمام حاجز المشرب واقترب من سِلمان ووضع يده على ذراعه .
قال : " تعال يا هارولد . يحسن أن تعود إلى البيت " .
نظر سِلمان إلى رِتشارد جوردون بوحشية . قال : " سخر من طائر لقلق . خطا بعيداً عن طائر لقلق . طائر لقلق يدوم طائراً على شكل دوائر . . . "
قال له الشاب الضخم : " تعال يا هارولد " .
مد سِلمان يده نحو رِتشارد جوردون ، قال : " لا إهانة . أنت كاتب جيد . تابع على هذا النحو . تذكر أنني دائماً سعيد . لا تدعهم يشوشون تفكيرك . أراك قريباً جداً " .
شق الرجلان طريقهما بين الجمهور واتجها نحو الباب وذراع الشاب ضخم الجثة فوق كتفه . التفت سِلمان إلى الخلف وغمز رتشارد جوردون .

قـال المالـك : " شـخـص طيب " . ونقـر على رأسـه . " رجل عـالـي التـعليم . يدرس كثيراً جداً على ما أظن . يحب كـسر الكؤوس . لا يقصد أي ضرر . يدفع ثمن كل ما يكسره " .

ـ " هل يأتي إلى هنا كثيراً ؟ "

ـ " في المساء . ماذا قال إنه كان ؟ بجعة ؟ "

ـ " لقلق " .

ـ " كـان في ليـال أخـرى حـصـاناً . بأجنحة . كحصان مرسوم على قنينة حصان أبيض فقط وله جناحان ! شخص طيب حقاً . مال كثير . لديه أفكار مـضـحكة . تبـقيه العائلة هنا الآن مع مديره . أخبرني بأنه يحب كتبك يا سيد جـوردون . ماذا ستشرب ؟ على حساب المحل " .

قـال رتـشـارد جـوردون : " ويـسـكـي " . رأى شريـف الشرطـة يـتـجـه نحـوه . كـان شريف الشرطة جـيـفيّ الهيئة ورجلاً ودوداً جداً . وقد رآه رتشارد جـوردون بعـد ظهر ذلك اليوم في حفلة أسرة برادلي وتكلم معه عن السطو على المصرف .

قـال شريف الشرطة : " قل ، إذا لم تكن تفـعل شـيئاً فـتعال معـي فيمـا بعـد . فـزورق خـفـر السـواحل سيجر قارب هاري مورجان الى داخل المرفأ . لقـد حددت ناقلة نفط مكانه عند ماتاكومبي كما أن لديهم كل التجهيزات " .

قـال رتشارد جوردون : " يا إلهي ، أمسكو بهم كلهم ؟ "

ـ " قـالت الرسالة : " كلهم موتى ما عدا رجل واحد " . "

ـ " لا تعرف من هو ؟ "

ـ " لا ، لم يذكروا ذلك . الله وحده يعلم ما حدث " .

ـ " هل المال معهم ؟ "

ـ " لا أحـد يـعـرف . لـكن لابد أن يكون في القـارب إلاّ إذا أوصلوه إلى كوبا " .

ـ " متى سيدخلونه ؟ "

ـ " أوه ، بعد ساعتين أو ثلاث " .

ـ " إلى أين سيجرون القارب ؟ "

ـ " إلى فناء البحرية ، أظن . حيث سيربطه خفر السواحل " .

ـ " أين سأراك لنذهب إلى هناك ؟ "

ـ " سأمر عليك هنا " .

ـ " هنا أو في مشرب فردي . لا يمكنني البقاء هنا مدة أطول " .

ـ " مشرب فـردي خطير جـداً الليلة . إنه يزدحم بالمحـاربين القـدمـاء ،

أولئك الذين يقيمون هنا حتى الجزر الواطئة . انهم يثيرون الشيطان دائماً " .

قال رِتشارد جوردون : " سأذهب إلى هناك وأنظر إليه . فأنا أحس بنوع من هبوط " .

قال شريف الشرطة : " حسناً ، أبعد عن المتاعب . سألتقطك هناك خلال ساعتين من الزمن . تريد توصيله بالسيارة إلى هناك ؟ "

ـ " شكراً " .

خرجا شاقين طريقهما بين الجمهور وجلس رتشارد جوردون الى جانب شريف الشرطة في سيارته .

سأله : " ماذا جرى لقارب مورجان كما تظن ؟ . "

قال شريف الشرطة : " الله يعلم . يبدو الأمر مروعاً جداً " .

ـ " أليس لديهم أية معلومات أخرى ؟ "

قال شريف الشرطة : " لا شيء . والآن ، أنظر إلى ذلك ، هل تسمح ؟ "

كانا أمام واجهة محل فردي ساطع الأنوار والمفتوحة ، وكان المحل مزدحماً حتى رصيف المشاة . فقد تزاحم رجال يرتدون ملابس مصنوعة من قماش الدنجري وبعضهم حاسرو الرأس والبعض الآخر يعتمرون طاقيات وقبعات خدمة قديمة وخوذ من الورق المقوى ، وتزاحموا داخل المشرب على عمق ثلاثة صفوف ، والحاكي ، الذي يعمل بإدخال قطعة خمسة سنتات في شق فيه ، عالي الصوت ويغني أغنية : " جزيرة كابري " . حين توقفا ، إندفع رجل خارجاً من الباب المفتوح ورجل آخر فوقه تماماً . سقطا وتدحرجا على الرصيف ، وضرب الرجل الذي فوق ، وقد أمسك بشعر الآخر بكلتا يديه ، رأس الرجل الآخر بالإسمنت رافعاً ذلك الرأس وخافضاً إياه عدة مرات ومصدراً ضجة مثيرة للغثيان . لم يبالِ بهما أي من الرجال عند حاجز المشرب .

خرج شريف الشرطة من السيارة وقبض على الرجل الذي فوق من كتفه قال : " أفلته . إنهض " .

اعتدل الرجل ونظر إلى شريف الشرطة : " من أجل المسيح ، ألا تلتفت إلى شؤونك الخاصة ؟ "

والدم يغطي شعر الرجل الآخر وينزف من إحدى أذنيه ، والمزيد منه يتساقط على أسفل وجهه المربع المنمش ، تصدى لشريف الشرطة . قال بلسان ثقيل : " أتركني وشأني . ما الأمر ؟ ألا ترى أنني أستطيع احتمال الضرب ؟ "

قال المالك : " شخص طيب " . ونقر على رأسه . " رجل عالي التعليم . يدرس كثيراً جداً على ما أظن . يحب كسر الكؤوس . لا يقصد أي ضرر . يدفع ثمن كل ما يكسره " .

ـ " هل يأتي إلى هنا كثيراً ؟ "

ـ " في المساء . ماذا قال إنه كان ؟ بجعة ؟ "

ـ " لقلق " .

ـ " كان في ليال أخرى حصاناً . بأجنحة . كحصان مرسوم على قنينة حصان أبيض فقط وله جناحان ! شخص طيب حقاً . مال كثير . لديه أفكار مضحكة . تبقيه العائلة هنا الآن مع مديره . أخبرني بأنه يحب كتبك يا سيد جوردون . ماذا ستشرب ؟ على حساب المحل " .

قال رتشارد جوردون : " ويسكي " . رأى شريف الشرطة يتجه نحوه . كان شريف الشرطة جيفيّ الهيئة ورجلاً ودوداً جداً . وقد رآه رتشارد جوردون بعد ظهر ذلك اليوم في حفلة أسرة برادلي وتكلم معه عن السطو على المصرف .

قال شريف الشرطة : " قل ، إذا لم تكن تفعل شيئاً فتعال معي فيما بعد . فزورق خفر السواحل سيجر قارب هاري مورجان الى داخل المرفأ . لقد حددت ناقلة نفط مكانه عند ماتاكومبي كما أن لديهم كل التجهيزات " .

قال رتشارد جورودن : " يا إلهي ، أمسكو بهم كلهم ؟ "

ـ " قالت الرسالة : " كلهم موتى ما عدا رجل واحد " . "

ـ " لا تعرف من هو ؟ "

ـ " لا ، لم يذكروا ذلك . الله وحده يعلم ما حدث " .

ـ " هل المال معهم ؟ "

ـ " لا أحد يعرف . لكن لابد أن يكون في القارب إلآ إذا أوصلوه إلى كوبا " .

ـ " متى سيدخلونه ؟ "

ـ " أوه ، بعد ساعتين أو ثلاث " .

ـ " إلى أين سيجرون القارب ؟ "

ـ " إلى فناء البحرية ، أظن . حيث سيربطه خفر السواحل " .

ـ " أين سأراك لنذهب إلى هناك ؟ "

ـ " سأمر عليك هنا " .

ـ " هنا أو في مشرب فردي . لا يمكنني البقاء هنا مدة أطول " .

ـ " مشرب فردي خطير جداً الليلة . إنه يزدحم بالمحاربين القدماء ،

أولئك الذين يقيمون هنا حتى الجزر الواطئة . انهم يثيرون الشيطان دائماً " .

قال رِتشارد جوردون : " سأذهب إلى هناك وأنظر إليه . فأنا أحس بنوع من هبوط " .

قال شريف الشرطة : " حسناً ، أبعد عن المتاعب . سألتقطك هناك خلال ساعتين من الزمن . تريد توصيله بالسيارة إلى هناك ؟ "

- " شكراً " .

خرجا شاقين طريقهما بين الجمهور وجلس رتشارد جوردون الى جانب شريف الشرطة في سيارته .

سأله : " ماذا جرى لقارب مورجان كما تظن ؟ "

قال شريف الشرطة : " الله يعلم . يبدو الأمر مروعاً جداً " .

- " أليس لديهم أية معلومات أخرى ؟ "

قال شريف الشرطة : " لا شيء . والآن ، أنظر إلى ذلك ، هل تسمح ؟ "

كانا أمام واجهة محل فردي ساطع الأنوار والمفتوحة ، وكان المحل مزدحماً حتى رصيف المشاة . فقد تزاحم رجال يرتدون ملابس مصنوعة من قماش الدنجري وبعضهم حاسرو الرأس والبعض الآخر يعتمرون طاقيات وقبعات خدمة قديمة وخوذ من الورق المقوى ، وتزاحموا داخل المشرب على عمق ثلاثة صفوف ، والحاكي ، الذي يعمل بإدخال قطعة خمسة سنتات في شق فيه ، عالي الصوت ويغني أغنية : " جزيرة كابري " . حين توقفا ، إندفع رجل خارجاً من الباب المفتوح ورجل آخر فوقه تماماً . سقطا وتدحرجا على الرصيف ، وضرب الرجل الذي فوق ، وقد أمسك بشعر الآخر بكلتا يديه ، رأس الرجل الآخر بالإسمنت رافعاً ذلك الرأس وخافضاً إياه عدة مرات ومصدراً ضجة مثيرة للغثيان . لم يبالِ بهما أي من الرجال عند حاجز المشرب .

خرج شريف الشرطة من السيارة وقبض على الرجل الذي فوق من كتفه . قال : " أفلته . إنهض " .

اعتدل الرجل ونظر إلى شريف الشرطة : " من أجل المسيح ، ألا تلتفت إلى شؤونك الخاصة ؟ "

والدم يغطي شعر الرجل الآخر وينزف من إحدى أذنيه ، والمزيد منه يتساقط على أسفل وجهه المربع المنمش ، تصدى لشريف الشرطة . قال بلسان ثقيل : " أتركني وشأني . ما الأمر ؟ ألا ترى أنني أستطيع احتمال الضرب ؟ "

قال الرجل الذي ظل يضربه : " أنت تحتمله يا جوبي " . ثم قال لشريف الشرطة : " إسمع ، ألا تعطيني دولاراً ؟ "

قال شريف الشرطة : " لا " .

ـ " إذهب إلى الجحيم إذن " . والتفت إلى رِتشارد جوردون .

ـ " ماذا بشأن هذا يا صاح ؟ "

قال جوردون : " سأشتري لك شراباً " .

قال المحارب القديم : " هيا بنا " ، وأمسك بذراع جوردون .

قال شريف الشرطة : " سأعود فيما بعد " .

ـ " طيب . سأكون في انتظارك " .

فيما راح يشق طريقه نحو نهاية حاجز المشرب ، قبض الرجل أحمر الرأس الممتلىء الوجه بالنمش وذو الأذن والوجه الداميين على ذراع جوردون .

قال : " صديقي القديم " .

قال المحارب الآخر : " لا بأس به . يمكنه أن يحتمله " .

قال الرجل ذو الوجه الدامي : " أستطيع أن أحتمله ، ترى هذا ؟ في ذلك أتفوق عليهم " .

قال أحد الأشخاص : " لكن لا ترده . كف عن الدفع " .

قال دامي الوجه : " لندخل . لندخل أنا وصديقي القديم " . وهمس في اذن رِتشارد جوردون : " لست مضطراً لرده . أستطيع أن أحتمله ، ترى هذا ؟ "

قال المحارب القديم الآخر بعد أن وصلوا أخيراً إلى حاجز المشرب المبلل بالبيرة : " إسمع ، كان يجب أن تراه في ساعة الظهر في مبنى مفوضية الشرطة في المعسكر رقم خمسة . لقد طرحته أرضاً ورحت أضربه على رأسه بقنينة . تماماً كما تنقر على طبلة . أنا متأكد من أنني ضربته خمسين مرة " .

قال دامي الوجه : " أكثر " .

ـ " لم تؤثر فيه " .

قال الآخر : " أستطيع أن أحتمله " . همس في أذن رِتشارد جوردون : " إنه سر " .

ناولهم رِتشارد جوردون كأسي بيرة من الكؤوس الثلاث التي سحبها الساقي الزنجي المرتدي سترة بيضاء وكبير الكرش ودفعها نحوه .

سأله : " أي سر ؟ "

قال دامي الوجه : " أنا . سري أنا " .

قال المحارب القديم الآخر : " عنده سر . إنه لا يكذب " .

قـال دامي الوجـه في أذن رِتشارد جـورِدون : " تريد أن تسمعه ؟ "
أومأ جـوردون .
ـ " لا يؤلم " .
أومأ الآخـر . " أخبره عن أسوأ ما فيه " .
كاد الرجل أحمر الرأس أن يلصق شفتيه بأذن جوردون .
قال : " يبدو جيداً أحياناً . ما هو شعورك نحو ذلك ؟ "
وقف إلى جـانب مـرفق جـوردون رجل طويل نحـيل تجـري ندبة من زاوية عـينه إلى الأسفل فوق ذقنه . هبط بأنظاره إلى الرجل أحمر الرأس وقطّب .
قـال : " كـان في أول الأمـر فناً . ثم أصبـح لذة . إن كان هناك ما يثير قرفي فهو أنتَ يا أحمر " .
قـال المحـارب القـديم الأول : " أنتَ تقـرف بسـهولة . في أية كتيبة كنتَ مدرجاً ؟ "
قال الرجل الطويل : " لن يعني هذا لك شيئاً يا هُـزاة سكير " .
سأل رِتشـارد جـوردون الرجل الطويل : " تشرب كأساً ؟ "
قال الآخر : " شكراً ، أنا أشرب الآن " .
قـال أحد مَنْ دخل معهما جوردون المشرب : " لا تنسى " .
قـال رِتشـارد جـوردون : " ثلاث كـؤوس بيرة أخـرى " ، وصـبها الزنجي ودفـعـهـا نحـوه . لم يكن يوجد متسع لمرفق ذراع لرفع الكؤوس من بين الحشد وكـان جوردون منضغطاً على الرجل الطويل .
سأل الرجل الطويل : " هل نزلتَ من سفينة ؟ "
ـ " لا ، أنا أقيم هنا . أتيت من الجزر الواطئة ؟ "
قـال الرجل الطويل : " وصلنا الليلة من تورتوجـاس . لقد أثرنا ما يكفي من الجحيم حتى لا يبقونا هناك " .
قـال المحارب القديم الأول : " هو أحمر " .
قـال الـرجـل الـطويل : " وهو مـا سـتكونه لو كـان لديـك أي عـقل . أرسـلـوا مجمـوعـات مـنا إلى هنـاك ليـتـخلصـوا منا ، لكننـا أثرنـا جـحـيـمـاً ضـدهم " . وابتـسم ابتسامة عريضة لـ رِتشارد جوردون .
صـاح أحـدهم . " مـسـمِر ذلك الغلام " ، ورأى رِتشارد جوردون قبضة يد تضرب وجـهـاً بدا قـريباً جداً منه . وسحب رجلان آخران الرجل المضروب بعـيـداً عن حـاجـز المشرب . وفي المنطقـة قليلة الزحـام ، ضربه رجل ثانيـة ، ضربةً قـوية على وجـهـه وضربه الآخر في جسمه . وقع على الأرضية الأسمنتية وغطى وجـهـه بذراعـيـه وركله أحـد الرجلين في مـسـتـدق ظهره . وطيلة هذا

الـوقـت ، لم يـصـدر أي صـوت . هـزّة أحـد الرجـال ورفـعـه ودفـع بـه على الحائط .

قـال : " بَرِّد إبن القحبة " ، وحين التصق الرجل بالجدار مفرود الذراعين أبيض الوجـه ، استـعـد الرجل الثاني ، وقد انحنـت ركبتاه قليلاً ، ثم انقض عليـه بقـبـضـة يمنى ارتفـعت من الأسفل قرب الأرضية الأسمنتية وحطت على فك الرجل أبيض الوجـه . سـقط إلى الأمـام على ركـبـتـيـه ثم تدحـرج ببطء ورأسـه في بركـة صـغيرة من الدمـاء . تركـه الرجـلان هناك وعـادا إلى حـاجز المشرب .

قـال أحدهم : " يا ولد ، أنتَ تستطيع أن تضرب " .

قال الآخر : " يأتي إبن القحبة ذلك إلى المدينة ويضع كل أجره في مكتب توفير البريد ويأتي بعـدئذٍ إلى هنا متسكعاً يستجدي الشراب من المشرب . تلك هي المرة الثانية التي بردته فيها " .

ـ " لقد بردته هذه المرة " .

قـال الآخـر بسـعـادة : " حين ضربتـه أحسـست بفكـه ككيـس كريـات رخـام " . إتكأ الرجل على الحائط ولم يلتفت اليه أحد .

قـال المحـارب الـقـديـم أحمر الرأس : " إسـمع ، إن أنت حططت عليّ كذلك ، فلن يثير هذا في أي شيء " .

قال المبرِّد : " إخرس يا قذر . عدت إلى خرخرتك القديمة " .

ـ " لا " .

قـال المبرِّد : " أنتم يا دائخون تثيرون قرفي . لماذا أكسر يديَّ بلكمكم ؟ "

قـال أحمـر الرأس : " ذلك مـا سـتـفـعله ، تكسر يدك " . والى رتشـارد جـوردون : " إسمع يا صاحِ ، ما رأيك بأخري ؟ "قال الرجل الطويلَ : " أليسـا غـلامين رائعين ؟ الحـرب قوة تطهير وبث روح النبل . والسؤال هو إنْ كـان ناس مـثلنا هنا هم فـقط الصـالحـون لكي يصـبـحـوا جنوداً أو إنْ كانت الخدمات المختلفة هي التي شكلّتنا " .

قـال رتشارد جوردن : " لا أعرف " .

قـال الـرجـل الطويل : " أراهنك على أنه لا يوجـد في هذه الغـرفـة ثلاثة رجـال جندوا من قـبل . هؤلاء هم النخـبـة . قمة قشطـة الزبدة . الذي انتصر بهم وِلنجـتـون في مـعـركـة واترلو . حـسناً ، لقد طردنا السيد هوفر من شقق أنـتي كـوسـتي وشـحننا روزفلت إلى هنا ليـتـخلص منا . لقـد أداروا المعـسكر بطريقـة تؤدي إلى انتـشـار وباء فـيـه ، لكن أولاد الحـرام المساكين لن يموتوا . لـقـد شـحنوا القليل منا على ظهـر السـفن إلى تورتوجـاس ، لكن ذلك المكان

أصبح صحياً الآن . إضافة إلى أننا لن نتحمله . لذلك ، أعادونا منه . ما هي الخطوة التالية ؟ لابد أن يتخلصوا منا . أنتَ ترى ذلك ، أليس كذلك ؟ "

ـ " لماذا ؟ "

قال الرجل : " لأننا اليائسون . الرجال الذين ليس لديهم أي شيء يفقدونه . نحن الذين حوّلنا إلى وحوش بالكامل . نحن أسوأ من الأصلاء الذين عمل معهم سبارتاكوس . لكن من الصعب محاولة فعل أي شيء بنا لأننا ضربنا وهزمنا إلى حد أن أصبح عزاؤنا الوحيد في الحياة هو الخمرة وفخرنا الوحيد هو أن نصبح قادرين على تلقي الضربة واحتمالها . لكننا لسنا كلنا على تلك الشاكلة . هناك البعض منا الذين سيردون الضربة " .

ـ " هل هناك شيوعيون كثيرون ؟ "

قال الرجل الطويل : " حوالي الأربعين فقط ، من ألفيّ رجل . لكي تكون شيوعياً ، يجب أن تكون نظامياً ومضحياً بالذات ، ولا يكون المخمور شيوعياً " .

قال المحارب القديم أحمر الرأس : " لا تصغي إليه ، إنه ريكالي لعين " .

قال المحارب القديم الآخر الذي كان يشرب البيرة مع رِتشارد جورودن : " إسمع ، إسمح لي في أن أخبرك بما جرى في البحرية . إسمح لي في أن أخبرك بذلك يا ريكالي لعين " .

قال الرجل أحمر الرأس : " لا تصغ اليه . حين يكون الأسطول في نيويورك ، وحين تصل إلى الشاطىء من الماء تحت ممر ضفة النهر ، ترى هناك فتياناً كباراً بلحى طويلة يهبطون ، ويمكنك أن تبول على لحاهم مقابل دولار . ما الذي تراه في ذلك ؟ "

قال الرجل الطويل : " سأشتري لك كأساً ، وانس ذلك القول . أنا لا أحب سماع ذلك " .

قال الرجل أحمر الرأس : " أنا لا أنسى شيئاً . ما بك يا صاح ؟

سأل رِتشارد جورودن : " هل ذلك صحيح ما قلته عن اللحى ؟ " وأحس بغثيان طفيف .

قال أحمر الرأس : " أقسم بالله وبأمي . جحيم ، ذلك ليس لا شيء " .

عند أعلى حاجز المشرب ، كان محارب قديم يجادل فردي حول دفع ثمن الشراب .

قال فردي : " ذلك ما شربته " .

راقب رِتشارد جوردن وجه المحارب القديم . كان سكراناً جداً وقد احتقنت عيناه بالدماء وكان يبحث عن المشاكل .

قال لـ فردي : " أنتَ كذّاب لعين " .

قال فردي له : " خمسة وثمانون سنتاً " .

قال المحارب القديم أحمر الرأس : " دقّق هذا " .

فرد فردي يديه على حاجز المشرب . كان يراقب المحارب القديم .

قال المحارب القديم : " أنتَ كذّاب لعين " ، والتقط قنينة بيرة ليرميه بها . حالما أطبقت يده عليها ، دوّمت يد فردي اليمنى راسمةً نصف دائرة فوق حاجز المشرب وهشم مملحةً كبيرة ملفوفة ببشكير المشرب على جانب رأس المحارب القديم .

قال المحارب القديم أحمر الرأس : " هل كانت محُكمة ؟ هل كانت جيدة ؟ "

قال الآخر : " كان عليك أن تراه يضربهم بعصا البلياردو المقطوعة بالمنشار " .

نظر إلى فردي بغضب محاربان قديمان يقفان حيث انزلق رجل المملحة وسقط . " ما الفكرة من تبريده ؟ "

قال فردي : " هونا عليكما . هذا الشراب على المحل . هيه يا والاس . أسند ذلك الرجل على الحائط " .

سأل المحارب القديم أحمر الرأس رِتشارد جوردون : " هل كان جميلاً ؟ ألم يكن جميلاً ؟ "

جر رجلٌ ضخم الجثة رجلَ المملحة بين الجمهور إلى الخارج . سحبه وأوقفه على قدميه ، فنظر اليه الرجل بخواء . قال له : " أخرج . استنشق بعض الهواء " .

وقف الرجل الذي بُرِّد واستند على الحائط ورأسه بين يديه . اقترب الرجل ضخم الجثة منه .

قال له : " أخرج أنت أيضاً . لقد وقعت في ورطة هنا " .

قال الرجل المضروب بثقل : " فكي مكسور " . كان الدم يتدفق من فمه ويسقط على ذقنه .

قال له الرجل ضخم الجثة : " من حسن حظك أنك لم تقتل ، لم تقتلك تلك الضربة . أخرج الآن " .

قال الآخر بتبلّد : " فكي مكسور . كسروا فكي " .

قال الشاب : " يحسن أن تهرب . لقد تورطت هنا " .

ساعد الرجل مكسور الفك على الوقوف على قدميه فترنح متمايلاً وخرج إلى الشارع .

قال المحارب القديم أحمر الرأس : " رأيت دزينة يتكئون على الجدار هناك في ليالٍ كثيرة . في صباح يوم ، رأيت ذلك الزنجي الضخم الواقف هناك يضرب بجردل " . سأل الساقي الزنجي الضخم : " ألم أرك تضرب بجردل ؟ "

قال الساقي : " نعم يا سيدي ، وفي أوقات كثيرة . نعم يا سيدي . لكنك لم ترني ألاكم أحداً " .

قال المحارب القديم أحمر الرأس : " ألم أخبرك ؟ بجردل " .

قال المحارب القديم الآخر : " يبدو أنها ستكون ليلة حافلة " . الى رِتشارد جوردون : " ما رأيك يا صاح ؟ حسناً ، لدينا شخص آخر " .

شعر رِتشارد جوردون بأنه بدأ يسكر . أخذ وجهه المعكوس في المرآة وراء حاجز المشرب يبدو له غريباً .

سأل الشيوعي الطويل : " ما اسمك ؟ "

قال الرجل الطويل : " جاكس . نِلسون جاكس " .

ـ " أين كنت قبل أن تحضر إلى هنا ؟ "

قال الرجل : " أوه ، في الأنحاء . المكسيك ، كوبا ، جنوب أمريكا وأنحاء أخرى " .

قال رِتشارد جوردون : " أنا أحسدك " .

ـ لماذا تحسدني ؟ لماذا لا تعمل ؟ "

قال رِتشارد جوردون : " كتبتُ ثلاثة كتب . وأنا أكتب الآن كتاباً عن جاستونيا " .

قال الرجل الطويل : " حسناً . ذلك رائع . ماذا قلت اسمك ؟ "

ـ " رِتشارد جوردون " .

قال الرجل الطويل : " أوه " .

ـ " ماذا تعني " أوه ؟ " " .

قال الرجل الطويل : " لا شيء " .

سأل رِتشارد جوردون : " هل قرأت كتبي ؟ "

ـ " نعم " .

ـ " هل أعجبتك ؟ "

قال الرجل الطويل : " لا " .

ـ " لماذا ؟ "

ـ " لا أحب ذكر السبب " .
ـ " قل " .
قال الرجل الطويل : " أظن أنها خراء " ، وأشاح بوجهه .
قـال رِتـشـارد جـوردون : " أظـن أن هـذه هـي لـيـلتي . هذه هي ليلتي الـكـبـيرة " . وسـأل المـحـارب الـقـديـم أحمر الرأس : " مـاذا قلت بأنـك ستشرب ؟ بقى معي دولاران " .
قـال الـرجـل أحمـر الرأس : " بيرة . إسـمع ، أنت صـاحـبي . أرى أن كتبك رائعة . إلى الجحيم بذلك الرديكالي إبن الحرام " .
سأل المحـارب القـديم الآخـر : " ليس مـعك كتاب ؟ يا صاح ، أود أن أقرأ أحدها . هل كتبت عن قصص الغرب أو عن أفذاذ الحرب . أنا أقرأ عن المحاربين الأفذاذ كل يوم " .
قـال رِتشارد جوردون : " من هو ذلك الطائر الطويل ؟ "
قـال المحـارب القديم الثاني : " أقول لك إنه مجرد رديكالـي إبـن حرام . المـعـسـكـر مليء بهم . لقـد طردناهم ، لكنني أخبرك بأن أغلب الفـتـيـان في المعسكر لا يتذكرون نصف الوقت " .
سأل الرجل أحمر الرأس : " لا يتذكرون ماذا ؟ "
قال الآخر : " لا يتذكرون أي شيء " .
قال أحمر الرأس : " فهمتني " .
قـال رِتشـارد جوردون : " نعم " .
ـ " هل تعـرف أن لي أجمل زوجة صغيرة في العالم ؟ "
ـ " لِـمَ لا ؟ "
قـال الرجل أحمر الرأس : " حـسـناً ، إن لي زوجة . وتلك الفتاة لا شيء أمـامي . إنها عـبدة . أقول لها : " أعطني فنجان قهوة آخر " . فتقول لي : " أوكـيـه يـا بـوب " . وآخـذه . وأي شيء آخـر على نفس المنوال . هي تهيم بي وأية نزوة لدي ، تكون قـانونها " .
سأل المحارب القديم الآخر : " لكن ، أين هي ؟ "
قـال الـرجـل أحمـر الـرأس : " تلك هي المشكلة . تلك هي المشكلـة يا صاح . أين هي ؟ "
قال المحارب القديم الثاني : " إنه لا يعرف أين هي " .
قـال الرجل أحمر الرأس : " ليس ذلك هو كل ما في الأمر ، أنا لا أعرف أين رأيتها آخر مرة " .
ـ " هو لا يعرف حتى في أي بلاد هي " .

قـال الرجل أحمر الرأس : " لكن ، إسمع يا رجل . أينما تحل تلك الفتاة الصغيرة ، تكون مخلصة " .
قـال المحـارب القـديم الآخـر . " تلك حـقـيـقة الله . يمكنك أن تراهن بحياتك على ذلك " .
قـال الرجل أحمر الرأس : " أحيـانـاً ، أظن أنها قـد تكون جنجِر روجِرز وأنها تعمل في السينما " .
قال الآخر : " لِـمَ لا ؟ "
ـ " ثم مرة أخرى ، أراها في إنتظاري هناك حيث أقيم " .
قال الآخر : " تحافظ على اشتعال نيران المنزل " .
قـال الرجل أحمر الرأس : " ذلك هو الوضع . هي أروع امـرأة صغيرة في العالم " .
قال الآخر : " إسمع ، أمي العجوز في حال جيدة أيضاً " .
ـ " ذلك صحيح " .
قال المحارب الثاني : " لقد ماتت . لنكف عن الكلام عنها " .
سـأل الـرجـل أحمـر الـرأس رِتشـارد جـوردون : " ألستَ متـزوجـاً يا صاح ؟ "
قـال : " بالتأكـيـد " . رأى ، عند نصـد حـاجز المشرب وعلى بعد أربعة رجـال منه ، وجـه الأسـتـاذ مَكْ وولزي وعـينيه الزرقاوين وشاربه الرملّي المبلل بالبيرة . كـان الأسـتـاذ مَكْ وولزي ينظر أمـامـه تمامـاً وعندمـا نظر اليه رِتشارد جـوردون رآه ينهي كأس بيرة ويزيل الرغـوة عن شـاربه برفع شـفـتـه السـفلى عليـه . لاحظ رِتشـارد جـوردون مدى سطوع زرقة عينيه .
حين راقـبـه رِتشـارد جـوردون ، سـيطـر عليـه إحسـاس عاتٍ في صدره . فـعـرف لأول مـرة كـيف يحس رجل حين ينظر الى الرجل الذي هجرته زوجته لتهرب معه .
سأله المحارب القديم أحمر الرأس : " ما الأمر يا صاحِ ؟ "
ـ " لا شيء " .
ـ " لا تبدو في حال حسنة . أرى أنك في حالٍ سيئة " .
قـال رِتشـارد جوردون : " لا " .
ـ " تبَدو كأنك رأيت شبحاً " .
سـألـه رِتـشـارد جـوردون : " أنـتَ ترى ذلك الشـخص الواقف هناك وله شارب ؟ "
ـ " هو ؟ "

ـ " نعم " .
سأله المحارب القديم الثاني : " ما به ؟ "
قال رتشارد جوردون : " لا شيء . اللعنة . لا شيء " .
ـ " أهو يزعجك ؟ يمكننا تبريده . يمكننا ثلاثتنا الإنقضاض عليه ويمكنك ركله عند ذلك " .
قال رتشارد جوردون : " لا . لن يكون ذلك مجدياً " .
قال المحارب القديم أحمر الرأس : " سنناله حين يخرج . أنا لا أحب منظره . يبدو إبن الحرام كأجرب " .
قال رتشارد جوردون : " أنا أكرهه . لقد حطم حياتي " .
قال المحارب القديم الثاني : " سنعطيه ما فيه النصيب . الجرذ الأصفر . إسمع يا أحمر ، إمسك بقنينتين . سنضربه حتى الموت . إسمع ، متى فعل ذلك يا صاح ؟ حسناً ، سنشرب كأساً أخرى " .
قال رتشارد جوردون : " لدينا دولار وسبعون سنتاً " .
قال المحارب أحمر الرأس . " ربما يحسن أن نتناول باينت إذن . إن أسناني تطفو الآن " .
قال الآخر : " لا . البيرة جيدة لك . إنها بيرة مصبوبة . تمسك بالبيرة . لنذهب ونضرب ذلك الفتى هناك ثم نعود ونشرب بعض المزيد من البيرة " .
ـ " لا ، دعوه وشأنه " .
ـ " لا يا صاح . ليس نحن . قلتَ إن ذلك الجرذ حطم زوجتك " .
ـ " حياتي . لا زوجتي " .
ـ " يا للمسيح ! عفواً . أنا آسف يا صاح " .
قال المحارب القديم الثاني : " إختلس البنك وحطمه . أنا متأكد من أن جائزة رصدت للقبض عليه . يا إلهي ، رأيت صورته في مكتب البريد اليوم " .
سأله الآخر مرتاباً : " ماذا كنت تفعل في مكتب البريد ؟ "
ـ " ألا أستطيع أن أستلم رسالة " .
ـ " ما العيب في استلام رسائل في المعسكر ؟ "
ـ " هل تظن أنني ذهبت إلى توفيرات البريد ؟ "
ـ " ماذا كنت تفعل في مكتب البريد ؟ "
ـ " توقفت هناك فقط " .
قال له صديقه وهو ينقض عليه على النحو الذي يسمح به الزحام بذلك :

" خذ هذه " .

قـال أحـدهـم : " الى هـناك يصـلان رفـيـقـا الزنزانة " . دُفع الإثنان إلى الخـارج وهما يتماسكان ويتضاربـان ويتراكلان ويتلاكمان .

قـال الشـاب عـريض الكتفين : " ليتقاتلا على رصيف المشاة . إبنا الحرام هذان يتعاركان ثلاث أو أربع مرات كل ليلة " .

قـال محارب قديم آخر : " إنهما زوج من الدائخين . يستطيع الأحمر القتال مرة واحدة لكنه يعاني من الخرخرة القديمة " .

ـ " كلاهما يعانيان من الخرخرة القديمة " .

قـال محارب قـديم صـغير مكتنز : " أصيب بها الأحمر من ملاكمة شخص في حلبـة الملاكمة . وهذا الشخص يعاني من الخرخرة القديمة وقد تكسّر كتفاه وظهـره كله . وفي كل مـرة يشـتـبكان فـيـها في القتال ، يفرك كتفه تحت أنف الأحمر أو تحت فمه " .

ـ " أوه ، هراء . لم يضع وجهه هناك ؟ "

ـ " تلك هي الطريقـة التي يخفض بها الأحمر رأسه حين يكون مـشـتبكاً في قتال . إلى الأسفل على هذا النحو . وهذا الشخص كان يخاشنه " .

ـ " أوه ، هراء . تلك القـصـة كلهـا هراء . لا يصـاب أحـد بالخـرخـرة القديمة من أي شخص في قتال " .

ـ " ذلك مـا تعـتـقـده . إسمع ، كان الأحمر فتى حياً نظيفاً كأي شخص آخـر رأيتَه في حيـاتك . أنا أعـرفه . كان في كتيبتي . كان مقاتلا صغيراً قوياً أيضـاً . أعني رائعـاً . وكـان متزوجاً أيضاً من فتاة جميلة . أعني لطيفة . وقد أصـابه بِني سـامبسـون ذلك بعـدوى تلك الخرخرة القديمة ، وأنا متأكد من ذلك تأكدي من وقوفي هنا " .

قـال محارب آخر : " إذن إجلس . كيف أصيب بها بوتشي ؟ "

ـ " أصيب بها في شنجهاي " .

ـ " أين أصبتَ بها أنت ؟ "

ـ " أنا لم أصب بها " .

ـ " أين أصيب بها سَدْز ؟ "

ـ " من فتاة في برست ، عادت إلى الوطن " .

ـ " ذلك مـا تتكلمـون عنه أنتم يا فـتـيـان . الخرخرة القديمة . أي فرق تحدثه الخرخرة القديمة ؟ "

قـال أحـد المحاربين القدماء : " لا شيء ، حسب الطريقة التي نعيش بها الآن . إنك تسعد بها " .

ـ " بوتشي أسعد ، إنه لا يعرف أين هو " .

سأل الأستاذ مَكْ ولزي الرجل المجاور له الى حاجز المشرب : " ما هي الخرخرة القديمة ؟ " أخبره الرجل .

قال الاستاذ مَكْ ولزي : " أتساءل عن الإشتقاق اللغوي لهذه الكلمة " .

قال الرجل : " لا أعرف . أنا أسمع دائماً بأنها تدعى الخرخرة القديمة منذ أول دخولي في الجيش " . يدعوها البعض خرخرة / الزهري . لكنهم يدعونها عادة بالخرخرة القديمة " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " أود أن أعرف . أغلب تلك المصطلحات كلمات إنجليزية قديمة " .

سأل المحارب القديم المجاور للأستاذ مَكْ ولزي شخصاً آخر : " لِمَ يدعونها الخرخرة القديمة ؟ "

ـ " لا أعرف " .

لم يبد أن أحداً يعرف ، لكنهم استمتعوا بجو نقاش علمي جاد عن فقه اللغة وتاريخها .

وصل رِتشارد جوردون إلى جوار الأستاذ مَكْ ولزي أمام حاجز المشرب الآن . فحين نشب القتال بين الأحمر وبوتشي ، دُفع إلى هناك ولم يقاوم الحركة .

قال له الأستاذ مَكْ ولزي : " مرحباً . تريد كأساً ؟ "

قال رِتشارد جوردون : " ليس معك " .

قال الأستاذ ولزي : " أعتقد أنك على حق . هل رأيت طيلة حياتك شيئاً كهذا ؟ "

قال رِتشارد جوردون : " لا " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " إنه غريب جداً . إنهم مدهشون . أنا آتي دائماً إلى هنا ليلاً " .

ـ " ألا تتعرض لمتاعب ؟ "

ـ " لا . لماذا أتعرض ؟ "

ـ " عراك سكارى ؟ "

ـ " لم يبد أنني تعرضت لأية متاعب " .

ـ " أراد صديقان من أصدقائي ضربك ضرباً مبرحاً قبل دقائق معدودة " .

ـ " نعم " .

ـ " ليتني تركتهما يفعلان " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي بطريقته الغريبة في الكلام : " لا أظن أن هذا سيغير من الأمر شيئاً . إن كنت أزعجك بوجودي هنا ، بوسعي الخروج " .

قال رتشارد جوردون : " لا . أحب أن أكون إلى جوارك " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " نعم " .

سأله رتشارد جوردون : " هل سبق وتزوجت ؟ "

ـ " نعم " .

ـ " ماذا حدث ؟ "

ـ " ماتت زوجتي في وباء الإنفلونزا في ١٩١٨ " .

ـ " لِمَ تريد أن تتزوج ثانية الآن ؟ "

ـ " أرى أن حالي ستتحسن بالزواج الآن . أظن أنني ربما سأكون زوجاً أفضل الآن " .

ـ " لذلك التقطت زوجتي " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " نعم " .

قال رِتشارد جوردون : " اللعنة عليك " ، وضربه على وجهه .

قبض أحد الأشخاص على ذراعه . نفضها وحررها ، فضربه أحد الأشخاص ضربة صاعقة خلف أذنه . رأى وجه الأستاذ مَكْ ولزي أمامه وهو لا يزال واقفاً أمام حاجز المشرب ووجهه أحمر وعيناه ترمشان . كان يمد يده ليأخذ كأس بيرة أخرى بدل الكأس الذي دلقه جوردون ، وأرجع رِتشارد جوردون ذراعه إلى الخلف ليضربه ثانية . حين فعل ذلك ، إنفجر شيء خلف أذنه مرة أخرى وتوهجت كل الأنوار ثم دارت وانطفأت بعدئذ .

ثم وقف في فتحة باب مشرب فردي . كان رأسه يطن ، وكانت الغرفة المزدحمة غير ثابتة وتدور دوراناً خفيفاً ، أحس بغثيان في معدته . رأى الجمهور ينظر إليه . كان الشاب عريض الكتفين يقف إلى جواره . كان يقول : " إسمع ، أنت لا تريد أن تثير أية متاعب في هذا المشرب . لقد وقع ما يكفي من العراك هنا مع أولئك المخمورين " .

سأل رتشارد جوردون : " من ضربني ؟ "

قال الشاب العريض : " أنا ضربتك . ذلك الرجل زبون دائم هنا . عليك أن تهون عليك . عليك ألاّ تعارك أحداً هنا " .

رأي رِتشارد جورودن ، وهو يقف مترنحاً ، الأستاذ مَكْ ولزي يقترب منه ويبتعد عن الجمهور الواقف أمام حاجز المشرب . قال : " آسف . لم

أرد أن يضربك أحـد . أنا لا ألومك على ما تحس به " .

قـال رِتشـارد جـوردون " لعنك الله " ، وأخـذ يتقدم منه . كان هذا آخر مـا تذكـر فـعله ، فقد انقض عليه الشاب العريض ، وقد أحنى كتفيه قليلاً ، ثم ضربه ضربة سريعـة مـرة أخـرى ، فـوقع على أرضيـة الأسمنت على وجهه هذه المرة . التـفت الشاب العريض إلى الأستاذ مَكْ ولزي . قال له بأريحية : " أطمئن يا دُك . لن يزعجك الآن . ما به على أية حال ؟ "

قـال الاسـتـاذ مَكْ ولزي : " لا بد أن آخـذه إلى البيت . هل سيكون بخير ؟ "

ـ " بالتأكيد " .

قـال الاسـتـاذ مَكْ ولزي : " ساعدني على حمله إلى سيارة أجرة " . حملا رِتشـارد جـوردون بينهما وسـائق الأجـرة يسـاعدهما ، ثم وضعاه في سيارة أجرة قديمة الطراز .

سأل الأسـتاذ مَكْ ولزي : " أنتَ متأكد من أنه سيكون بخير ؟ "

ـ " شُدَّ أذنيـه جـيـداً حين تريد أن تعـيده إلى وعيه . صـبّ عليـه بعـض الماء . إنتبـه إلى أن لا يتـعـارك حين يستعيد وعيه . لا تدعـه يمسـك بـك يا دُك " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " لا " .

استـقـر رأس جـوردون على زاوية حادة في مؤخرة سيارة الأجرة وكان يطلق ضـجـة مخمـورة صارة حين كان يتنفس . وضع الأستاذ مَكْ ولزي ذراعه تحت رأسـه وأمسك به حتى لا يصدم المقعد .

سأله سائق السيارة : " الى أين نذهب ؟ "

قـال الأستاذ مَكْ ولزي : " الى الجانب الآخر من المدينة . وراء المنتزه . سّر في الشارع من المحل الذي يبيعون فيه سمك البوري " .

قال السائق : " ذلك هو الطريق الصخري " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " نعم " .

حـالما مـروا بأول مـقـهى في أعلى الشـارع ، طلب الأسـتاذ مَكْ ولزي من السـائق أن يتوقف . أراد أن يدخل مقهى ويشتري بعض السجائر منه . وضع رأس رِتـشـارد جـوردون عـلى المقـعـد بعناية ثم دخل المقـهى . حين خـرج من المقـهى ليركب سيـارة الأجرة ، كان رِتشارد جوردون قد اختفى .

سأل الأستاذ السائق : " أين ذهب ؟ "

قال السائق : " ذاك هو ، في أعلى الشارع " .

ـ " إلحق به " .

حالما وصلت سيارة الأجرة اليه ، خرج الأستاذ مَكْ وولزي منها وسار متجهاً نحو جوردون الذي راح يمشي مترنحاً على الرصيف .

قال : " تعال يا جوردون . سنعود إلى البيت " .

نظر رتشارد جوردون إليه . قال وهو يتمايل : " نحن ؟ "

ـ " أريدك أن تعود إلى البيت في هذه السيارة " .

ـ " إذهب أنت إلى الجحيم " .

قال الأستاذ ماك ولزي : " ليتك تأتي . أريدك أن تصل إلى البيت سالماً " .

قال رتشارد جوردون : " أين عصابتك ؟ "

ـ " أيّة عصابة ؟ "

ـ " عصابتك التي ضربتني وأفقدتني الوعي " .

ـ " ذلك كان بلطجي المشرب . لم أعرف أنه كان سيضربك " .

قال رِتشارد جوردون : " أنت تكذب " . وجه ضربة نحو الرجل الأحمر الوجه المنتصب أمامه وأخطأه . إنزلق الى الأمام ساقطاً على ركبتيه ونهض ببطء . كشطت ركبتاه ودميتا من رصيف المشاه ، لكنه لم يحس بها .

قال بصوت منكسر : " تقدم وقاتلني " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " أنا لا أقاتل . إنْ أنت ركبت سيارة الأجرة فسأتركك وشأنك " .

قال رِتشارد جوردون : " إذهب إلى الجحيم " . وبدأ السير في الشارع .

قال سائق سيارة الأجرة : " دعه يذهب . إنه بخير الآن " .

ـ " هل ترى بأنه سيكون بخير ؟ "

قال سائق سيارة الأجرة : " جحيم . إنه في أحسن حال " .

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " أنا قلق عليه " .

قال سائق سيارة الأجرة . " لن تستطيع إدخاله السيارة دون أن تقاتله . دعه يذهب . إنه في حال حسنة . هل هو أخوك ؟ "

قال الأستاذ مَكْ ولزي : " بطريقة ما " .

راقب رتشارد جوردون يمشي مترنحاً في الشارع إلى أن اختفى عن الأنظار في ظل الأشجار الكبيرة التي انحنت فروعها وانغرزت في الأرض كالجذور . ما كان يفكر فيه ، وهو يراقبه ، لم يكن تفكيراً يسر النفس . فكر : خطيئة قاتلة ، خطيئة خطيرة ومهلكة وقسوة بالغة ، ولن أستطيع الصفح عن نفسي بسببها أبداً ، فبينما قد يسمح دين الانسان فنياً بنتيجتها النهائية إلاّ أنني لن أستطيع الصفح عن نفسي . من جهة أخرى ، يستطيع جرّاح التوقف عن

عـمله أثناء إجـراء عملية خشية أن يؤذي المريض . لكن ، لماذا يجب أن تجري كل العـمليات في الحيـاة دون مخدّر ؟ لكن ، لو كنت رجلاً أفضل ، لسمحت له أن يضربني ضرباً مبرحاً . لكان ذلك أفـضل له . الرجل المسكين الأبلة . الرجل المسكين المشرد . يجب أن أبقـى مـعـه ، لكنني أعـرف أن هذا أكثر مما يمكنه أن يحتمله . أنا خـجل ومشـمئز من نفـسي وأكره ما فعلته . قد يسفر الأمـر كله عن وضع سيء أيضـاً . لكن ، يجب ألا أفكر بذلك . سأعود الآن إلى المخـدّر الذي اسـتـعـملتـه مـدة سـبع عشرة سنة ولن أحتاج إليه كثيراً بعـد ذلـك . بـالـرغم من أنه قـد يكون رذيلة أسـتنبط له الذرائع الآن فـقط . لكنه على الأقل رذيلة أنا مناسب لها . لكنني أتمنى أن أسـاعـد ذلك الرجل المسكين الذي أرتكب أنا خطأ بحقه .

قال للسائق : " عد بي إلى مشرب فردي " .

فصل ١٥

كان زورق خفر السواحل المسلح الذي يجر المحارة الملكة يدخل قناة الصقر بين الشعاب الصخرية والجزر الواطئة . علا الزورق المسلّح متمايلاً على أمواج قصيرة متلاطمة عند التقاطع أثارتها ريح الشمال الخفيفة أمام سد الطوفان ، لكن القارب الأبيض كان يجر بسهولة ويسر .

قال قبطان خفر السواحل : " سيكون القارب في أمان إنْ لم تهب ريح عنيفة . وسيجر الزورق القارب على نحو جيد أيضاً . فشركة روبي تلك تصنع زوارق جيدة . هل فهمت شيئاً من الشهقات التي كان يرددها ؟ "

قال وكيل القبطان : " لم يبين أي معنى . إنه فاقد الوعي " .

قال القبطان : " أظن أنه سيموت حقاً ، بعد أن أصيب في البطن على ذلك النحو . هل تعتقد أنه قتل الكوبيين الأربعة أولئك ؟ "

ـ " لن تعرف . سألته لكنه لم يفهم ما قلته " .

ـ " هل نذهب إليه ونتكلم معه ثانية ؟ "

قال القبطان : " لنلقِ نظرة عليه " .

بعدما تركا الرئيس البحري أمام عجلة القيادة يحرك المنارات ويضيء القنال بالأشارات ، دخلا قمرة القبطان من وراء بيت الآلات . تمدد هاري مورجان على السرير المصنوع من أنابيب الحديد . كانت عيناه مغمضتين ، لكنه فتحهما حين لمس القبطان كتفه العريض .

سأله القبطان : " كيف حالك يا هاري ؟ " نظر إليه هاري ولم يتكلم .

سأله القبطان : " هل نأتيك بأي شيء يا فتى ؟ "

نظر اليه هاري موجان .

قال وكيل القبطان : " إنه لا يسمعك " .

قال القبطان : " هاري ، هل تريد أي شيء يا فتى ؟ "

بلل فوطة في قنينة الماء موضوعة على حامل البوصلة إلى جانب السرير ورطب شفتيي هاري مورجان المشققتين عميقاً . بدتا جافتين وسوداوين . بدأ هاري مورجان يتكلم وهو ينظر اليه . قال : " الرجل " .

قال القبطان : " بالتأكيد . تابع " .

ـ قـال هـاري مـورجـان ببطء شـديد . " الرجل ، لا يصل إلى أي مكان لم يصل الى أي مكان لا يستطيع حقاً لا يوجد أي منفذ " . كف عن الكلام . خلا وجهه من أي تعبير حين تكلم .

قـال القبطان : " تابع يا هاري . قل لنا مَنْ فعل هذا . كيف حدث هذا يا فتى ؟ "

قـال هاري مـورجـان ناظراً بعينيه الضيقتين على الوجه العريض عالي عظام الوجنتين محاولاً إخباره الآن . " الرجل " .

قـال القـبطان محاولاً مـسـاعـدته : " أربعـة رجـال " . رطب شـفتيه مرة أخـرى ، عاصراً الفوطة لتسقط بضع قطرات بينهما .

صحح هاري : " الرجل " ؛ ثم سكت .

قال القبطان : " حسناً ، الرجل " .

قـال هاري ثانية بصوت سطحيّ وببطء شديد وهو يتكلم من فمه الجاف : " الرجل . حـسـبما تسير الأمـور الآن وحـسب الطريقـة التي تسير بها الأمور مهما كانت الأمور مخالفة لذلك " .

نظر القـبطان الى وكيله وهزّ رأسه .

سأل وكيل القبطان : " مَنْ فعل هذا يا هاري ؟ "

نظر هاري اليه .

قـال : " لا تخـدع نـفـسك " . إنحنى القـبطان ووكـيله عليـه . ها هي الحـقـيـقـة تتكشف . " كـمحاولة المرور بسيارات على قمة التلال . على ذلك الـطريق في كـوبا . على أي طريق . في أي مكان . على ذلك النحـو تمامـاً . أعني كـيف تسير الأمـور . الطريقة التي ظلّت تسير حسبها . فهي لوهلة نعم مـؤكـد هي على مـا يـرام . لعلـه مـع حسن حظ . الرجل " . صمت . هز الـقـبـطان رأسـه مـشيراً لوكـيله مـرة أخـرى . نظر اليـه هاري مـورجـان نظرة سطحـية . بلل القبطان شفتيّ هاري ثانية . فتركتا علامة دامية على الفوطة .

قـال مورجان ناظراً اليهما معاً : " الرجل ، لن يصل الرجل الواحد وحده لن يصل . لا أحـد وحـده " . صـمـت . " مـهما كان وضع الرجل وحده ، فلن تتاح له أية فرصة دموية " .

أغـمض عـينيه . استغرق وقتاً طويلاً ليصل إلى هذه الحقيقة وأستغرق كل حياته ليتعلمها .

تمدد هناك وعيناه مفتوحتان ثانية .

قـال القـبطان لوكيلـه : " تعـال " . ثـم خاطـب مورجـان : " هل أنتَ متأكد من أنك لا تريد شيئاً يا هاري ؟ "

نظر اليـه هاري مورجان لكنه لم يجب . لقد أخبرهما ؛ لكنهما لم يسمعا .
قال القبطان : " سنعود ، هون عليك يا فتى " .

راقـبهما هاري مورجان وهما يخرجان من القمرة .

في المقـدمة في حجرة العجلات ، وبينما راحا يراقبان الظلام يحل على الكون ويشـاهدان نور سومبريرو يشرع في الإنتشار فوق البحر ، قال وكيل القبطان : " يثير أعصابك وهو فاقد الوعي على ذلك النحو " .

قـال الـقبـطان : " يا للرجل المسكين . حـسناً ، سنصل المرفأ بعـد فترة قـصيرة . سنوصله إلى البر بعـد وقت قـصير من منتصف الليل . إذا لم نضطر للتباطؤ بسبب جر ذلك القارب " .

ـ " أتظن أنه سيعيش ؟ "

قال القبطان : " لا .. لكنك لا تعرف هذا أبداً " .

فصل ١٦

تجمهر العديد من الناس في الشارع المعتم خارج البوّابة الحديدية التي
مدخل قاعدة الغواصات القديمة المحوّلة إلى حوض يخوت . كان ا-
الكوبي قد تلقى أوامر بألاّ يسمح لأيّ شخص بالدخول الى الحوض ،
الجمهور راح يضغط على السياج لينظر من خلال قضبان الحديد الى الـ
المسيّجة المعتمة والمضاءة مع امتداد الماء بأنوار اليخوت الراسية على الأ
الأصبعية . كان الجمهور هادئاً كما يمكن أن يهدأ جمهور جزر و
الواطئة . وشق أصحاب اليخوت طريقهم بين الجمهور ، دافعين ا
بمرافقهم ، نحو البوابة وإلى مسافة قريبة من الحارس .

قال الحارس : " هيه ، لا يمكنكم الدخول " .

ـ " يا للجحيم . نزلنا من يخت " .

قال الحارس : " المفروض ألاّ يدخل أحد . عودوا " .

قال أحد أصحاب اليخوت : " لا تكن أبلة " ، ودفعه ليص
الطريق نحو رصيف المرفأ .

خلفهم ، احتشد جمهور خارج البوابات ، حيث وقف الحارس
الحجم منزعجاً وقلقاً بطاقيته وشاربه الطويل وسلطته المزعزعة ، متم
كان لديه مفتاح لقفل البوابة الضخمة ، وفيما هم يسيرون صاعدين
ونشاط على الطريق المنحدر الذي رأوه أمامهم ، مروا بمجموعة من الر
المنتظرين على رصيف خفر السواحل . لم يلتفتوا اليهم بل ساروا على الر
مروراً بالأرصفة حيث ترسو اليخوت الأخرى حتى وصلوا إلى الرص
رقم ٥ ، ثم ساروا ، تحت وهج نور فياض ، على الرصيف حيث يحط
خشب العبور من رصيف الخشب الخشن إلى سطح نيو إكزيوما ٢ المصنو
خشب التيك . جلسوا في القمرة الرئيسية على كراسٍ جلدية إلى جانب
طويلة نشرت عليها مجلات ، وقرع أحدهم الجرس طالباً مضيف اليخت

قال له : " ويسكي وصودا . وأنتَ يا هنري ؟ "

قال هنري كاربنتر : " نعم " .

ـ " ماذا كان أمر ذلك الجحش السخيف عند البوابة ؟ "

قال هنري كاربنتر : " ليست لدي أية فكرة " .
أحضر المضيف المرتدي جاكته بيضاء كأسين .
قال صاحب اليخت الذي كان اسمه والاس جونستون : " أدِر تلك الأسطوانات التي أخرجتها بعد العشاء " .
قال المضيف : " أخشى أنني أعدتها الى مكانها يا سيدي " .
قال والاس جونستون : " اللعنة عليك . أدِر ألبوم باخ الجديد إذن " .
قال المضيف : " حسن جداً يا سيدي " . اتجه إلى خزانة الإسطوانات وأخرج ألبوماً واتجه به إلى الحاكي . أدار إسطوانة الـ سارإباند .
سأله هنري كاربنتر : " هل رأيت تومي برادلي اليوم ؟ لقد رأيته حينما هبطت الطائرة هنا " .
قال والاس : " لا أحتمله . لا هو ولا تلك العاهرة زوجته " .
قال هنري كاربنتر : " أحب هِلين . إن الوقت معها ممتع " .
ـ " هل حاولت هذا ؟ "
ـ " طبعاً . مدهش " .
قال والاس جونستون : " لا اقترب منها مهما كان الثمن . لماذا تقيم هي بحق الله هنا ؟ "
ـ " لديها مكان جميل " .
قال والاس جونستون : " حوض يخوت صغير نظيف . هل صحيح أن تومي برادلي عنين ؟ "
ـ " لا أظن هذا . أنتَ تسمع ذلك عن كل شخص . إنه ببساطة ، متفتح العقل " .
ـ " تفتح العقل ممتاز . يقيناً هي متفتحة إنْ وجدت أية امرأة متفتحة في هذه الحياة " .
قال هنري كاربنتر : " إمرأة لطيفة جداً . ستستلطفها يا والي " .
قال والاس : " لن أحبها . هي تمثل كل ما أكرهه في المرأة ، ويلخص تومي برادلي كل شيء أكرهه في الرجل " .
ـ " أنتَ حاد المشاعر جداً هذه الليلة " .
قال والاس جونستون : " أنت لا تكون حاد المشاعر قط لأنك تفتقر إلى الثبات ، وأنت لا تستطيع أن تستقر على رأي . كما أنك لا تعرف حتى من أنت " .
قال هنري كاربنتر : " لنكفّ عن الكلام عني " . وأشعل سيجارة .
ـ " لماذا ؟ "

ـ " حسناً ، لسبب وحيد هو أنني أركبِ معك في يختك الدموي ، وطيلة نصف الوقت على الأقل ، أقوم بما تريد أنتَ أن تقوم به ، وذلك يوفر عليك دفع المال الذي يبتزه منكِ صبيان الحافلات والبحارة ، وهذا وذاك من الأشخاص الذين تعرف مَنْ هم ويعرفون مَنْ أنت " .

قال جونستون والاس : " أنت في مزاج رائق ، وأنت تعرف أنني لا أدفع مال ابتزاز " .

ـ " لا . أنت أبخل من أن تذفع ، فلديك أصدقاء على شاكلتي بدلاً من ذلك " .

ـ " ليس لدي أي أصدقاء آخرين مثلك " .

قال هنري : " لا تكن فاتناً . لن أحتمل هذا في هذه الليلة . إذهب وأدر إسطوانة باخ وأشتم مضيفك واشرب أكثر من اللازم قليلاً وأوِ إلى الفراش " .

قال الآخر وهو يقف : " ماذا أصابك ؟ لماذا أصبحت نكداً لعيناً إلى هذه الدرجة ؟ أنت لست صفقة كبيرة الى هذا الحد ، وأنت تعرف هذا " .

قال هنري : " أنا أعرف . سأكون مرحاً إلى درجة رائعة غداً . لكن الليلة ليلة سيئة . ألم تلاحظ أي فرق بين الليالي ؟ أعتقد أنك حين تكون غنياً تماماً فلن يكون هناك فرق " .

ـ " أنت تتكلم كتلميذة مدرسة " .

قال هنري كاربنتر : " تصبح على خير . لستُ تلميذة مدرسة ولا تلميذ مدرسة . سآوي إلى الفراش . سيكون كل شيء بهيجاً جداً في الصباح " .

ـ " ماذا خسرت ؟ هل ذلك ما يجعلك كئيباً الى هذا الحد ؟ "

ـ " خسرت ثلاثمائة " .

ـ " أنت ترى ؟ قلت لك أن ذلك هو السبب " .

ـ " أنت تعرف دائماً ، أليس كذلك ؟ "

ـ " لكن اسمع . خسرتَ أنت ثلاثمائة " .

ـ " لقد خسرت أكثر من هذا " .

ـ " كم أكثر ؟ "

قال هنري كاربنتر : " الجائزة الكبرى . الجائزة الكبرى الأزلية . أنا ألعب على آلة لم تعد تقدم جوائز كبرى . حدث وفكرت في هذا الليلة فقط . أنا لا أفكر في هذا عادة . والآن ، سآوي إلى الفراش حتى لا أضجرك " .

ـ " أنتَ لا تضجرني . لكن حاول فقط ألاّ تكون فظاً " .

" أخشى أن أكون فظاً وأنت تضجرني . تصبح على خير . سيكون كل

شيء على ما يرام غداً " .
ـ " أنت فط لعين " .
قـال هنري كـاربنتر : " إقبَل هذا أو ارفـضه . ظللت أقوم بكلا الأمرين معاً طيلة حياتي " .
قـال والاس جـونستون والأمل يحدوه : " تصبح على خير "
لم يجب هنري كاربنتر . كان يصغي الى باخ .
قـال والاس جـونسـتـون : " لا تأوِ إلى الفـراش على ذلـك النحو . لِـمَ أنت مزاجياً إلى هذا الحد ؟ "
ـ " كف عن هذا " .
ـ " لماذا ؟ لقد رأيتك تشفى من هذا من قبل " .
ـ " كف عن هذا " .
ـ " إشرب كأسـاً وأنعش نفسك " .
ـ " لا أريد كأساً والكأس لن تنعش نفسي " .
ـ " حسناً ، إذهب إلى السرير إذن " .
قال هنري كاربنتر : " سأذهب " .
على ذلك النحـو كـانت تسير الأمـور في تلك الليلة على ظهـر اليـخت نيو إكزيوما ٢ الذي يعـمل فـيه طاقم من إثني عشر بحاراً والقبطان نِلز لارسـون ، وعلى ظهـرها والاس جونسون ، صاحبها ، ٣٨ سنـة ، ماجستيـر من جامعـة هارفـارد ، مـؤلف مـوسيـقي ، مصدر المال من مصانع الحرير ، غير متزوج ، interdit de sejour ممنـوع مـن الإقـامـة في باريس . معروف تماماً مـن الجزائر العاصمـة الـى بِسكـرة ، ومعـه ضيـف واحـد هـو هنـري كـاربنتـر ، ٣٦ ، مـاجـستير من هارفـارد ، دخلـه الآن مائتا دولار شهرياً كأموال إئتمانية عادت اليـه من أمـه ، وكـان دخله في السابق : أربعمائة وخمسين دولاراً شهريـاً إلى أن غير المصرف ، مـدير أمـوالـه الإئتمانيـة ، ورقـة مالية جيدة بورقة مالية جيدة ، ثم بأوارق مـاليـة ليست جيدة إلى الحد الذي كانت عليه في السابق ، ثم غيرها أخيراً إلى أسـهـم عـادية ، في مـبنى مكاتب يسـتـثمره المصرف ، ولم تدفع تلك الأسهم مالاً قط . وقبل انخفاض دخله ذلك بمدة طويلة ، قيـل عـن هنـري كاربنتر إنه لو أسقط من ارتفاع ٥٥٠٠ قـدمـاً دون مظلـة لهـبط بأمـان وركبتـاه تحت طاولة أحـد الأغنيـاء . لكنه قـدّم الكثير مع صـحـبتـه الطيـبـة مـقابـل استـضـافتـه ، ولما كـان قد شعر وعبر عن نفسه مؤخراً ونادراً فقط ، كما فعل الليلة ، أحس اصـدقـاؤه لبـعض الوقت بأنـه يتـمـزق . ولو لم يحس أصدقاؤه بتـمـزقـه ، بغـريزتهم تلك في اكـتـشـاف خطأ في عـضـو من أعضاء مجموعتهم

وبرغبتهم الصحية تلك في طرد هذا العضو من المجموعة ، وحين يكون من المستحيل تدميره ، وهي ميزة يتميز بها الاغنياء ؛ لما تنازل وقبل ضيافة والاس جونستون . على ذلك النحو ، كان والاس جونستون ، برغباته الخاصة إلى احد ما ، ملجأ هنري كاربنتر الأخير ، فراح يدافع عن وضعه على نحو أفضل مما كان يعرف ، بالرغم من رغبته الصادقة في وضع نهاية لعلاقتهما ، كما تآمرت وحشية التعبير وعدم إستمرارية المهمة وأغرتا الشخص الآخر ، لو كان بعمر كاربنتر ، في أن يضجر من الإذعان المطرد . وهكذا أجّل هنري كاربنتر إنتحاره الحتمي لمدة أسابيع إن لم يكن لمدة شهور .

كان المال الذي لم يكن يستحق أن يعيش من أجله يزيد مائة وسبعين دولاراً شهرياً عن المبلغ الذي كان الصياد آلبرت ترايسي يعيل به أسرته عند موته قبل ثلاثة أيام .

على ظهر البخوت الأخرى الراسية على أرصفة أصبع ، وجد أناس آخرون يعانون من مشاكل أخرى . فعلى أحد أكبر اليخوت ، وهو مركب جميل أسود بثلاث صوار يديره ثلاثة ربابنة ، أقام سمسار حبوب في الستين من عمره يقظ وقلق بسبب تقرير أستلمه من مكتبه حول أنشطة محققين من مكتب الضرائب الداخلية . في العادة ، كانت جرعات كبيرة من الويسكي سكوتش ستهدىء من قلقة في مثل هذا الوقت من الليل ، فيصل إلى مرحلة يصبح فيها حشناً ولامبالياً بالعواقب قدر خشونة ولامبالاة الأخوان كبار السن سكان الساحل ، أولئك الذين يشترك معهم كثيراً في الشخصية وفي معايير السلوك . لكن طبيبة كان قد منعه من تناول الشراب لمدة شهر ، لمدة ثلاثة أشهر بالضبط ، أي أنهم قالوا إن الشراب سيقتله خلال سنة إن لم يتخل عن الكحول مدة ثلاثة أشهر على الأقل ، لذلك كان سيبتعد عنه مدة شهر ؛ وها هو الآن قلق من المكالمة التي تلقاها من مكتب الضرائب قبل أن يغادر المدينة ، وقد سألوه الى أين كان سيسافر بالضبط وعما إذا كان يخطط لمغادرة مياه الولايات المتحدة الساحلية .

تمدد الآن ، في منامته ، على السرير العريض ومخدتان تحت رأسه ، وقد أضاء نور القراءة ، لكنه لم يستطع أن يبقى ذهنه مع الكتاب الذي كان وصفاً لرحلة إلى جَلاباجوس . لم يكن يأخذ الكتب إلى سريره في الأيام الماضية . فقد كان يقيها في قمرات السفينة ثم يأوي إلى سريره بعد ذلك . فقد كانت هذه غرفته الخاصة ولها خصوصية مكتبه . وهو لم يرغب في إمرأة داخل غرفته هذه أبداً . فحين يرغب في إحداهن كان يذهب إلى غرفتها هي ، وحين ينتهي منها ينتهي منها فعلاً ، والآن ، وبعد أن انتهى نهائياً ، تحوّل عقله الى

نفس البرود الصافي الذي كان عليه دائماً في الأيام الماضية بعد زوال التأثير عليه . وتمدد الآن ، دون أن تغشي رؤيته أية غشاوة وقد ضن على نفسه بكل تلك الشجاعة الكيميائية التي هدأت عقله وأدفأت قلبه طيلة سنين عديدة ، وتساءل عما لدى إدارة الضرائب وعما وجدته وما الذي ستعتصره ، وعما ستقبله كأمر طبيعي ، وعما ستصر على اعتباره تهرباً ؛ لم يكن خائفاً من موظفي الإدارة ، بل كان يكرههم فقط ويكره السلطة التي سيستعملونها بوقاحة كبيرة إلى درجة أن كل وقاحته القاسية الصغيرة الخشنة المستديمة ، الوقاحة الدائمة التي اكتسبها والتي كانت فعالة في حياته حقاً ، ستخترق وستهشم أيضاً إنْ هو شعر بالخوف .

لم يفكر بأية تجريدات ، لكن في صفقات ، في مبيعات ، في تحويلات ، في هدايا . فكر في الأسهم ، في رزم البضاعة الضخمة في آلاف البوشلات ، في الخيارات ، في الشركات القابضة ، في التروستات ، في المؤسسات الفرعية ، وحين فحصها ، عرف أن فيها الكثير ، ما يكفي بأن يبعد السلام عنه مدة سنين . وإذا لم تقم إدارة الضرائب بالمصالحة ، فسيصبح الأمر سيئاً جداً . في الماضي ، لم يكن ليقلق ، لكن العنصر المقاتل والعناصر الأخرى فيه تعبت الآن ، وكان وحيداً مع كل هذا ، فتمدد على السرير الكبير الواسع دون أن يستطيع أن يقرأ ولا أن ينام .

لقد طلقته زوجته قبل عشر سنوات وبعد عشرين سنة من المحافظة على المظاهر ، ولم يشتق اليها كما لم يحبها أبداً . لقد بدأ حياته العملية بمالها وولدت له طفلين ذكرين كان كلاهما أبلهين كأمهما . وقد عاملها معاملة حسنة إلى أن أصبحت الأموال التي كسبها ضعف رأسمالها الأصلي فأصبح ضمن إمكانياته المالية ألاّ يلتفت اليها . وبعد أن وصلت أمواله إلى ذلك الحد ، لم يعد ينزعج من نوبات صداعها المرضية ولا من شكاواها أو من خططها . فقد تجاهلها كلها .

كان يتمتع بموهبة المضاربة المالية على نحو يثير الإعجاب لأنه يتمتع بحيوية جنسية خارقة للعادة منحته الثقة في الدخول في مقامرات جريئة ؛ ويتمتع بفطرة سليمة وعقلية رياضية ممتازة وحس دائم بالشك إنما مسيطر عليه ؛ شكّ ذو حساسية نحو مصيبة وشيكة الوقوع كمقياس ضغط جوي أنيرويدي دقيق ؛ ويتمتع باحساس صحيح بالزمن منعه من محاولة الوصول إلى القمم أو القيعان . واقترنت كل هذه الصفات بالإفتقار إلى الأخلاق ، وبقدرة على حَمْل الناس على الميل اليه دون أن يميل اليهم أو يثق بهم بالمقابل ، بينما يقنعهم في نفس الوقت بوده وصداقته الحارة والقلبية لهم ؛

صداقة لم تكن مجردة من المصلحة ، لكنها صداقة مهتمة بنجاحهم الى حد أدى تلقائياً إلى أن يصبحوا شركاء جريمة معه ؛ وبعجز عن الشعور بتأنيب الضمير أو الشعور بالرثاء ، مما أوصله إلى حيث هو الآن . وحيث هو الآن يتمدد في منامة حريرية مخططة تغطي صدره صدر الرجل العجوز المكرمش ، وتغطي بطنه الصغير المنتفخ ، وجهازه الضخم ، غير المتكافىء مع حجم جسمه ، والذي كان مجال فخره في وقت من الأوقات ، وتغطي رجليه الصغيرتين الرخوتين ، يتمدد على السرير وهو عاجز عن الإستغراق في النوم لأنه أخيراً راح يحس بالندم .

كان ندمه هو تفكيره فقط بأنه لو لم يكن ذكياً قبل خمس سنوات الى ذلك الحد ، لدفع الضرائب حينذاك دون أي تلاعب ، ولو أنه دفعها حينذاك لكان على ما يرام الآن . لذلك تمدّد مفكراً في ذلك وأخيراً نام ؛ لكن ، ولأن الندم كان قد وجد الشق وأخذ ينز منه داخلاً إلى نفسه ، لم يعرف أنه نام ، فعقله واصل عمله كما كان يعمل وهو مستيقظ . لذلك لن تحلّ عليه أية راحة ، كما لن يستغرق الندم ، وهو في عمره ذلك ، وقتاً طويلاً حتى يتمكن منه ويقضي عليه .

لقد دأب على القول بأن المغفلين فقط هم الذين يحسون بالقلق . وقد تجنب هو الإحساس بالقلق الآن إلى أن عجز عن النوم . قد يتمكن من أن يستمر في تجنب الاحساس به إلى أن ينام ، لكن الندم يتسرب إلى نفسه ، وحيث أنه بلغ هذا العمر فإن مهمة هذا الندم ستكون سهلة .

لا داعي لأن يقلق حول ما فعله بالناس الآخرين ، ولا حول ما حدث لهم بسببه ، ولا كيف انتهوا ؛ الناس الذين انتقلوا من بيوتهم في شاطىء البحيرة ليسكنوا في نزل خارج البلدة في أوستن ، والذين تعمل بناتهم اللواتي يدخلن المجتمع لأول مرة كمساعدات أطباء أسنان ، هذا إنْ وجدن أية وظيفة ؛ والذي انتهت حياته كحارس في الثالثة والستين بعد ذلك الركن الأخير ؛ والذي أطلق النار على نفسه في صباح باكر قبل الإفطار وعثر عليه أحد أولاده ، والفوضى التي عمت المكان ؛ والذي يركب الآن حافلات عامة متجهاً من بيروين إلى عمله حين يتوفر له عمل ، محاولاً أن يبيع السندات أولاً ، ثم السيارات ، ثم الحلي والزينة والسلع الخاصة من بيت إلى بيت (لا نريد بائعين متجولين ، أخرج من هنا ، وانصفق الباب في وجهه) إلى أن نوّع السقطة المائلة التي سقطها أبوه من إثنين وأربعين طابقاً وما فوق ، بلا اندفاع ريش كما يحصل حين يسقط نسر ، وقد خطا خطوة إلى الأمام إلى خط سكة الحديد الثالث أمام قطار أورورا ـ إلجين وجيوب معطفة مليئة

بمجموعة خافقات بيض ونازعات عصير فواكه لا تُباع . إسمحي لي فقط أن أبين لكِ عملها يا سيدة . أوصليها هنا ، وشدّيّ البرغي على الجهاز الصغير هنا . وراقبي ما يحدث . لا ، لا أريده . جربي واحدة فقط . لا أريده أخرج .

وهكذا خرج إلى رصيف المشاة مع البيوت الخشبية وأفنية عارية وأشجار الـ كاتلبة العارية التي لا يريدها أحد ولا أي شيء آخر ، والتي تؤدي إلى خط سكة حديد أورورا إلجين .

سقط البعض السقوط الطويل من الشقة أو نافذة المكتب ؛ وأزهق البعض أرواحهم بهدوء في مرأب يتسع لسيارتين والمحرك يدور ؛ واستعمل بعضهم التقليد الوطني بمسدسات كولت أو سمث أو ويسون ؛ تلك الآلات جيدة الصنع التي تنهي السهاد ، وتضع حداً للندم ، وتشفي من السرطان وتجنب الوقوع في الإفلاس ، وتفجر مخرجاً من مواقف لا تحتمل بضغطة أصبع ؛ تلك الأدوات الأمريكية المدهشة سهلة الحمل ، ذات المفعول الأكيد ، والتي صممت تصميماً جيداً لتنهي الحلم الأمريكي حين يصبح كابوساً ، فيكون المنغص الوحيد الباقي هي الفوضى التي يخلفونها لأقربائهم لينظفوها ويتخلصوا منها .

لقد فتح الرجال الذين أفلسهم كل هذه المخارج المختلفة ، لكن ذلك لم يقلقه . فلابد أن يخسر أحد الأشخاص ، والمغفلون فقط هم الذين يقلقون .

لا ، لن يفكر بهم ولن يفكر بنتائج مضارباتهم الناجحة والثانوية . أنت تكسب ؛ وشخص اخر لابد أن يخسر ، والمغفلون فقط هم الذين يقلقون .

يكفيه فقط أن يفكر كم كان يحسن به ألاّ يكون على تلك الدرجة من الذكاء قبل خمس سنوات ، وستفتح رغبته في تغيير ما لم يعد يمكن الغاؤه الثغرةَ التي ستسمح للقلق بالتسرب إلى نفسه في زمن قصير في عمره هذا . المغفلون فقط هم الذين يقلقون . لكنه سيطرح القلق جانباً لو تناول كأس سكوتس بالصودا . والى الجحيم بما قاله الطبيب . لذلك يضغط الجرس طالباً كأس ويسكي سكوتش بالصودا فيحضره المضيف وهو نعسان ، وحالما يشرب الكأس ؛ لا يغدو المضارب بالبورصة مغفلاً ؛ إلاّ فيما يتعلق بالموت .

في نفس الوقت وعلى اليخت التالي ، تنام أسرة سعيدة غبية طيبة النوايا والأخلاق . فضمير الوالد نظيف وهو ينام نوماً عميقاً على جنبه ، بينما تجري سفينة شراعية سريعة تدفعها هبة ريح وقد أطرها إطار الصورة واستقرت فوق رأسه ، وضوء القراءة مضاء وكتاب ساقط إلى جانب السرير . والأم تنام نوماً عميقاً وتحلم بحديقتها ، إنها في الخمسين من عمرها

لكنهـا إمـرأة جميلة ، صـحيحة البدن ، محافظة على شكلها وتبدو جذّابة وهي نائمـة . والفـتـاة تحلم بخطيبها الذي سيصل غداً بالطائرة ، وتتقلّب في نومها وتضـحك على شيء في حلمهـا ، ودون أن تستـيـقظ ، وترفع ركـبتيها الى أن كـادتا تصـلان إلى ذقنهـا ، وتتكوّم كـقطة ، مع خـصـلات شـعـرها الشـقراء ووجـهها الجميل الناعم البشرة ، فتبدو كأمها حين كانت فتاة .

هي أسرة سـعـيدة ويحب أفرادها بعضهم بعضاً . الوالد رجل يتمتع بكبرياء مـدني ويـقـوم بـأعمال كـثيرة خـيّـرة ، وقـد عـارض حَظْر الخـمـر ، وهو ليس مـتـعـصـبـاً بل مـتـسـاهلاً ومـتـعاطفاً ومتفاهماً وليس سريع الغضب كذلك . ويتـقـاضى طاقم اليـخت رواتب جـيـدة وتقـدم اليهم أطعمة جيدة كما أن لهم مـسـاكن جـيـدة . وكلهم يقـدّرون صاحب اليخت تقديراً جيداً وعالياً ويحبون زوجـتـه وابنته . وخطيب البنت عضو أخوّة الجمجمة والعظـام يلاقـي نجاحاً باهراً وشـعـبـيـة كبيرة وهو يفكر في الآخرين أكثر مما يفكر في نفسه وهو أفضل من أن تسـتحقه أية فتاة في العالم سوى فتاة جميلة كفرانسس . ولعله أفضل من أن تسـتـحقه فرانسس أيضاً ؛ لكن قد تمر سنون قبل أن تدرك فرانسس هذا ؛ ولعلهـا لن تدرك هذا أبداً لحسن الحظ . فنادراً مـا يكون الرجـال الذين خلقوا لـيـكـونـوا صـالحـين لأخـوة الـعـظام صـالحين للسرير ؛ لكن مع فـتـاة جميلة كفرانسس ، فإن النية تعتبر ذات قيمة تبلغ قيمة العمل به .

وهـكذا ينام الكل نومـاً عـمـيـقـاً على أية حـال ، ومن أين يأتي المال الذي يسـعدون به ويستعملونه على هذا النحو الحسن والسامي ؟ يأتي المال من بيع ما يسـتـعـمله كل الناس بمـلايين القناني التي يكلف كل ربع جـالون منهـا ثلاثة سنتـات لتـبـاع القنيـة الواحـدة كـبيرة الحـجم سعة البراينت بدولار واحد وتباع القنينة مـتـوسطة الحـجم بخـمـسين سنتاً بينما تباع القنينة الصغيرة بربع دولار . لـكـن شراء القنينة الكبيرة إقـتـصـادية أكـثـر ، واذا كـسـبت عشرة دولارات في الأسـبـوع تـكون التكلفـة عليك هي نفس التكلفـة لو كنت مليـونيراً ، ويكون المنتـوج جـيـداً حـقاً . وتخدم هذه المادة ما تذكره في نشرتها وزيادة على ذلك . وسـيـسـتـمر مستعملوها الممتنون والمنتشرون في جميع أنحاء العالم في الكتابة عن اكـتـشـاف استعمالات جديدة لها ، بينما يبقى المستعملون القدامى مخلصين لها كأخـلاص هارولد تومـبكِنز ، خطيب البنت ، للجمجمة والعظام أو إخلاص سـتـانلي بالدوين لمدرسـة هارو . لن تحـدث إنتحارات حين يُكسب المال بتلك الطريقة وينام كل إنسان نومـاً عميقـاً على اليخـت ألزيـرا ٣ ، وقبطانـه جـون جـاكـسون وطاقمه المؤلـف من أربعة بحّارة ، بينما المالك وعائلته على ظهره .

عند الرصـيـف الرابع يخت يـول مجهـز بصـوارٍ وهـو بطـول ٣٤ قدمـاً وعلى

ظهره مائتان من الثلاثمائة والأربعة والعشرين أستونياً مبحرين إلى أجزاء مختلفة من أنحاء العالم في سفينتين طول كل منهما بين ٢٨ ، ٣٦ قدماً ، وكان هؤلاء الأستونيون يرسلون مقالات إلى جرائد أستونية . ولهذه المقالات شعبية كبيرة في أستونيا ويتقاضى كتابها دولاراً أو دولاراً وخمسين سنتاً لكل عمود . وهي تحتل المكان الذي تحتله أخبار البيسبول وكرة القدم في الجرائد الأمريكية وتنشر تحت عنوان : أساطير رحّالينا الجريئين . ولا يكتمل حوض يخوت في المياه الجنوبية دون وجود أستونيين إثنين على الأقل محروقيّ الجسم من الشمس ومبيضي الرؤوس من الملح ، ينتظران صكاً من مقالهما الأخير . وحين يصل الصك ، يبحران إلى حوض يخوت آخر ويكتبان أساطير أخرى . إنهما سعيدان جداً أيضاً . وهما سعيدان سعادة الذين على ظهر اليخت ألزيرا ٣ تقريباً . إنه لأمر عظيم أن تكون رحّالاً جسوراً .

وعلى ظهر اليخت إريديا ٤ ، ينام صهر محترف للأغنياء غنى فاحشاً مع عشيقته في السرير ، واسمها دوروثي ، زوجة مخرج هوليووديّ عالي الأجر ، جون هوليس ، الذي يعمل عقله على البقاء على قيد الحياة بعد اندثار كبده حتى ينتهي تماماً وهو يدعو نفسه شيوعياً ، لينقذ روحه ، فأعضاؤه الأخرى اهترأت الى حد أن محاولة إنقاذها لن تجدي . يستلقي الصهر ضخم الهيكل ، جميل الشكل على ظهره على طريقة صور الملصقات وهو يغط في نومه ، بينما دوروثي هوليس ، زوجة المخرج ، تظل مستيقظة ، فتلبس مبذلاً بيتياً وتخرج إلى ظهر اليخت وتنظر عبر ماء حوض اليخوت المعتم إلى الخط الذي يكوّنه حاجز الأمواج . الجو بارد على السطح والريح تشعث شعرها فتعيد ترتيبه إلى الخلف لتبعده عن جبهتها التي لوحتها الشمس ، وتشدّ المبذل وتحكم تجميعه حول جسدها وقد انتصبت حلمتا نهديها من البرد ، وتلاحظ أنوار قارب يقترب من خارج حاجز الأمواج . تراقب القارب يتحرك باطراد وسرعة إلى الأمام ، وعند وصوله إلى المدخل المؤدي إلى الحوض ، تضاء أنوار القارب الأمامية فتغطي الماء وتغمره على نحو يعمي بصرها عندما يمر بها ، فيظهر رصيف خفر السواحل ويضيء مجموعة الرجال المنتظرين هناك كما يضيء سواد سيارة الإسعاف الجديدة اللامعة القادمة من البيت الذي تقام فيه الجنازة ، فسيارة الإسعاف تعمل في الجنازات كعربة لنقل الموتى أيضاً .

فكرت دوروثي : أظن أنه يحسن أن آخذ بعض أقراص لومينال المنومة . لابد أن أنام قليلاً . إيدي المسكين سكران كقرادة . السكر يعني الكثير جداً له وهو لطيف جداً ، لكنه يسكر إلى درجة كبيرة حتى أنه يستغرق في النوم على الفور . إنه حلو جداً . لو تزوجت منه لأخذ يخرج مع واحدة أخرى

طبعاً ، على ما أظن . إنه حلو مع ذلك . حبيبي المسكين ، إنه سكران تماماً . آمل ألا يحس بالتعاسة في الصباح . لابد أن أذهب وأخمد هذه الموجة وأنام قليلاً . تبدو كالشيطان . أريد أن أبدو له جميلة . إنه حلو . ليتني أحضرت خادمة . لكنني لم أستطع . ولا حتى بايتس . أتساءل كيف حال جون المسكين . أوه ، إنه حلو أيضاً . آمل أن يكون في حال أحسن . كبده المسكين . ليتني كنت هناك لأعتني به . لأذهب إلى السرير وأنام قليلاً حتى لا أبدو مخيفة غداً . إدي حلو . وكذلك جون وكبده المسكين . أوه ، كبده المسكين . إدي حلو . ليته لم يسكر إلى ذلك الحد . إنه ضخم ومرح ومدهش وكل ذلك . لعله لن يسكر إلى تلك الدرجة غداً .

هبطت إلى داخل اليخت . وتلمست طريقها إلى قمرتها ، وبعد أن جلست أمام المرآة ، أخذت تمشط شعرها متخللة إياه بالفرشاة مائة مرة . ابتسمت لنفسها في المرآة وفرشاة الشعر الصلبة الطويلة تتخلل شعرها الجميل . إدي حلو . نعم ، هو حلو . ليته لم يسكر إلى تلك الدرجة . لكل الرجال عيب على ذلك النحو . انظري إلى كبد جون . طبعاً لا تستطيعين النظر إلى كبده . لابد أنه يبدو رهيباً حقاً . أنا سعيدة لأنكِ لا ترينه . لكن ، ليس في الرجل شيء قبيح . لكن طريقتهم بالنظر الى الكبد مضحكة . أظن أنه كبد ، بالرغم من ذلك أو كلى . كلى en brochette مشوية . كم كلية لدينا ؟ لدينا اثنان من كل عضو تقريباً ما عدا المعدة والرأس والقلب . والدماغ طبعاً . ها هي . ها هي مائة خبطة فرشاة . أحب مشط شعري بالفرشاة . إنه الشيء الوحيد الذي تقومين به فيفيدكِ ويسليكِ . أعني تقومين به بنفسك . أوه ، إدي حلو . إفرضي أنني دخلت إلى هناكَ . لا ، إنه سكران جداً . فتى مسكين . سآخذ حبة الـ لومينال .

نظرت إلى نفسها في المرآة . كانت جميلة على نحو غير عادي ، فلها جسم صغير رقيق جداً . فكرت : أوه ، إنه كذلك . بعضه ليس جميلاً كبقيته ، لكنني سأكون على ما يرام لوهلة . يجب أن تنامي مع ذلك . أحب أن أنام . أتمنى لو استغرقت في نوم طبيعي حقيقي جيد على النحو الذي كنت أنام فيه حين كنا أطفالاً . أظن أن ذلك هو ما يذكر عن الكبر والزواج وإنجاب أطفال ثم شرب الكثير ثم فعل كل الأشياء التي يجب ألا تفعليها . إن نمتِ جيداً فلا أعتقد أن شيئاً من هذا سيضرك . سوى الشراب كثيراً جداً على ما أظن . جون المسكين وكبده وإدي . إدي عزيز ، على أية حال . إنه جميل . يحسن بي أن آخذ قرص الـ لومينال .

كشرت لنفسها في المرآة .

قالت هامسة : " يحسن أن تأخذي حبة لومينال " . تناولت الحبة مع كأس ماء من إبريق الترموس المكسو بالكروم الموضوع على الخزانة الواقعة إلى جانب السرير .

فكرت : تجعلكِ عصبية . لكن ، يجب أن تنامي . أتساءل كيف سيكون إدي لو أننا تزوجنا . لكان تنقل من مكان إلى آخر مع فتاة أصغر سناً على ما أفترض . أعتقد أن الرجال لا يستطيعون الخروج من جلودهم أكثر مما نستطيع نحن النساء هذا . أنا أحب كثيراً جلدي ، وأنا في أحسن حال ، ولا يعني شيئاً حقاً أن أكون شخصاً آخر أو شخصاً جديداً . فالشيء نفسه سيظل كما هو ، وستحبينه دائماً إن هم أعطوك إياه . نفس الشيء ، أعني . لكنهم لم يخلقوا هكذا . إنهم يريدون إمرأة جديدة ، أو إمرأة أصغر أو إمرأة لن تكون ملك أيديهم أو إمرأة أخرى تشبه إمرأة أخرى . أو إذا كنتِ سمراء فانهم يريدون شقراء . أو إذا كنت شقراء فسيبحثون عن إمرأة حمراء الشعر . او إذا كنتِ حمراء الشعر فانهم يبحثون عن شيء آخر . إمرأة يهودية على ما أظن ، وإذا شبعوا منها فانهم سيرغبون في صينية أو ماذا تدعونهن أو ما يعرف الله ما هن . أنا لا أعرف . أو انهم يتعبون فقط ، على ما أظن . لا يمكنكِ لومهم إن كانوا جبلوا على ذلك النحو ولا يسعني إلا احتمال مكر جون الى هذا الحد حتى لم يعد نافعاً بأية حال من الأحوال . لقد كان نافعاً . كان مدهشاً . كان كذلك . كان كذلك حقاً . وإدي أيضاً . لكنه سكران الآن . أظن أنني سأنتهي وأصبح قحبة . ربما أكون قحبة الآن . أظن أنكِ لن تعرفي متى ستصبحين قحبة . أصدقاؤها الحميمين فقط سيخبرونها بهذا . لن تقرأي هذا في مقالات الصحفي مستر وينتشل . سيكون ذلك خبراً جديداً جيداً ليعلن عنه . التعهر . تعهرت السيدة جون هوليس في المدينة بعد أن أتت من الساحل . أفضل من أطفال رضع . أكثر شيوعاً على ما أظن . لكن النساء تمضين وقتاً تعيساً حقاً . كلما أحسنت معاملة الرجل وكلما زدتِ من بوحك بحبك له كلما تعب منكِ أسرع . أظن أن الرجال الجيدين جبلوا لتكون لديهم كثير من الزوجات لكن من المرهق الى حد رهيب أن تحاولي أن تكوني أنتِ نفسك العديد من الزوجات ، ثم تأخذه إمرأة بسيطة حين يتعب من ذلك . أعتقد أننا ننتهي كلنا كقحبات ، لكن غلطة مَن هذه ؟ القحبات أكثر النساء إثارة للمرح ، لكنكِ يجب أن تكوني غبية جداً حقاً حتى تكوني إمرأة جيدة . مثل هلين برادلي . إنها أغبى وأصعب مراساً وأكثر أنانية من أن تكون إمرأة طيبة . ربما أنا إمرأة طيبة . يقولون إنك لن تعرفي وأنك تظنين دائماً أنكِ لست إمرأة طيبة . لابد من وجود رجال لا يتعبون منكِ أو منه . لابد أن

يوجد رجال كهؤلاء . لكن ، مَنْ من النساء لديهن رجال كهؤلاء ؟ فالرجال الذين نعرفهم ربوا تربية خاطئة . دعينا لا نخوض في ذلك الآن . لا . ليس في ذلك . ولا نعود إلى كل تلك السيارات والى كل تلك الرقصات . ليت ذلك الـ لومينال يفعل مفعوله . لعنة الله على إدي ، حقاً . ما كان عليه أن يسكر حقاً إلى تلك الدرجة . ليس من الإنصاف حقاً . لا يسع رجل إلاّ أن يعيش حسب الطريقة التي جبل عليها لكن السكر ليس له علاقة بذلك . أظن أنني قحبة حقاً ، لكنني إن استقليت هنا الآن الليل كله ولم أستطع النوم فانني سأجن وإذا أخذت حبوباً أكثر من اللازم من تلك الحبوب اللعينة فان مشاعر بشعة تتملكني طيلة نهار غد كما قد لا تنيمكِ أحياناً وعلى أية حال سأصبح نزقة وعصبية وأكون في حال رهيبة . أوه حسناً ، قد أتناول حبوباً أكثر . أنا أكره ذلك لكن ماذا يمكنكِ فعله ؟ ماذا يمكنكِ فعله سوى المتابعة والإقدام على فعله حتى مع أن ، حتى مع أن ، حتى على أية حال ، أوه ، إنه حلو ، لا إنه ليس حلواً ، أنا حلوة ، نعم أنتِ حلوة ، أنتِ حبوبة ، أوه ، أنت حبوبة جداً ، نعم حبوبة ، وأنا لا أريد أن أكون حبوبة ، لكنني حبوبة ، أنا حبوبة الآن حقاً ، هو حلو ، لا هو ليس حلواً ، هو ليس حتى هنا ، أنا هنا ، أنا دائماً هنا وأنا التي لا يمكنها الابتعاد ، لا ، أبداً . أنتِ امرأة حلوة . أنتِ حبوبة . نعم أنت حبوبة . أنتِ حبوبة ، حبوبة حبوبة . أوه ، نعم ، حبوبة . وأنتِ أنا . هكذا هي الحال . هكذا هي الطريقة التي هي عليها . لهذا ، ماذا بشأنها دائماً الآن وخلال الآن . طوال الآن . حسناً . لا يهمني . ما الفرق الذي ستشكله ؟ ليس خطأ إنْ أنا لم أحس بالاستياء . وأنا لا أحس به . أحس فقط بالنعاس الآن وإذا استيقظت فسأفعلها ثانية قبل أن استيقظ تماماً .

استغرقت في النوم حينذاك ، متذكرة ، قبل أن تنام أخيراً ، أن تنقلب على جنبها حتى لا يستقر وجهها على المخدة . ومهما كان النعاس مسيطراً عليها ، فإنها تتذكر دائماً كم هو سيء لوجهها أن تنام بتلك الطريقة ، ووجهها مستريح على المخدة .

كان في المرفأ يختان آخران ، لكن كل مَنْ كان على ظهريهما كان نائماً أيضاً حين جر زورق خفر السواحل قارب فردي والاس ، **المحارة الملكة** ، داخلاً به إلى حوض اليخوت المعتم وربط إلى جانب رصيف خفر السواحل .

فصل ١٧

لم يعرف هاري مورجان شيئاً عما جرى حين أنزلوا محفة من الرصيف ، وقد حملها رجلان على سطح زورق خفر السواحل رمادي الطلاء تحت نور غامر خارج قمرة القبطان ، بينما رفعه رجلان آخران عن سرير القبطان وتنقلا بخطوات متعثرة ليضعاه على المحفة . ظل فاقد الوعي منذ ساعة مبكرة من المساء وقد هدّلت جثته قماش المحفة القنبيّ ودلته إلى الأسفل فيما كان الرجال الأربعة يرفعونها نحو الرصيف .

ـ " ارفعوها الآن " .

ـ " أمسكوا برجليه . لا تدعوه ينزلق " .

ـ " إرفعوها " .

أوصلوا المحفة إلى الرصيف .

سأل شريف الشرطة عندما دفع الرجال المحفة إلى داخل سيارة الإسعاف . " كيف حاله يا دكتور ؟ "

قال الطبيب : " إنه حي . ذلك كل ما يمكنك قوله " .

قال وكيل عريف الملاحين قائد زورق خفر السواحل ، وكان رجلاً قصيراً مكتنزاً يضع نظارة لمعت في النور الغامر وبحاجة إلى حلاقة لحيته . " فقد رشده أو غاب عن وعيه منذ اللحظة التي التقطناه فيها . وقد أرجعت كل جثث الكوبيين إلى اللنش ، وتركنا كل شيء على ما كان عليه . لم نلمس شيئاً . كل ما فعلناه هو أننا أنزلنا إثنين منهم إلى القمرة ، الإثنين اللذين لعلهما كانا سيسقطان من فوق القارب إلى البحر . كل شيء كما كان تماماً . المال والأسلحة النارية . كل شيء " .

قال شريف الشرطة : " تعال ، أيمكنك إلقاء نور غامر على تلك البقعة ؟ "

قال مسؤول الرصيف : " لابد أن أدخل قابس النور في المأخذ على الرصيف " . وابتعد ليحضر المصباح والسلك .

قال شريف الشرطة : " تعال " . ذهبا إلى مؤخرة القارب ومعهما مصابيح يد : " أريدك أن تريني كيف وجدتهم بالضبط . أين المال ؟ "

ـ " في ذلكما الكيسين " .
ـ " كم يوجد فيهما ؟ "
ـ " لا أعـرف . فـتـحت أحدهما فرأيت أنه يحتوي على المال فأغلقته . لا أريد لمسه " .
قـال شريف الشرطة : " ذلك تصرف سليم . ذلك سليم تماماً " .
ـ " كل شيء كما كـان في السـابق تمامـاً ، سوى أننا أنزلنا جثتين عن خزاني البنزين إلى داخل قـمـرة القـيـادة حـتى لا تتـدحـرجـان من فوق ظهر القارب وتـسـقـطـان ، ونـقلنا الثـور هاري الضـخم الى ظهـر زورق خـفـر السـواحل ووضـعـنـاه في سريري . لقـد تصـورت أنه سـينفق قـبل أن نوصله وندخل بـه المرفأ . إنه في حال جهنمية " .
ـ " ظل فاقد الوعي طيلة الوقت ؟ "
قـال الـقـبـطان : " فـقـد الوعي أولاً . لكنك لم تفـهم مـا كـان يقـوله . أصـغـينا الى الكثير مما قـاله ، لكن كلماته لم تؤدِ الى مـعنى . ثم فقـد الوعي . هـا هو مخططك . كما كـان الوضع تماماً إلاّ أن ذلك الشـخص زنجيّ المظهـر الممدّد على جنبه يستقر الآن حيث تمدد هاري في السابق . كان على المقعد فوق خـزان بنزين الميـمنة مـتـدليـاً فـوق الحتار بينما كان الأسود الآخر إلى جانبه على المقـعد الآخر ، في الجانب الأيسر ، منطرحاً على وجهه . أنظر . لا تشعل أية أعـواد ثقاب . القـارب مليء بالبنزين " .
قـال شريف الشرطة : " لابد أن توجد جثة أخرى " .
ـ " ذلك كل مـا كـان في القارب . المال في ذلك الكيس . والبنادق حيث كانت " .
قـال شريـف الـشرطة : " يحسن أن يحضر شـخص من البنك ليشرف على فتح المال " .
قال القبطان : " حسناً ، تلك فكرة جيدة " .
ـ " يمكننا أخذ الكيس إلى مكتبي وختمه " .
قال القبطان : " تلك فكرة جيدة " .
تحت النور الغـامـر ، بدت لخضرة ولبـياض اللنش لمعة جديدة . نتج ذلك عن الندى الذي غطى سطح القـارب وقـمة بيته . وبدت البقع المشظّاة جديدة من خـلال طلائهـا الأبيض . وعند مـؤخـرتة ، كـان الماء أخضر صـافـياً تحت النور بينما أخذت أسماك صغيرة تبحث عن طعام لها حول الدعائم .
في قـمـرة القـيادة ، كانت وجوه الرجال الموتى المنتفخة لامعة تحت النور ، ومطليـة بلون لَكْ بني في البـقع التي جـفّت عليـهـا الدماء . وتناثرت طلقات

عيار ٤٥ ,٠ الفارغة في قمرة القيادة وحول الموتى بينما استقرت بندقية تومبسون في مؤخرة القارب حيث كان هاري قد وضعها . وارتكزت الحقيبتان الجلديتان الرقيقتان اللتان أحضر فيهما الكوبيون المال إلى ظهر القارب على خزاني البنزين .

قال القبطان : " فكرت أن آخذ المال إلى ظهر زورق خفر السواحل أثناء جر القارب . ثم فكرت أن من المستحسن تركه هنا كما كان بالضبط طالما بقي الطقس خفيفاً .

قال شريف الشرطة : " كان تركه عملاً صائباً . ما الذي جرى للرجل الآخر ؟ آلبرت ترايسي صائد السمك ؟ "

قال القبطان : " لا أعرف . كانوا كلهم على هذا النحو ما عدا الإثنين هذين اللذين نقلناهما . أطلقت عليهم كلهم النيران ومزقتهم الرصاصات أرباً إرباً ما عدا ذلك الشخص الذي تمدد تحت العجلة على ظهره . فقد أصيب في مؤخرة رأسه . واخترقت مقدمة رأسه . أنت ترى ما فعلته به " .

قال شريف الشرطة : " إنه ذلك الذي يبدو كغلام " .

قال القبطان : " لا يبدو كأي شيء الآن " .

قال شريف الشرطة : " ذلك الضخم هناك هو الذي كان يحمل الرشاش وقتل المحامي روبرت سيمونز . ماذا تظن أنه حدث ؟ كيف أصيبوا كلهم بالرصاص بحق الشيطان ؟ "

قال القبطان : " لابد أنهم اقتتلوا . لابد أن نزاعاً نشب بينهم حول تقسيم المال " .

قال شريف الشرطة : " سنغطيهم حتى الصباح . سآخذ ذلكما الكيسين " .

وفيما هما يقفان في قمرة القيادة ، صعدت إمرأة الرصيف جرياً ومرّت بمحاذاة زورق خفر السواحل وجرى وراءها جمهور من الناس . كانت المرأة نحيلة متوسطة العمر وحاسرة الرأس وقد انحل شعرها الخنطي وسقط على رقبتها مع أنه كان لا يزال معقوداً عند نهايته . حالما رأت الجثث في قمرة القيادة ، بدأت تصرخ . وقفت على الرصيف تصرخ ورأسها يميل إلى الخلف بينما أمسكت امرأتان بذراعيها . تحلق حولها الجمهور الذي جاء وراءها وتدافع ليقترب منها ناظراً إلى اللنش .

قال شريف الشرطة : " اللعنة . مَنْ فتح لهم البوابة ؟ أحضروا شيئاً يغطي تلك الجثث ؛ بطانيات ، ملاءات ، أي شيء ، وسنخرج نحن هذا الجمهور من هنا " .

كفت المرأة عن الصراخ وخفضت نظرها نحو اللنش ، ثم رفعت رأسها ومالت به إلى الخلف وصرخت مرة أخرى .

قالت المرأة القريبة منها : " أين أخذوه ؟ "

ـ " أين وضعوا آلبرت ؟ "

كفت المرأة التي كانت تصرخ عن الصراخ ونظرت إلى اللنش مرة أخرى .

قالت : " إنه ليس هناك " . وصاحت بشريف الشرطة : " هيه ، أنتَ يا روجر جونسون . أين آلبرت ؟ أين آلبرت ؟ "

قال شريف الشرطة : " ليس على ظهر القارب يا مسز ترايسي " .

أمالت المرأة رأسها إلى الخلف وعادت تصرخ من جديد وقد تصلبت الحبال الصوتية في حلقها الأعجف وانقبضت يداها ، واهتز شعرها .

خلف الجمهور ، راح الناس يشقون طريقهم ويتزاحمون ليصلوا إلى جانب الرصيف .

ـ " تعالي . ليأتِ شخص آخر ويرى " .

ـ " سيغطونهم كلهم " .

وبالإسبانية : " دعوني أمر . دعوني أنظر . Hay Cuatro muertos . Todos son . دعوني أرى " .

راحت المرأة تصرخ الآن : " آلبرت ! آلبرت ! أوه ، يا إلهي ، أين آلبرت ؟ "

خلف الجمهور ، تراجع كوبيان شابان اقتربا من المكان ولم يستطيعا أن يخترقا الجمهور ، فخطيا إلى الخلف ، ثم جريا وشقا طريقهما إلى الأمام معاً .

تمايل خط مقدمة الجمهور وانبعج ، فسقطت عندئذ السيدة ترايسي والمرأتان اللتان كانتا تسندانها ، في منتصف إنطلاق صرخة ، وتدلين إلى الأمام في تقلقل يائس ثم سقطت السيدة ترايسي ، وهي لا تزال تصرخ ، في الماء الأخضر بينما تعلقت المرأتان الساندتان لها بقوة حتى لا تسقطان في الماء وراءها ، فأصبحت الصرخة طرطشة وفقاقيع .

غاص رجال خفر السواحل في الماء الأخضر الصافي حيث كانت السيدة ترايسي تطرطش في النور الغامر . مال شريف الشرطة دافعاً جذعه إلى الأمام في مؤخرة اللنش ودفع بخطاف قارب نحوها ، وأخيراً رفعها من الأسفل حارسان من خفر السواحل ، وسحبها شريف الشرطة من ذراعيها ورفعت إلى مؤخرة اللنش . لم يبدِ أي فرد من الجمهور حركة ليساعدها ، وفيما كان جسمها في مؤخرة اللنش يقطر ماء ، رفعت نظرها اليهم وهزت قبضتها في

وجـوههـم وصـاحـت : " أبناء حـرام . قـحبات ! " ثم ولولوت عندما نظرت في قمرة القيادة . " آلبِـر ، أين آلبِـر ؟ "

قـال شريف الشرطة ، وقـد التـقط بطانيـة ليحـيطها بها : " إنه ليس على ظهـر القـارب يا مـسـز ترايسي . حاولي أن تهدأي يا مسز ترايسي . حاولي أن تتشجعي " .

قالت السيدة ترايسي بمأساوية : " أسناني . لقد فقدت أسناني " .

قـال قـبطان زورق خـفر السواحل : " سنرفعها من الأعماق في الصباح . سنصل اليها حقاً " .

صـعـد رجـال خـفـر السـواحل إلى مـؤخرة اللنش والماء يقطر منهم . قال أحدهم . " تعالوا . لنذهب . لقد بردت " .

قـال شريـف الشرطـة محـيطاً إياها بالبطانيـة : " هل أنتِ بخير يا مـسـز ترايسي ؟ "

قـالت السـيدة ترايسي : " بخير ، بخير " . ثم كورت كلتا يديها ومالت برأسـهـا إلى الخلف لتصرخ صراخـاً حاداً . كان حزن السيدة ترايسي أعظم مما يمكنها احتماله .

أصـغى الجـمهور اليها وصمت احتراماً لمشاعرها . وأطلقت السيدة ترايسي المؤثر الصـوتي الضروري لمصـاحـبـة مـشهد رجال العصابة الموتى الذين غطاهم شريف الشرطة وأحـد وكـلائه ببطانيـات خفر السواحل ، وبذلك حجب أعظم مـشـهـد رأته المدينة منذ أن شنق الـ آيسلينيو دون محاكمة قبل سنين على طريق المقـاطعـة ثم رفع ليـتـدلى ويدوم من عمود هاتف تحت أنوار كل السيارات التي خرجت لرؤيته .

خـاب أمل الجـمـهـور حين غطيت الجثث ، لكنهم كانوا الوحيدين الذين رأوهـا من بين سكان المدينة . وقـد رأوا السـيـدة ترايسي تسـقط في الماء ورأوا ، قـبل أن يدخلوا إلى منطقـة حـوض اليـخوت ، هاري مورجان محمولاً على محفة يدخل إلى المسـتـشـفى البـحـري . وحين أمـرهـم شريف الشرطة بالخـروج من حـوض اليـخـوت ، غادروا المكان بهدوء وقد غمرتهم سعادة . لقد عرفوا مدى الأمتياز الذي حظوا به .

في أثناء ذلك ، انتظرت ميري وبناتها الثـلاث على مـقـعـد طويل في غرفة الإسـتـقـبـال في المستشفى البحري . كانت البنات الثلاث يبكين وكانت ميري تعض منديلاً . لم تتمكن من البكاء منذ حوالي الظهر .

قالت إحدى البنات لأختها : " أصيب أبي برصاصة في معدته " .

قالت أختها : " رهيب " .

قالت الأخت الكبرى : " إهدأي ، انا أصلي من أجله . لا تقاطعينني " .
لم تقل ميري شيئاً وجلست هناك فقط ، تعض منديلها وشفتها السفلى .
بعد وهلة ، خرج الطبيب . نظرت إليه فهزّ رأسه .
سألته : " أتسمح لي بالدخول ؟ "
قال : " ليس الآن " . اقتربت منه . قالت : "هل مات ؟"
ـ " أخشى أن يكون قد مات يا مسز مورجان " .
ـ " أيمكنني الدخول ورؤيته ؟ "
ـ " ليس الآن ، إنه في غرفة العمليات " .
قالت ميري : " أوه ، يا للمسيح . أوه ، يا للمسيح . سآخذ البنات إلى البيت . ثم أعود " .
انتفخ حلقها فجأة وتصلّب وانغلق حتى لم تعد تستطيع بلع ريقها .
قالت : " هيا يا بنات " . تبعتها البنات وخرجن إلى السيارة القديمة حيث جلست ميري في مقعد السائق وشغلت المحرك .
سألت إحدى البنات : " كيف حال بابا ؟ "
لم تجب ميري .
ـ " كيف حال بابا يا أمي ؟ "
قالت ميري : " لا تتكلمي معي . لا تتكلمي معي فقط " .
ـ " لكن . . . "
قالت ميري : " إخرسي يا حبيبتي . إخرسن فقط وصلين من أجله " .
بدأت البنات يبكين ثانية .
قالت ميري : " اللعنة على هذا . لا تبكين هكذا . قلت ، صلين من أجله " .
قالت إحدى البنات : " سنصلي . لم أكفّ عن الصلاة منذ كنا في المستشفى " .
حين استدرن ليواجهن مرجان الطريق الأبيض الصخري المتآكل ، أضاءت أنوار السيارة الأمامية رجلاً يمشي مترنحاً أمامهن .
فكرت ميري : "مخمور مسكين . يا له من مخمور لعين مسكين " .
مررن بالرجل الذي لطخ دم وجهه ، وتابع السير بخطى غير ثابتة في الظلام بعد أن غمرت أنوار السيارة الشارع . كان الرجل هو رتشارد جوردون في طريقه إلى بيته .

أمـام باب الدار ، أوقفت ميري السيارة .

قالت : " إذهبن إلى الفراش يا بنات . إصعدن إلى أسرتكن " .

سألت إحدى البنات : " ماذا بشأن بابا ؟ "

قـالت ميري : " لا تتكلمن مـعي . من أجل المسيح . من فضلكن ، لا تتكلمن معي " .

أدارت السـيارة في الطريق وانطلقت عائدةً بها نحو المستشفى .

حـالما عـادت ميري مورجان الى المستشفى ، ارتقت الدراجات باندفاع . قابلها الطبـيب في شرفـة المدخل الأمـامية وهو يخرج من باب الستارة . كان تعباً وفي طريقه إلى البيت .

قال لها : " لقد ولى يا مسز مورجان " .

ـ " مات ؟ "

ـ " مات على الطاولة " .

ـ " هل أستطيع أن أراه ؟ "

قـال الطبـيب : " نعم . لقـد رحل في سـلام وهدوء يا مـسز مورجان . لم يعانِ من أي ألم " .

قـالت ميري : " أوه ، يا للجحيم " . وأخذت الدموع تنهال ساقطة على وجنتيـها . قالت : " أوه ، أوه ، أوه ، أوه " .

وضع الطبيب يده على كتفها .

قالت ميري : " لا تلمسني " . ثم قالت : " أريد أن أراه " .

قـال الطبـيب : " تعـالي " . مـشى مـعها في الممر ودخلا الغرفة البيضاء حـيث كـان يتـمـدد على طاولة متـحـركـة بعـجلات ، وملاءة تغطي جسمـه الضـخم . كـان النور سـاطعـاً جـداً ولا يلقي ظلالاً . وقـفت ميري في فتحة الباب وقد بدت مرتعبة في النور .

قـال الطبـيب : " لم يعـانِ إطلاقـاً يا مـسـز مـورجان " . لم يبد أن ميري سمعته .

قـالت : " أوه ، يا للمـسـيح " . وبدأت تبكي ثانية . " أنظر إلى وجهه الملعون " .

فصل ١٨

كـانت ميري مـورجـان تفكر وهي تجلس الى مائدة غرفة الطعام : لا أعرف . يمكنني أخـذ واحـدة كل نهار مرة واحـدة وكل ليلـة مـرة واحـدة ، وقد يتغير الوضع . إنها الليـالي اللعـينة . لو اهتـمـمت بالبنات لأصـبح الوضع مختلفاً . لـكنني لا أهتم بتلك البنات . لكن ، يجب أن أفـعل شـيئاً بشأنهن . لابد أن أشرع بعـمل شيء . قـد تتغلبين على كونك ميتة في الداخل . أظن أن هذا لن يشكل أي فـرق . لابد أن أشرع بالقـيـام بعمل ما على أية حال . اليوم مضى أسـبـوع . أخشى ألا أتمكن من تذكر كيف كان يبدو إن أنا فكرت فيه متعمدة هذا . حـدث ذلك عندمـا أصـابني ذلك الفـزع الرهيب حين لم أسـتطع تذكر وجـهـه . لابد أن أشرع في القـيـام بأي عـمل مهما كان شعوري . لو أنه ترك بعض المال ، أو لو رصـدت جـوائز لكان الوضع أحـسن لكن ما كان شعوري سـيـتـحـسن . أول مـا يجب أن أفـعله هو أن أحاول بيع البيت . أبناء الحرام الـذين أطلقـوا عليـه النار . أوه ، أبناء الحـرام القـذرون . ذلك هو الشـعـور الوحـيـد الذي أحس به . كـراهيـة وشـعـور خـاوٍ . أنا فـارغة كبيت فـارغ . حـسناً ، يجب أن أشرع في عـمل أي شيء . كان يجب أن أذهب إلى الجنازة . لـكنني لم أسـتطع الذهاب . يجب أن أشرع في فـعل أي شيء الآن . لن يعـود أي إنسان أبداً بعد أن يموت .

هو ، كما كـان ، مختـال وقـوي وسريع ، وكنوع من حيـوان ثمين . تثيرني دائماً مجرد مـراقـبـتـه يتـحرك . لقد كنت محظوظة جداً طيلة ذلك الوقت الذي كـان فـيـه لي . ساء حظه أولاً في كوبا . ثم ظل يتدهور من سيء إلى أسوأ إلى أن قتله كوبي .

الـكوبيـون حظ سيء للمـحـارات . الكوبيـون حـظ سيء لأي شـخص . لديهم زنوج كـثيرون هناك أيضـاً . انا أذكـر ذلك الوقت الذي أخـذني فـيه إلى هافـانا حين كـان يكسب أمـوالاً وفيرة وكنا نمشي في المتـنزه وقال لي زنجي شيئاً فضربه هاري ضرباً مبرحـاً ، ثم التـقط قـبـعته القش التي كانت قد سقطت ، ورمى بها لتبـحـر في الجو مسافة تغطي مساحة مجمع مبانٍ وداست عليها سيارة

أجرة . ضحكت حينذاك إلى أن أخذ بطني يؤلمني .

كان ذلك أول مرة أصبغ فيها شعري باللون الأشقر ، في تلك المرة التي صبغته في محل تجميل في شارع برادو . انهمكوا في العمل به طيلة بعد الظهر وكان شعري داكناً جداً على نحو طبيعي حتى أنهم لم يرغبوا في صبغه وخشيت أن يبدو منظري رهيباً ، لكنني ظللت أطلب أن يفتحونه أكثر قليلاً ، فكان الرجل يمرر فيه خشبة البرتقال تلك التي ينتهي طرفها بقطعة قطن . فيغمسها في ذلك الوعاء الذي يحتوي على المادة الصابغة التي بدت كمادة مدخنة وتتبخر بطريقة ما ، والمشط ؛ يفرق خصلات شعري باحدى نهايتيّ العصا والمشط ثم يمررهما فوق تلك الخصلات ويدع شعري يجف وأنا أجلس هناك وأخاف من أعماق صدري مما كنت قد فعلته بشعري وكل ما كنت أقوله هو : تأكدوا فقط إنْ كنتم لا تستطيعون صبغه بلون أفتح قليلاً فقط .

قال الرجل أخيراً ، إن ذلك اللون هو أفتح لون يمكنني صبغ شعرك به يا مدام ، ثم غسله بالشامبو ، وموجه ، وكنت أخاف من مجرد النظر إليه في المرآة خشية أن يكون رهيباً ، ثم موجه وفرقه على أحد الجانبين ورفعه عالياً خلف أذني بخصلات محكمة الضم في الخلف ، وبينما كان لا يزال رطباً ، لم أعرف كيف كان يظهر سوى أنه بدا متغيراً كله وبدوت أنا غريبة على نفسي . ووضع شبكة فوق شعري وهو رطب ووضعني تحت المجفف وكنت فزعة بشأنه طيلة الوقت . كان ذلك حين خرجت من تحت المجفف فنزع الشبكة والدبابيس ومشطه جيداً وكان قد أصبح كالذهب تماماً .

وخرجت من المحل ورأيت نفسي في المرآة وقد لمع شعري كثيراً في الشمس وكان ناعماً وحريرياً حين وضعت يدي عليه ولمسته ، ولم أصدق أنني كنت أنا وكنت منفعلة جداً حتى أنني اختنقت من هذا الانفعال .

سرت في شارع برادو الى المقهى حيث كان هاري ينتظرني وكنت منفعلة جداً وأحس في نفسي بأنني مضحكة ، نوع من شبه إغماء ، فوقف هو حين رآني قادمة ولم يستطع نزع عينيه عني وكان صوته غليظاً ومضحكاً حين قال : " يا للمسيح يا ميري . أنتِ جميلة " .

قلت : " تحبني شقراء ؟ "

قال : " لا تتكلمي عن هذا . لنذهب إلى الفندق " .

وقلت : " ليكن ، إذن . لنذهب " . كنت في السادسة والعشرين من عمري عندئذ .

وعلى ذلك النحو كان معي دائماً وعلى ذلك النحو كنت نحوه دائماً . لقد قال إنه لم يكن لديه أي شيء مثلي وأنا أعرف أنه لم يكن هناك أي رجل مثله .

أنا أعرف هذا على نحو جيد لعين وها هو الآن ميت .
والآن ، يجب أن أشرع في فعل أي شيء . أنا أعرف أنني يجب أن أفـ ذلك . لكن ، حين يكون لديكِ رجل كذلك الرجل ويطلق عليه كـوبي النـار ويقتله فلا يمكنكِ أن تبدأي فعل أي شيء على الفور ؛ فكل شـ داخلكِ يختفي . لا أعرف ما أفعله . ليس الوضع كما كان حين كان يخرج رحلات . فحينذاك ، كان يعود دائماً لكنني الآن يجب أن أستمر في العـ بقية حياتي . وأنا الآن ضخمة وقبيحة وعجوز وهو ليس هنا ليخبرني بأنـ لست كذلك . لابد أن أستأجر رجلاً ليقول لي ذلك على ما أظن وعندئذ أريده . على ذلك النحو ستسير الحياة . تلك هي الطريقة التي ستسير عـ الحياة بالتأكيد .
وكان طيباً جداً معي إلى حد اللعنة ويمكن الإعتماد عليه أيضاً ، و يكسب المال دائماً بطريقة أو بأخرى ولم أقلق أبداً بشأن المال ، بل كنت أ عليه فقط ، وها قد ولى كل شيء .
ليس مهماً ما يحدث للذي يقتل . ما كان يهمني لو كنت أنا نفسي ا قتلت . قال الطبيب : هاري كان في النهاية تعباً فقط . لن يستيقظ أبداً ، سعيدة لأنه مات بيسر ، فلابد أنه قاسى الكثير وهو في ذلك القارب و يسوع المسيح . أتساءل إن كان قد فكر فيّ أو بماذا فكر . أظن أنك لا تفكر في أي إنسان وأنت في وضع كهذا . أظن أنه لابد تألم كثيراً . لكنه تعب شديداً أخيراً . أتمنى من المسيح لو أنني مت أنا . لكن تلك ليست أمـ جيدة تتمنينها . لا يوجد شيء جيد تتمنينه .
لم أستطع الذهاب إلى الجنازة . لكن الناس لا يفهمون ذلك . لا يعرفـ كيف تشعرين . فالرجال الطيبون نادرون . ليس لديهم رجال طيبون . أحد يعرف الطريقة التي تشعرين بها ، لأن أحداً لا يعرف طبيعة الأمور ا هي على تلك الشاكلة . أنا أعرف . أنا أعرف تماماً . وإذا عشت ا عشرين سنة فما الذي سأفعله ؟ لن يخبرني أحد بذلك ولا يوجد أي شيء ا سوى أخذ الحياة كل يوم بالطريقة التي تأتي بها ثم البدء بفعل شيء ـ الفور . ذلك ما يجب أن أفعله . لكن يا للمسيح ، ما ستفعلينه في الليل ما أريد أن أعرفه .
كيف تقضين الليالي إنْ لم تستطيعي النوم ؟ أظن أنك ستكتشفين ذلك اكتشفتِ طبيعة شعورك بفقدانك زوجك . أظن أنك ستكتشفين ذلك حقاً أظن أنكِ ستكتشفين كل شيء في هذه الحياة الملعونة ، أظن أن وضـع سيكون على ما يرام . أظن أنني ربما سأكتشف هذا الآن تماماً . موتي فقط

أعماقك فيصبح كل شيء سهلاً . موتى فقط كما مات غالبية الناس في أغلب الوقت . أظن أن الحياة تكون على ما يرام حين تكون على ذلك النحو . أظن أن ذلك هو ما سيوشك أن يحدث لكِ . حسناً ، لقد بدأت بداية حسنة . لقد بدأتِ بداية حسنة إنْ كان ذلك ما يجب أن تفعليه . أظن أن ذلك ما يجب أن تفعليه حقاً . أظن أن ذلك هو . أظن أن ذلك ما ستأتي به الأيام . حسناً ، سأبدأ بداية حسنة إذن . أنا في مقدمة كل الناس الآخرين الآن .

في الخارج ، يوم شتاء لطيف ونديّ وشبه استوائي ، راحت فروع النخيل تترجرج في ريح الشمال الخفيفة . مر بعض الأشخاص الشتويين بالبيت راكبين على دراجات . كانوا يضحكون . وفي فناء البيت الكبير عبر الشارع زعق طاووس عالياً .

من النافذة ، ترى البحر وقد بدا هائجاً ومنعشاً وأزرق في نور الشتاء .

كان هناك يخت أبيض يتقدم داخلاً المرفأ ، وعلى بعد سبعة أميال في الأفق ترى ناقلة نفط ، صغيرة دقيقة الواجهة قبالة البحر الأزرق ، تحتضن الشعاب الصخرية وهي تبحر نحو الغرب حتى لا تضيع الوقود بأبحارها ضد التيار .

من أعمال **إيرنست همنجواي**

قصص :

في زماننا *

رجال بلا نساء *

ثلوج كِلِمنجارو *

روايات :

سيول الربيع

الشمس تشرق أيضاً (المهرجان) *

وداعاً للسلاح

أن تملك وألاّ تملك *

لمن يدق الجرس

عبر النهر وبين الأشجار

العجوز والبحر

جزر في التيار

جنة عدن

كتابات عامة :

موت بعدَ الظهر

تلال أفريقيا الخضراء

وليمة متنقلة

خط فرعي (مقالاته الصحفية)

مسرح :

الطابور الخامس

* صدرت عن دار النسر بترجمة جديدة كاملة .

يسر دار النسر للنشر والتوزيع أن تقدم الى العالم العربي الأعمال الكاملة / شبه الكاملة لكبار كتاب الأدب العالمي : رواية ، مسرح ، قصة ، نقد أدبي ... الخ بترجمة سمير عزت نصار وإشرافه ومراجعته بالتعاون مع كبار المترجمين العرب من اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية ... الخ

وتضم هذه القائمة أعمال - إيرنست همنجواي ، وليم فوكنر ، وليم جولدِنج ، سومرست موم ، إرسكين كالدويل جراهام جرين ، جيمس جويس ، آلان روب جرييه ، جون شتاينبِك ، توماس مان ، ألبرتومورافيا ، آيريس ميردوك ماركيز ، برناردشو ، تشيخوف ، إبسن ، سترندبيرج ، كونديرا ، بِكيت ، هارولد بنتر ، أنوي ، وعشرات غيرهم .

إضافة الى الأعمال شبه الكاملة / مختارات لكبار الكتاب الكلاسيكيين ضمن سلسة كلاسيكيات : تشارلز دكنز ، جورج إليوت ، دانييل ديفو ، روبرت لويس ستيفنسن ، الأخوات برونتي ، جول فيرن ، هوجو ، موباسان ، فلوبير ، بلزاك ، إميل زولا وعشرات غيرهم .

كما يسر دار النسر نشر أعمال كبار كتّاب الرواية والقصص الشرطيّة بترجمة جديدة كاملة لا تعتمد على التلخيص بل تتوخى دقة الترجمة والاقتراب من النص الأصلي قدر ما يتاح هذا للمترجم ؛ مما يرتفع بهذه الأعمال الى المستوى الأدبي في هذا النوع من الأدب . وعلى رأس هذه الأعمال تبدأ الدار بنشر أعمال أجاثا كرستي التي بيعت أكثر من مليار / بليون نسخة من أعمالها بلغتها الأصلية ومليار أخرى مترجمة الى عشرات اللغات الأخرى في جميع أنحاء العالم .

صدر عن دار النسر للنشر والتوزيع

إسم المؤلف	إسم الكتـاب
جراهام جرين	* الخاسر ينال كل شيء * الرجل الثالث والمعبود الساقط (ط٢) * دكتور فيشير من جنيف (حفلة القنبلة) * مسدس للبيع * الوكيل السري * رجلنا في هافانا * الرجل العاشر * وزارة الخـوف * صخرة برايتون
ألان روب جرييه	* غيرة (ط٢) * في المتاهة
سومرست موم	* في الدارة فوق التل * النقاب الملون * القمر وستة بنسات * مسرح * كاتالينا * عطلة عيد الميلد * الركن الضيّق
وليم فوكنر **(نوبل ٤٩)**	* رجل عجوز (ط٢) * وأنا أحتضر * النخيل البري * اللامقهورون
وليم جولدنج **(نوبل ٨٣)**	* لورد الذباب (ط٢) * الورثة (ط٢) * الإله العـقرب (ثلاث روايات قصيرة) * الهرم * سقوط حر

إسم المؤلف	إسم الكتاب
جون شتاينبك (نوبل ٦٢)	* اللؤلؤة (ط٢) * المهر الأحمر (ط٢) * الوادي الطويل * مراعي السماء * الحافلة الجامحة * كروم الغضب * فئران ورجال
إرسكين كالدويل	* كلوديل * يد الله الاكيدة * إضطراب في يوليو * مصباح لهبوط الليل * مكان يدعى إسترفيل * جريتا
إيرنست همنجواي (نوبل ١٩٥٤)	*حياة فرانسيس ماكومبرِ القصيرة السعيدة * رجال بلا نساء * في زماننا * أن تملك وألاّ تملك (ط٢) * الشمس تشرق أيضاً (المهرجان) * تلال أفريقيا الخضراء
كنوت هامسون (نوبل ١٩٢٠)	* الجوع
البرتومورافيا	* الحب الزوجي * الزوجة الجامحة * صوت البحر
هـ . ج . ولز	* آلة الزمن وبلاد العميان * حرب العوالم * الرجل الخفي * جزيرة الدكتور مورو

إسم المؤلف	إسم الكتاب
أحاثا كرستي	* موعد مع الموت
	* سجل قضايا هرقل بوارو
	* جريمة قتل نائمة
	* جريمة قتل روجر آكرويد
	* السيدة مَك جِنتي ماتت
	* ستــارة : قضية بوارو الأخيرة
سيبريان إكوينسي	* العشب المحترق
جابرييل جارسيا ماركيز	* ايريندريرا البريئة
تشينوا تشيبي	* أشياء تتداعى
هنريك إبسن	* السيدة القادمة من البحر (مسرحية)
	* بيت دمية (مسرحية)
	* أعمدة المجتمع (مسرحية)
جان أنوي	* أنتيجونا (مسرحية)
جورج برناردشو	* الانســان والأسلحة (مسرحية)
أوجست ستردنبيرج	* الآنســة جوليا (مسرحية)
أنطون تشيخوف	* بستان الكرز (مسرحية)
عدة كتّاب قصصيين	* الزوجة المثالية
سمير عزت محمد نصار	* فــارس الاميرة الســمراء (رواية)
	* تموجات مهيبة (قصص) (ط٢)
	* قال الطائر الذبيح لا (قصص)
	* عريس فدوى (مسرحية)
	* أسرة الظلام (قصص)
	* أوديب ٤٨ (مسرحية)
يوسف أبو ليل	* سادة السحر الأسود (السي آي ايه)
ولتر ب . رستون	* أفــول الســيادة (ثورة الإتصالات وأثرها على تغيير العالم)
تحرير : إدوار سي . بانفيلد	* السلوك الحـضاري والمواطنة
د . أفنان القاسم	* شارع الغاردنز
	* باريس
	* أربعون يوماً في إنتظار الرئيس

مطبعة الأرز
عمان - المشيرفة - سوق خاطر
تلفون ٨٧٣٠١١ - ٦١٢١٩٠



أن تملك وألاّ تملك

١٩٣٤ ، ١٩٣٧

تتألف هذه الرواية من ثلاث قصص قصيرة طويلة تؤلف ثلاثة مقاطع في حياة هاري مورجان ، شخصية من جزر غرب الواطئة، يكسب معاشه من تهريب الخمور وتهريب السلاح وتهريب الناس بين فلوريدا وكوبا. وهذه الحياة المثيرة النشيطة في حافة المنطقة المدارية مادة مثالية لأسلوب همنجواي ، والقارىء يستخلص من الكتاب إحساساً بالانتعاش والمرح ؛ فالرياح التجارية والمدن الجنوبية والبحار الدافئة يصفها الكاتب بأدوات الدقة التي يكتب بها.

القصة مثيرة . فهي تفتتح بوابل من رصاص ، وتبلغ قمتها بوابل آخر ، ويحافظ الكاتب على ذروة عالية من الإثارة أثناء هاتين القمتين ؛ لكن هذا العمل أكثر من قصة مغامرات سطحية . فموهبة همنجواي في الحوار والأفكار الدفينة وتوصيل إنفعالات كهذه حسبما تسمح خشونة الموضوع بذلك ، لم تكن أعمق مما هي في هذه الرواية .

دار النسر للنشر والتوزيع / عمان ـ الأردن
هاتف/فاكس ٦٥٩٤٦٠
ص.ب ٩١٠٥٨٦ عمان ١١١٩١ الأردن